دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش

(١٩٠٨ ـ ١٩٠٩)

الدكتور
حسّان علي حلّاق

الدار الجامعية
للطباعة والنشر
بيروت. ص. ب: ٩٣٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الجذور والأسباب الحقيقية لمعاداة اليهود والقوى الدولية للسلطان عبد الحميد الثاني

تولى السلطان عبد الحميد الثاني حكم الدولة العثمانية في ٦ أيلول (سبتمبر) ١٨٧٦ ـ ١٨ شعبان ١٢٩٣ هـ. ومنذ أن تولى العرش أبدى اهتماماً جدياً بمستقبل فلسطين والولايات العربية الأخرى، وشعر بأهمية الخطر الصهيوني المتجه نحو الأراضي المقدسة في فلسطين، ولهذا بدأ بمحاربة الهجرة اليهودية إليها. وكان السلطان عبد الحميد الثاني قد رفض في عام ١٨٧٦ عروض «حاييم غوديلا» لشراء مساحات من الأراضي في فلسطين لاسكان المهاجرين اليهود فيها.

وبالرغم من الموقف العثماني الرافض للهجرة اليهودية، غير أن المحاولات الصهيونية استمرت لاقناع الحكم العثماني بضرورة الموافقة الرسمية على انشاء المستعمرات ورفع قيود الهجرة. وكانت فلسطين قد شهدت موجة من المهاجرين اليهود في العام ١٨٨٢، وقامت جمعية «احباء صهيون» بنشاط ملحوظ لدى السلطات العثمانية، وتقدمت في العام نفسه من القنصل العثماني في أوديسا للحصول على اذن بالهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها، ولكن الحكومة العثمانية أوعزت إلى القنصل في نيسان (ابريل) عام ١٨٨٢ برفض هذا الطلب، واشعار جميع اليهود الراغبين في الهجرة إلى الدولة العثمانية بأنه لن يسمح لهم بالاستقرار في فلسطين، على أنه لا يعني ذلك السماح لهم بالهجرة إلى المناطق العثمانية الأخرى والاستقرار فيها كيفما شاؤوا، بل عليهم أن يصبحوا رعايا عثمانيين وأن يقبلوا تطبيق القوانين المعمول بها في الأمبراطورية[1].

وفي هذه الفتر توجهت بعض القوى الصهيونية إلى استانبول للتوسط لدى السلطان العثماني، وكان في مقدمة هؤلاء «لورنس اوليفانت» (L.Oliphant)

---

(١) N. Mandel; *Turks, Arabs and Jewish immigration into Palestine (1882-1914)*, P. 80.

الذي طلب بدوره وساطة السفير الأميركي. ولكن هذه الجهود لم تثن السلطات العثمانية عن التمسك بقانون منع اليهود من الاقامة بفلسطين[١].
وبسبب ازدياد شكوك السلطان عبد الحميد الثاني بالتحرك الصهيوني أفهم المبعوث اليهودي «أوليفانت» بأن اليهود يستطيعون العيش بسلام في أية جهة من المملكة إلا في فلسطين، وأن الدولة العثمانية ترحب بالمضطهدين ولكنها لا ترحب باقامة مملكة لليهود في فلسطين يكون أساسها الدين[٢].

والحقيقة فان «أوليفانت» صدم من موقف السلطان العثماني وراح ينشر الدعايات ضده، فما كان من السلطان إلا أن طرده من استانبول ومنعه من دخولها، فأخذ المبعوث الصهيوني يكرر محاولاته ثانية ووسط «استراوس» - وزير أمريكا المفوض في استانبول - الذي اجتمع بالسلطان لاقناعه بالهجرة اليهودية إلى فلسطين، ولكن السلطان أفهمه صراحة أن لا أمل ببقاء اليهود في فلسطين.

والجدير بالذكر أنه خلافاً للموقف العثماني الرسمي الممثل بالسلطان وحكومته، فان الادارة العثمانية المحلية في فلسطين كانت تتحايل على القانون وتتعاون مع القناصل الأجانب والمهاجرين اليهود لتسهيل دخولهم إلى فلسطين دون تسجيل أسمائهم على اللائحة الخاصة بالزوار للأماكن المقدسة. وهكذا استمرت الهجرة اليهودية عن طريق رشوة الموظفين العثمانيين ومعونة قناصل الدول الأجنبية، لا سيما القناصل الروس والألمان والانجليز والأمريكيين.

وبين الأعوام (١٨٧٦ - ١٨٨٨) عينت الحكومة العثمانية «رؤوف باشا» متصرفاً على القدس، وكان رجلاً مستقيماً نظيف اليد، فبدأ يرسل بين الحين والآخر القوات العثمانية للبحث عن اليهود المقيمين بطريقة غير قانونية، وذلك لطردهم من فلسطين. وكان «رؤوف باشا» يعي تماماً أنه انتشرت بين اليهود أحلام العودة إلى فلسطين، وأن ما يفعله ضد المستعمرات اليهودية إنما لازالة هذا الحلم. وكثيراً ما تنازع مع القنصلين الروسي والألماني بسبب احتجاجاتهما المتكررة ضده بسبب ملاحقاته للمهاجرين اليهود. والواقع أنه كان لردود الفعل العربية أيضاً أثر واضح في سياسة «رؤوف باشا» حين

(١) N. Mandel; *op. cit.*, P. 80
(٢) فرانك مانويل: بين أمريكا وفلسطين، ص ٢٥

اجتمع أكثر من مرة مع المتنورين من العرب الذين أبدوا معارضتهم للهجرة اليهودية سواء بتقديم العرائض أو بالهجمات على المستوطنات اليهودية[١].
وفي شباط (فبراير) عام ١٨٨٧ صدرت أوامر جديدة بشأن الهجرة اليهودية وجهت إلى متصرفي القدس ويافا تعلمهم بأنه يسمح لليهود بالدخول إلى البلاد كحجاج أو زوار فحسب، وعلى كل يهودي يصل إلى يافا أن يدفع (٥٠) ليرة تركية لقاء تعهد بمغادرة فلسطين خلال ٣١ يوماً[٢]. وجاء هذا القرار منسجماً مع قرار الباب العالي الذي استهدف وضع حد لتيار الهجرة اليهودية الذي أخذ يتدفق على فلسطين، لا سيما بعد أن تحقق الباب العالي من الخطر الذي يكمن وراء استيطان اليهود بأعداد كبيرة في فلسطين[٣].

وفي عام ١٨٨٨ أصدر الباب العالي قوانين جديدة نصت على ضرورة حمل اليهود الأجانب جوازات سفر توضح عقيدتهم اليهودية كي تمنحهم سلطات الميناء تصريحاً لزيارة المتصرفية لمدة ثلاثة شهور، كما رفضت السلطات العثمانية في ميناء يافا السماح بدخول اليهود الذين لم يحصلوا على سمات دخول من القناصل العثمانيين في بلادهم[٤]. وكان هذا القرار رداً صريحاً على موقف القناصل الاجانب من محاولاتهم المستمرة لتعطيل فعالية القوانين العثمانية الخاصة باليهود، وتكريساً للموقف العثماني من الهجرة اليهودية، فكان أن أوعزت الحكومة العثمانية إلى قناصلها في مختلف البلاد عدم التأشير على جوازات سفر اليهود إلا بداعي الزيارة الدينية ولمدة محدودة. ومن أجل ذلك احتجت بريطانيا على قوانين عام ١٨٨٨، فأوضحت الحكومة العثمانية لسفارتها في استانبول في تشرين الأول (أكتوبر) من العام نفسه، أن اجراءات المنع لن تطبق إلا بحق اليهود الانجليز الذين يأتون إلى فلسطين بأعداد كبيرة وليس بحق الذين يأتون فرادى[٥].
ونظراً لموقف السلطان عبد الحميد الثاني الرافض لكل الوساطات الأوروبية

(١) E. Golomb; *The History of Jewish Self-Defence in Palestine 1878-1921*, pp. 11, 13.
(٢) A. Hyamson; *The British Consulate in Jerusalem*... P. 558.
(٣) Blesh to O'Conor, 16 Nov. 1907, No. 40 321/62, in F.O. 371/356.
(٤) N. T. Morre to W. A. White, 29 May 1888, No. 15, in F.O. 195/1612.
(٥) Dickson to A. Nicolson, 25 Aug. 1893, No. 46, in F.O. 195/1806.

بشأن الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فقد قرر الزعيم الصهيوني « تيودور هرتزل » (Herzl) السفر بنفسه إلى الآستانة للقاء السلطان لعرض المساعدات المالية اليهودية، وقد وصلها في ١٨ حزيران (يونيه) عام ١٨٩٦، واتصل بقوى عثمانية سياسية عليا لتحقيق التطلعات الصهيونية، ولكن « نيولنسكي » الصحفي النمساوي وصديق هرتزل نقل إليه موقف السلطان العثماني. ويعتبر هذا الموقف ذروة المعارضة العثمانية للاستيطان اليهودي في فلسطين. وقد دونه هرتزل نفسه في مذكراته حينما قال السلطان عبد الحميد الثاني: « لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد، لأنها ليست لي بل لشعبي. لقد حصل شعبي على هذه الامبراطورية بإراقة دمائهم، وقد غذوها فيما بعد بدمائهم، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا. لقد حاربت كتيبتان من جيشنا في سوريا وفي فلسطين وقتل رجالنا الواحد بعد الآخر في « بلفنه »[1] لأن أحداً منهم لن يرضى بالتسليم، وفضلوا أن يموتوا في ساحة القتال. الامبراطورية التركية ليست لي وإنما للشعب التركي، لا أستطيع أبداً أن أعطي أحداً أي جزء منها. ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فاذا قسمت الامبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن تقسم إلا جثتنا ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان »[2].

وبعد مضي حوالي شهرين من رحلة هرتزل، حاول من جديد الاتصال بالأوساط العثمانية لعرض مشروع جديد يتضمن مغريات مالية مضاعفة فعرض إقراض الدولة العثمانية مبلغ عشرين مليون جنيه استرليني لا تعيدها مطلقاً، وإنما تحسمها من رسم الضرائب التي تفرض على المهاجرين اليهود إلى فلسطين بمعدل مئة ألف جنيه استرليني في السنة الأولى، ثم تزداد إلى مليون جنيه استرليني سنوياً وتتصاعد الضرائب كلما تضاعفت الهجرة، ومقابل هذا القرض يسمح جلالته بالامتيازات التالية: « الهجرة اليهودية إلى فلسطين التي لا تكون فقط غير محدودة، بل أيضاً تشجعها الحكومة السلطانية بكل وسيلة ممكنة،

(١) بلفنه: مدينة هامة استراتيجية تقع على ملتقى الطرق الرئيسية بين مضائق جبال البلقان وبلغاريا الغربية والطونة. وقعت فيها معركة عسكرية بين العثمانيين والروس في آب (اغسطس) ١٨٧٧ م - رجب ١٢٩٤ هـ وقد أبلى العثمانيون فيها بلاء حسناً.

(٢) يوميات هرتزل، ١٩ حزيران (يونيه) ١٨٩٦، ص ٣٧٨، الترجمة العربية ص ٣٥.

ويعطى المهاجرون اليهود الاستقلال الذاتي المضمون في القانون الدولي، في الدستور والحكومة وإدارة العدل في الأرض التي تقرر لهم. فلسطين كدولة شبه مستقلة »[1].

ولكن السلطان العثماني رفض هذا العرض الصهيوني، وفضل القروض الأوروبية رغم سيئاتها، وذلك للحيلولة دون خضوع الدولة العثمانية للضغوط المالية الصهيونية. ولما وصل الخبر لهرتزل بأن الحكومة العثمانية نجحت في اتمام القروض الأوروبية قال معلقاً: « لم أصدق الخبر في البدء، واتصلت هاتفياً بنيولنسكي الذي اكتفى بالتأكيد: إنه أمر سيء لنا »[1].

وبعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في آب (أغسطس) ١٨٩٧ أجرى هرتزل اتصالات مكثفة مع أباطرة وقياصرة أوروبا لاقناعهم بالمشروع الصهيوني في فلسطين، كما حاول مجدداً الاتصال بالسلطات العثمانية. وفي ٤ شباط (فبراير) عام ١٨٩٨ اجتمع هرتزل بالسفير العثماني في ألمانيا أحمد توفيق لبذل وساطته من أجل تحقيق المشروع الصهيوني مقابل القروض المالية اليهودية، فأخبره السفير العثماني صعوبة امتلاك فلسطين، وأشار عليه بإمكانية توطين اليهود في مناطق أخرى من آسيا الصغرى، شرط أن يكون اليهود كسواهم من المواطنين العثمانيين غير مستقلين عن الدولة، وانتهى الاجتماع بعدم الاتفاق بين الطرفين.

والجدير بالذكر أن عام ١٨٩٨ شهد تطوراً جديداً فيما يختص بموقف السلطان عبد الحميد الثاني من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فقد أصدر في حزيران (يونيه) من العام نفسه قوانين جديدة منع بموجبها اليهود الأجانب من دخول القدس، غير أن هذه القوانين لقيت معارضة من القنصليات الأجنبية، فأبرق متصرف القدس إلى الباب العالي يطلب منه تعليمات دقيقة ومحددة حول القوانين الجديدة[2]. فجاء الرد بعد شهرين وبالذات في ٢٥ آب (أغسطس) عام ١٨٩٨ يطلب فيه الصدر الأعظم تنفيذ قوانين الهجرة الخاصة باليهود. وقد أكد القنصل البريطاني في القدس « ديكسون » (Dickson) هذا

(١) يوميات هرتزل، ٢٥ آب (اغسطس) ١٨٩٦، ص ٤٥٧ (ت.ع.ص ٤٥).

(٢) يوميات هرتزل، ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٧، ص ٥٠٩ (ت.ع.ص ٤٧).

Dickson (Report) 23 June 1898, No. 33, in F.O. 195/2028.

الواقع فذكر في تقريره بان متصرف القدس قد بعث له برسالة مع سكرتيره يعلمه فيها « أنه تلقى تعليمات من الباب العالي لتطبيق الأنظمة المرعية لدخول اليهود الأجانب إلى القدس ـ كل اليهود الأجانب ـ دون تمييز في جنسياتهم، وبالتالي أن تطبق هذه الأنظمة على اليهود البريطانيين، وأن الأنظمة المذكورة تنص على أنه لا يسمح لأي يهودي أجنبي بدخول فلسطين إلا بعد تعهده بدفع التأمين وبمغادرة البلاد خلال ثلاثين يوماً »[١]. وقد بلغ من تشدد السلطات العثمانية في تنفيذ هذه القوانين أنها منعت نائب القنصل البريطاني في انطاكية من الدخول ما لم يقدم التعهد المطلوب باعتباره يهودياً[٢].

وفي هذه الفترة وصل تقرير من السفارة البريطانية في القسطنطينية إلى « ديكسون » في القدس رداً على رسالته حول موقف الحكومة العثمانية من مسألة تسجيل الأملاك التي طلب « الاتحاد الانجليزي ـ اليهودي » (Anglo Jewish Association) شراءها في القدس، فأوضح السفير البريطاني أنه لا بد من التهرب من القوانين العثمانية ومن أجل ذلك « فانني أحيطكم علماً بأنني اقترحت على سكرتير صاحب الجلالة الأول للشؤون الخارجية، العمل بنصيحة الاتحاد الأنجلو ـ يهودي بوضع اسم شخص أو أشخاص ليسوا يهوداً ممن لا تستطيع الحكومة العثمانية الاعتراض على أن يكونوا مشترين للأملاك »[٣].

وفيما يختص بالهجرة اليهودية فان تشدد السلطان عبد الحميد الثاني لم يكن مقتصراً على القدس الشريف فحسب، بل حدث أن منع قائمقام يافا بعض اليهود الانجليز من دخول البلاد وأعادهم إلى السفينة، كما قام بطرد عائلتين يهوديتين لانتهاء زيارتها[٤]. وكانت مثل هذه القوانين تطبق في مختلف أنحاء فلسطين، غير أن المرتشين من المسؤولين كثيراً ما كانوا يعطلون من فعالية تطبيقها.

ومن الأهمية بمكان القول، بأن هرتزل كان ضد أسلوب الهجرة بالتسلل، لأن الدولة العثمانية ترفض المشروع الصهيوني وستعمل على طرد المهاجرين

---

(١) Dickson to Bunsen, 25 August 1898, No. 41, in F.O. 195/2028.

(٢) Dickson to Bunsen, Ibid.

(٣) B.E. in Constantinople to Dickson, 25 August 1898, No. 2 in F.O. 195/2026.

(٤) من رسالة توفيق بك إلى ديكسون نقلاً عن:
A. Hyamson; *The British Consulate in Jerusalem*... vol. II, P. 528.

اليهود. وأمام هذا الواقع رأى أنه لا بد من وجود حماية دولية واعتراف رسمي بالهجرة اليهودية إلى فلسطين أو حتى إلى مناطق أخرى بصورة مؤقتة حتى يتم القضاء على الدولة العثمانية وأنه « ربما استطعنا أن نطالب انجلترا بقبرص ونفكر في جنوب أفريقيا وأمريكا حتى تنحل تركيا ... لقد عرفت منذ وقت عدم الثقة بالأتراك وتوقعتها، لهذا كنت دائماً ضد التسلل. على كل حال ليس هذا قصر نظر مني، أستطيع أن أطالب بدولة يهودية في فلسطين بمحاربة استعمارية على نطاق صغير فقط، ولكن هذا حق، لأن اللحظة الحرجة، التي لاحظت فيها تركيا نية إقامة دولة عند المتسللين سنجد المستعمرين مهاجرين بدون حماية. أما حسب خطتي فالمفاوضات تقوم قبل اجتياز الحدود وهذه طريق أفضل لنا بكثير ... »[١].

ولهذا حاول هرتزل مجدداً اجراء اتصالات مع المسؤولين العثمانيين كما أنه وسّط لهذه الغاية الامبراطور الألماني غليوم الثاني الذي زار عام ١٨٩٨ الآستانة وبلاد الشرق، ولكن لم يحصل هرتزل والحركة الصهيونية على أية نتيجة تذكر.

وفي ١٣ آب (أغسطس) ١٨٩٩ أرسل هرتزل رسالة إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بمناسبة بدء جلسات المؤتمر الصهيوني أوضح فيها « إن الصهيونيين المجتمعين في مؤتمر بال يعتبرون أن واجبهم الأول هو أن يرفعوا تعهدهم باخلاصهم وتقديرهم للطف جلالته نحو رعاياه اليهود إلى أعتاب عرش جلالة السلطان. إن الصهيونيين يرغبون في اغاثة أخوانهم التعساء في دول أوروبا المختلفة، وفي الاسهام في عظمة الامبراطورية العثمانية وازدهارها، وأنهم ليأملون باخلاص أن يحظى ولاء هذه الرغبات بتقدير وتشجيع حكمة الخليفة العظيمة »[٢]. غير أن الموقف العثماني الثابت من الهجرة اليهودية ومشروع الدولة اليهودية، كان قد ظهر واضحاً منذ سنوات، ولهذا تجاهل السلطان عبد الحميد الثاني المطالب الجديدة، ولم يرسل إليه رسالة جوابية بهذا الخصوص.

والجدير بالذكر أن الزعيم الصهيوني هرتزل استمر في محاولاته دون ملل أو

---

(١) يوميات هرتزل، أول تموز (يوليه) ١٨٩٨، ص ٦٤٤ (ت. ع. ص ٦٧).

(٢) يوميات هرتزل، ١٣ آب (أغسطس) ١٨٩٩، ص ٨٦٠ (ت. ع. ص ١٤٩).

يأس، بل أنه في ١٣ أيار (مايو) ١٩٠١ توجه إلى استانبول ـ وكانت ثالث زيارة له بعد زيارتيه في عامي ١٨٩٦ و١٨٩٨ ـ محاولاً الاجتماع بالمسؤولين العثمانيين وبالسلطان العثماني ليس كزعيم صهيوني وإنما كصحافي صهيوني. وبعد مضي خمسة أيام من وصوله إلى استانبول، استطاع الحصول على مقابلة السلطان ولكن « ڤامبري »[1] (Vambery) حذره قبل الاجتماع من الانجراف في آراء مضادة لما يفكر به السلطان وقال له: « إياك أن تحدثه عن الصهيونية. أنها فانوس سحري، القدس مقدسة لهؤلاء الناس مثل مكة »[2].

وفي ١٨ أيار (مايو) عام ١٩٠١ جرت المقابلة بين السلطان وهرتزل الذي حرص على مرافقة حاخام اليهود في تركيا « موسى ليڤي » (Moshe Levy) وفي الاجتماع بدأ هرتزل ممالأة واستعطاف السلطان ـ بواسطة مترجم القصر الخاص ابراهيم بك ـ وقال له: « إني أكرس نفسي لخدمته لأنه يحسن إلى اليهود، واليهود في العالم كله مدينون له بذلك. وإني بشكل خاص مستعد لتأدية أية خدمة له وخاصة الخدمات الكبيرة... »[3] وأشار إلى الخدمات المالية لاصلاح الاقتصاد العثماني المتدهور وتصفية الديون المقدرة بمليون ونصف مليون جنيه، وعرض توسطه لايقاف حملات صحف « تركيا الفتاة » في أوروبا. ثم لمح إلى أن الحركة الصهيونية تهدف إلى إيجاد « ملجأ لليهود » في الأراضي المقدسة. وكان الحاخام موسى ليڤي يؤيد هذا الرأي، فبادره السلطان غاضباً: « إننا نظن بأن بني قومكم يعيشون في الممالك المحروسة الشاهانية بعدالة ورفاة وأمن... وأضمن أنكم تعاملون نفس المعاملة الحسنة التي يعامل بها كافة تبعتنا دون تفريق أو تمييز ويعيشون في أمن واعتماد. هل لكم شكاية ما أو هنالك معاملة غير عادلة ولا نعرفها نحن؟ » ويضيف المؤرخ التركي جواد رفعت اتلخان ـ المعاصر للسلطان عبد الحميد ـ بأن الحاخام موسى ليڤي أجاب السلطان بخوف وقال: « استغفر الله سيدنا ... بفضل ظل شاهانتكم نعيش بكمال الرفاه. حاشا لا توجد لنا شكاية ما، إننا نسترحم فقط جعل قومنا العائش مشتتين [مشتت] فوق الأرض صاحب وطن في ظل شاهانتكم

(١) ڤامبري: جاسوس عثماني ومستشرق هنغاري، يهودي الأصل، تزوج من أميرة عثمانية ووطد علاقاته مع الباب العالي.

(٢) يوميات هرتزل، ١٨ أيار (مايو) ١٩٠١، ص ١٠٩٢ (ت. ع. ص ١٧٢).

(٣) يوميات هرتزل، ١٨ أيار (مايو) ١٩٠١، ص ١١١٣ (ت. ع. ص ١٧٣).

ليقوموا هناك بفرائض الشكر والدعاء لحياة سيدنا العظيم طول بقاء الدنيا ». فرد السلطان منزعجاً: « لا يمكن أن نعمل أكثر مما عملناه حتى الآن لجماعتكم حيث أنكم تستفيدون من كافة خيرات بلادنا كمواطنينا الآخرين، بل أنتم تنعمون ومرهفون أكثر من سواكم، فأظنكم نسيتم الاضطرابات والعذاب ـ الذي كنت ترونه في أنحاء الدنيا ـ في أحضان شعبي الشفيق... » ثم وقف السلطان لحظة ودار نظره إلى هرتزل أولاً ثم إلى الحاخام وقال له: « أليس بكذلك يا حاخام افندي؟... إن بلادنا التي حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء أجدادها... لا يمكن أن نفرط بشبر منها دون أن نبذل أكثر مما بذلناه من دماء في سبيلها »[1] وأضاف السلطان « إني أحب تطبيق العدالة والمساواة على جميع المواطنين، ولكن اقامة دولة يهودية في فلسطين التي فتحناها بدماء أجدادنا العظام فلا... »[2].

وذكر السلطان أنه لو علم بأن هذا الاجتماع سيدور حول فلسطين لاضطر منذ البدء إلى إلغائه، غير أن الاجتماع انتهى برفض السلطان اعطاء فلسطين لليهود. وقد علق هرتزل على هذا الاجتماع بكثير من الاتهامات، غير أنه أبدى اعجابه بالسلطان حينما قال: لقد تأثرت بأقوال السلطان التي تتسم بالحقيقة والفخر، بالرغم من أنها تضع في الوقت الحاضر نهاية لكل آمالي[3].

وفي ١٢ شباط (فبراير) عام ١٩٠٢ سافر « هرتزل » إلى استانبول في زيارة رابعة، ولكنه لم يستطع في هذه المرة مقابلة السلطان عبد الحميد الثاني، غير أنه اجتمع مع ابراهيم بك وعزت بك. وفي هذا الاجتماع تبين بأن الحكومة العثمانية تقبل القروض من البيوتات المالية اليهودية، ولكن لا يعني ذلك قبولها بانشاء الدولة اليهودية في فلسطين، بل أن ابراهيم بك افهم هرتزل بأنه إذا جاء اليهود إلى أراضي الدولة فانهم سيخضعون للقوانين العثمانية ويتخلون عن جنسياتهم السابقة ويصبحون رعايا عثمانيين، وأن الدولة هي التي

(١) جواد رفعت اتلخان: الخطر المحيط بالاسلام، الصهيونية وبروتوكولاتها، ص ١٢١، ١٢٣، ١٢٤. وللمزيد من التفصيلات عن معاملة السلطان عبد الحميد الثاني الحسنة لليهود انظر:

The *Jewish Encyclopedia*, vol. I, P. 47.

(٢) جواد رفعت اتلخان: الاسلام وبنو اسرائيل، ص ١٥٢ (كتاب غير منشور).

(٣) A. Chouraqui; *Theódor Herzl*, P. 148.

ستعين المناطق التي سيسكنها اليهود كالعراق وآسيا الصغرى باستثناء فلسطين.

واستمر هرتزل ينشط على الصعيد العثماني والأوروبي لتحقيق التطلعات الصهيونية، فاجتمع في ١٢ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٠٣ باللورد «روتشيلد» في لندن لتأمين الأموال لعملية الاستعمار اليهودي. وفي ٢٣ نيسان (ابريل) ١٩٠٣ قابل هرتزل «تشمبرلن» (Chamberlin) وزير المستعمرات البريطانية طالباً مساعدته، غير أن الوزير البريطاني بادره بالقول أن بريطانيا تفكر في اسكان اليهود في أوغندا، غير أن هرتزل رفض هذا الاقتراح.

وفي ٢٢ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٠٤ سافر هرتزل إلى روما وقابل وزير خارجية الفاتيكان الكاردينال «ميري دي فال» وطلب منه تأييد البابا بيوس العاشر للصهيونية لأن القدس ستبقى «خارج نطاق حكمنا» على حد قول هرتزل، غير أن الوزير دي فال أعلن موقف البابوية السابق وهو رفضه لايديولوجية الحركة الصهيونية. وفي ٢٣ كانون الثاني (يناير) من العام نفسه قابل هرتزل ملك إيطاليا الذي أبدى عطفاً على المشروع الصهيوني وشجع هرتزل على المضي في مشروعه.

والواقع فان هرتزل بدأ يلقى في هذه الفترة التأييد من الأوساط البريطانية والايطالية والروسية والنمساوية وحتى الألمانية أيضاً، وذلك لأسباب استعمارية ولتقويض أركان السلطنة العثمانية، وطلب من هذه الأوساط التدخل لدى السلطان عبد الحميد الثاني ليقبل بالفكرة الصهيونية مقابل إيفاء الديون العثمانية. ولكن السلطان أفهم مجدداً وسطاء هرتزل رفضه للمشروع الصهيوني وقال: «انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع. إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي، لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الأرض، ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم. إذا مزقت امبراطوريتي فلعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولاً في جثتنا، وإني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة».

ومن الواضح أن هذا القرار السلطاني أثر تأثيراً مباشراً على المنظمة الصهيونية، بل وعلى الدول الأوروبية حيث رأت أن السلطان عبد الحميد الثاني

لم يغير مواقفه من الاستيطان اليهودي، وهذا مما يؤثر على تطلعاتها مباشرة.

وكان الموقف الذي اتخذه السلطان نتيجة قناعة وشعور منه بأن الهدف من تدخل الدول الأوروبية في المسألة اليهودية هو زرع شعب غريب في الأراضي المقدسة من الدولة العثمانية والعمل على اضعافها ليجري تقسيمها والسيطرة على جميع مناطقها. وللدلالة على ذلك ما اتخذته الحكومة البريطانية من موقف معارض ومستمر للقوانين العثمانية الخاصة بالهجرة اليهودية، فقد أوعزت إلى قنصلها في القدس في نيسان (ابريل) عام ١٩٠٤ «إلى أن الحكومة البريطانية لن تقبل قوانين الهجرة، ومن أجل ذلك لا يمكن ارغام اليهود الانجليز على مغادرة البلاد»[١] ولكن الحكومة العثمانية أصرت بدورها على تنفيذ قوانينها الخاصة بالهجرة وبيع الأراضي سواء لليهود أو للشركات الأجنبية اليهودية، كما مانعت باجراء معاملات نقل الملكية إليها، ففي عام ١٩٠٤ تمسكت الحكومة العثمانية بقرار منع بيع الأراضي والعقارات في فلسطين إلى اليهود من جميع الجنسيات، لأن معظم اليهود الأجانب كانوا يأتون إلى فلسطين بغرض شراء الأراضي والاقامة الدائمة»[٢].

وتذكر بعض المصادر الصهيونية أنه بسبب الموقف العثماني المتصلب من المشروع الصهيوني، عرض على هرتزل اقتراح لا يمكن للصهيونية أن تحقق مشروعها بدونه، وهو يقضي بأن يبحر هرتزل إلى البوسفور في سفينتين وينسف قصر «يلدز» ويعمل على اتاحة الفرصة للسلطان عبد الحميد بالهرب أو القبض عليه وتعيين سلطان آخر بدلاً منه. ورغم غرابة الاقتراح فقد درسه هرتزل وقدر تكاليفه وفكر بعواقب فشله. وقد طرحت الفكرة في ٢٤ شباط (فبراير) عام ١٩٠٤ وقرر هرتزل اللجوء إليها إذا فشلت مساعيه الأخيرة السلمية في استانبول. غير أنه سرعان ما بدل رأيه بسبب خشيته من قيام مذبحة هائلة يمنى بها اليهود في الدولة العثمانية إذا فشل المشروع[٣].

والواقع فان هرتزل ظل حتى آخر أيامه يسعى بشكل دؤوب من أجل

---

(١) Dickson to O'Conor, 17 April 1904, No. 20, in F.O.195/2106.

(٢) Dickson to O'Conor, 12 oct. 1904, No. 64, in F.O.195/2175.

(٣) انظر: يوميات هرتزل، ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٠٤، ص ١٦١٤، ١٦١٩، ١٦٢١ (ت ع.ص ٣٥٦-٣٥٩). انظر أيضاً:

N.Mandel, *op.cit;* P. 105.

تحقيق المشروع الصهيوني، وبوفاته في ١٦ أيار (مايو) عام ١٩٠٤ فقدت الحركة الصهيونية زعيماً نشيطاً لها وطويت بوفاته صفحة نشطة من التحرك الصهيوني.

وفي الفترة الممتدة بين ١٩٠٥ ـ ١٩٠٨ شهدت الحركة الصهيونية نشاطاً جديداً بقيادة ماكس نوردو (M. Nordeau) وحاييم وايزمان (Ch. Weizmann) وسواهما، وذلك على الأصعدة الدولية والعثمانية، وفي المقابل فإن الموقف العثماني استمر على حاله من المشروع الصهيوني. ولهذا فان مؤتمر «كامبل بانرمان» الاستعماري الذي عقد في عام ١٩٠٧، إنما كان الهدف منه تفتيت الدولة العثمانية وتقويض أركانها وذلك بالموافقة على إيجاد الدولة اليهودية في فلسطين، والعمل على تغيير النظام والحكم العثماني، وكان التعاون الصهيوني ـ الدولي قد بدأ يتضح تدريجياً لتحقيق هذه المشروعات.

دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش

(١٩٠٨ ـ ١٩٠٩)

١ ـ السياسة الاسلامية للسلطان عبد الحميد الثاني.

٢ ـ السياسة الدولية للسلطان عبد الحميد الثاني.

٣ ـ الوفاق الصهيوني ـ الدولي ـ المحلي لخلع السلطان عبد الحميد الثاني.

٤ ـ دور اليهود في ثورة عام ١٩٠٨ ودورهم في خلع السلطان عام ١٩٠٩.

١ – السياسة الاسلامية للسلطان عبد الحميد الثاني

أدرك السلطان « عبد الحميد الثاني » ، أنه لا يمكن بقاء الدولة العثمانية – لا سيما بعد ظهور تدهور أوضاعها – إلا بالاعتماد على المسلمين والعرب وتأييدهم في مواجهة التدخل الأوروبي في شؤون الدولة . وكانت سياسته تقضي بالحفاظ على ما تبقّى من ولايات في حوزة الامبراطورية العثمانية ، وكان معنى ذلك أن لا يثير غضب المسلمين والعرب في ممارسة نشاطاته السياسية . ولما كانت الحركة الصهيونية تسعى لدى الحكومة العثمانية بتحقيق مشروع استيطان فلسطين ، كان المسلمون والعرب يرون في هذه المباحثات امتحاناً عملياً لإخلاص السلطان نحوهم ونحو « قدسهم » . وقد حدد كثير منهم موقفه تجاه عبد الحميد من خلال قوانين الهجرة اليهودية ، ومن خلال موقفه من مشروع « هرتزل » ، ومن هنا جاء رد السلطان بعدم الموافقة على هذا المشروع .

ويرى البعض بأن السبب في رفضه المشروع الصهيوني هو لرغبته في تجنب إثارة العرب من جهة ، ولتجربته مع الأقليات ، ولهذا فهو لا يريد أقلية جديدة تتعبه من جهة ثانية [١] . ثم ان السلطان كان يعاني في هذه الفترة من نمو الشعور القومي لدى قوميات عديدة في امبراطوريته مثل : القومية العربية ، القومية البلغارية ، اليونانية ، الأرمنية ، والسلافية ، ولذلك فإن أعطى اليهود أية امتيازات في فلسطين فمعنى ذلك انه يخلق لنفسه مشكلة قومية جديدة . وكثيراً ما حاولت الأقليات في الدولة العثمانية أن تبرز نشاطها وتسعى لاستقلالها السياسي والثقافي والاجتماعي ،

---

(١) هاني الهندي : حول الصهيونية واسرائيل ، ص ٥٤ .

وكثيراً ما عانت الدولة من مشكلة الأقليات التي حاول السلطان عبد الحميد « عثمنتها » ، إلا أن أكثرها رفض الإنصهار بحكم نزعاتها الاستقلالية ، فكانت الدولة تحارب هذه الاتجاهات سواء العربية أو الأرمنية ، حتى انه كانت هناك نزعة استقلالية آرامية – وان كانت ذات فعالية بسيطة – ويذكر بأن « نعوم فائق »[1] الآرامي حاول إعادة تراث وحضارة الآراميين ، فلم يجد الجو السياسي الملائم ، ويقول فيليب دي طرزي[2] عنه أنه « لما رأى هذا الصحافي الآرامي الفاضل أن النجاح لا يتوفر لمهنته في دائرة وطنه تحت لواء الدولة العثمانية حوّل نظره إلى العالم الجديد ليشتغل في بلاد الحضارة تحت سماء الحرية ، فسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهناك استعان بما رزقه الله من النشاط وتوقّد الذهن على دعوة أمته إلى التنبه من غفلتها لاسترجاع سابق عزها . ولم يلبث أن جدد هناك نشر جريدته « بين النهرين » ، وهي باكورة الصحف السريانية التي ظهرت في البلاد الأمريكية[3] .

هذا بالنسبة لمحاولات الأقليات الإستقلالية ، أما بالنسبة للمشروع الصهيوني فقد أثبتت الأحداث السياسية بأن السلطان عبد الحميد الثاني لم يرفضه لتخوفه من وجود أقلية جديدة فحسب ، وإنما كانت هناك أسباب عديدة في مقدمتها :

١ – ردود الفعل العربية الفلسطينية ضد الهجرة اليهودية ، بعد أن تزايدت خطورتها على المواطنين العرب .

(١) نعوم فائق (١٨٥٦ – ؟) صحافي آرامي سرياني ، حاول بعث اللغة والآداب والتاريخ السرياني ، وأنشأ في ديار بكر جريدة « بين النهرين » وكان يطبعها باللغات الآرامية والعربية والتركية بحروف سريانية . وفي عام ١٨٩٦ تعرف على فيليب دي طرزي في بيروت وذلك قبل سفره الى أمريكا .

(٢) الكونت فيليب دي طرزي ، وهو من مواليد بيروت ١٨٥٦ ، وكان له الفضل في تأسيس دار الكتب الوطنية ببيروت ، له مؤلفات ومخطوطات عديدة منها على سبيل المثال :
١ – تاريخ الصحافة العربية ، بيروت ١٩١٣ .
٢ – السلاسل التاريخية في أساقفة الأبرشيات السريانية ، بيروت ١٩١٠ .

(٣) الكونت فيليب دي طرزي : القول الصادق في الأستاذ نعوم فائق ، ص ٢ ، رقم المخطوط ١٢٨ – دار الكتب الوطنية – بيروت .
حول الأقليات في الدولة العثمانية أنظر أيضاً : حنا أبي راشد : جبل الدروز ، الطبعة الأولى ، مصر ١٩٢٥ . د. ك. ل. استارجيان : تاريخ الأمة الأرمنية ، الموصل ١٩٥١ .

٢ – شعور السلطان العثماني بخطورة الحركة الصهيونية وأطماعها في فلسطين .
٣ – دور الجامعة الإسلامية والمشاعر التي انبثقت عنها .

والجدير بالذكر ، أنه أثناء مفاوضات هرتزل مع المسؤولين العثمانيين أدرك السلطان أن هناك مشاعر إسلامية ضد المشروع الصهيوني تزداد قوة يوماً بعد يوم أكثر مما توقّع ، ومن أجل ذلك قطع وعداً استجابة للاحتجاجات التي صدرت عن فلسطين بأنه سيفرض رقابة على الهجرة اليهودية[1] . ومما يؤكد ذلك الجهد الذي بذله السلطان من أجل انتزاع سيناء من حكومة خديوي مصر عباس حلمي (١٨٩٢ – ١٩١٤) بهدف الحفاظ على سيناء بعيدة عن متناول الصهيونية ، لأن محاولة إستيطان اليهود في العريش كانت بمثابة نقطة وثوب إلى فلسطين . بل ان السلطان كان مطالباً أيضاً في هذه الفترة باستعادة مصر كلها من أيدي الإنجليز ، وتجلت هذه المطالبة عندما حددها « جمال الدين الأفغاني »[2] بقوله : « إن مصر بحدودها الطبيعية وملحقاتها تعدُّ من الأملاك العثمانية ، وإنه لا يسمح للخديوي أن يتنازل عن قطعة أرض منها صغرت أو كبرت لأجنبي كائناً من كان لأي سبب ولا بأي وجه ، ولا يسوغ له أن يتخلى عن شيء من الامتيازات الممنوحة لمصر مهما كانت الأسباب والحوادث ... »[3] . وفي معرض مطالبته بخضوع مصر للسيطرة العثمانية حذّر خديوي مصر بأنه يجب عليه أن يلتزم بالمعاهدات والفرامانات السلطانية ، وأن لا يفرّط بعثمانية مصر .

والواقع أن « جمال الدين الأفغاني » كان مدركاً أهمية مصر بالنسبة لمصير

(١) جفريز : فلسطين اليكم الحقيقة ، ص ٨٣ .

(٢) جمال الدين الأفغاني : (١٨٣٨ – ١٨٩٧) من مواليد كابل في أفغان . سافر الى الهند بعد اتمام علومه في أفغان ، ثم توجه الى الحجاز عام ١٢٧٣هـ – ١٨٥٧م لأداء فريضة الحج . وفي عام ١٨٧١ توجه الى مصر ، ومكث فيها ثماني سنوات وكانت فترة مليئة بالنشاط السياسي والديني ، وفي عام ١٢٨٧هـ – ١٨٧٠م سافر الى الآستانة حيث استقر في بلاط السلطان عبد الحميد الثاني لمدة خمس سنوات . وفي عام ١٨٨٣ اتجه الى أوروبا حيث زار لندن وباريس ثم زارهما ثانية عام ١٨٩٢ . هاجم الاستعمار الانجليزي بشكل بارز وفعال ، وطالب بضرورة تنفيذ الوحدة الاسلامية . وقد طاردته السلطات البريطانية في مصر وغيرها من المناطق التي زارها وعطلت مجلته « العروة الوثقي » وهي لا تزال في مهدها ووضعت العقبات في طريقه أينما سار .

(٣) جمال الدين الأفغاني – محمد عبده : العروة الوثقى ، ص ٢٢٦ .

ومستقبل بلاد الشام ، ومن هنا كانت مطالبته مع الشيخ محمد عبده بابقائها تابعة للدولة العثمانية وضرورة جلاء الأنجليز عنها فقد قال : « أما الدولة العثمانية فلو حولت النظر عن حقوقها الثابتة في الأراضي المصرية من وجوه كثيرة فليس يخفى علينا أن الولاية على تلك الأراضي هي الركن الأعظم للسلطة العثمانية في سوريا ، وقسم عظيم مما يتصل بها من آسيا الصغرى وفي الحجاز واليمن فمن المفروض على العثمانيين أن يبذلوا وسعهم لصيانة مصر دفاعاً عن حقوقهم المقررة وحفظاً لشوكتهم في معظم ممالكهم ، ولا يسوغ لهم شرائع الملك أن يفرطوا في المسألة المصرية لا في جزئي منها ولا كلي ، فان مصر عقدة تتصل بها أطراف السلطنة العثمانية فإذا انحلت فقد انحلت — والعياذ بالله — سائر العقد »[1] .

ومن ناحية أخرى ، فقد كان السلطان عبدالحميد الثاني يدرك أهمية مصر بالنسبة لمستقبل فلسطين ، ومن أجل ذلك كانت محاولاته الدائمة لإعادة سيطرته الفعلية عليها ، إلا أن الظروف السياسية والعسكرية وتمسك الإنجليز بها حال دون تحقيق ذلك . غير أنه يمكن القول أيضاً بأن رفض السلطان للمشروع الصهيوني إنما يرجع إلى تزعمه لحركة « الجامعة الإسلامية » التي رفع لواءها . حقيقة كانت فكرة الجامعة الإسلامية تهدف إلى تحقيق مكاسب سياسية ، ولكن كيف يستطيع عبدالحميد أن يفسر للمسلمين وللعرب قبوله توطين اليهود ؟ وكيف يقنعهم ببيع الأراضي المقدسة لهذه الجماعات ؟ الواقع أن السلطان عبدالحميد كان يخشى غضب الرأي العام الإسلامي . ومما يدل على ذلك حرصه الدائم على إبقاء علاقاته طيبة مع المسلمين والعرب منهم بالذات ، ويذكر في معرض انتقاده لسياسة مدحت باشا — الصدر الأعظم — الإسلامية فيقول : « إن مدحت باشا قد ولّى المناصب الكبرى المسيحيين والروم في المناطق الواقعة خارج تركيا والخاضعة للأمبراطورية العثمانية . ان مثل هذه الأعمال تؤلب المسلمين علينا »[2] .

والجدير بالذكر أن « الجامعة الإسلامية » كانت في حقيقة ذاتها أداة دينية لتقوية سلطة عبدالحميد السياسية في العالمين العربي والإسلامي ، وبواسطتها استطاع أن يحتفظ بولاء العناصر الإسلامية غير التركية داخل

(١) جمال الدين الأفغاني — محمد عبده : المصدر السابق ، ص ٣٠٧ .
(٢) Sultan Abdül Hamid,in: *Hatira Defteri.*

الأمبراطورية العثمانية ، واستطاع أيضاً أن يكسب إلى جانبه جميع المسلمين خارج حدودها[1] . ومن أجل ذلك — ولفترة طويلة — اعتمد في حكمه على مجموعة من المسلمين العرب وغير العرب ومنهم عزت باشا العابد وأبوالهدى الصيادي وسليم باشا ونجيب باشا ملحمه ، وكان لجمال الدين الأفغاني دور مؤثر في سياسة السلطان ، فبعد ان كان خصماً عنيداً لسياسة عبدالحميد إذا به يبدل رأيه فيه ويؤيد سياسته ، ثم رأى أن الاهانة التي تمس الدولة العثمانية تنال جميع المسلمين في الشرق والغرب[2] .

وكان « جمال الدين الأفغاني » يناهض الإستعمار الأوروبي في المناطق الإسلامية الخاضعة للنفوذ الأوروبي ، وخص باهتمامه مصر ، ورأى أن نشاط السلطان وغيرته وهمته هي التي أثارت روح الأنفة عند المصريين ودعتهم للتخلص من تسلط الإنجليز بعزيمة ثابتة وقلوب غير واجفة[3] . وكان « الأفغاني » يحاول أن يوقف الزحف الأوروبي عامة والبريطاني خاصة عن طريق القوة المنظمة للحكومات الإسلامية ، وكانت حركة الجامعة الإسلامية تدعو إلى ضرورة وحدة المسلمين شعوباً وحكومات للوقوف في وجه التيار الأوروبي الزاحف . ولذلك اعتمد الأفغاني على تعاضد المسلمين ووحدتهم واستند على أسس اسلامية وعمل على الصعيد السياسي مباشرة ضد النفوذ الأوروبي المتغلغل ، إلى جانب الدعوة الإصلاحية ضد المساوىء الدينية والإجتماعية التي دخلت المجتمعات الإسلامية[4] .

ولما وافق السلطان « عبد الحميد الثاني » على المطالب الإسلامية اخذ الافغاني يؤيد السلطان ويقول فيه : « رأيته يعلم دقائق الأمور السياسية ومرامي الدول الغربية ، وهو معد لكل هوة تطرأ على الملك مخرجاً وسلماً . وأعظم ما أوحشني ما أعده من خفي الوسائل وأمضى العوامل كيلا تتفق اوروبا على عمل خطير في الممالك العثمانية ، ويريها عياناً محسوساً ان تجزئة السلطنة العثمانية لا يمكن إلا بخراب يعم الممالك الأوروبية بأسرها ...»[5] ورأى الافغاني ان السلطان رجل داهية إذ انه كلما

(١) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ .
(٢) جمال الدين الأفغاني — محمد عبده : العروة الوثقى ، ص ٢٧٢ .
(٣) جمال الدين الأفغاني — محمد عبده : المصدر نفسه ، ص ٣١٢ .
(٤) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ — ١٩١٤ ، ص ٢٤١ .
(٥) محمد باشا المخزومي : خاطرات جمال الدين الأفغاني ، ص ٣٥ .

حاولت أوروبا أن تجمع كلمة البلقان للخروج على سيادة الدولة بحرب تقيمها ؛ كان السلطان يسارع بدهائه لحل ما ربطوه وتفريق ما جمعوه من كلمة وخطط . ويرى الأفغاني أن السبب الذي دعاه إلى تأييد السلطان ومبايعته هو حرص السلطان على التصدي للدول الأوروبية وتأييده لنهضة المسلمين ، ويقول الأفغاني في هذا الصدد : « ... أما ما رأيته من يقظة السلطان وشدة حذره واعداده العدة اللازمة لإبطال مكايد أوروبا وحسن نواياه واستعداده للنهوض بالدولة — الذي فيه نهضة المسلمين عموماً — فقد دفعني إلى مد يدي له فبايعته بالملك والخلافة »[١].

وكانت « الجامعة الإسلامية » قد قوّت من شوكة السلطان عبدالحميد ، باعتباره ممثل المسلمين ورافع لواء الجامعة . وقد رأت أوروبا أن السلطان العثماني استطاع استغلال المشاعر الدينية عند رعاياه خاصة وعند المسلمين عامة ، وبواسطة هذا الإستغلال يستطيع أن يهدد النفوذ الأوروبي ليس في المناطق العثمانية فحسب وإنما أيضاً في المناطق الإسلامية الخاضعة مباشرة للحكومات الأوروبية ، وبالفعل فقد بدأ السلطان يهدد الدول الأوروبية بنصرة العالم الإسلامي لمنصب الخلافة ، فالمسلمون في ألبانيا يهدد بهم النمسا ، والمسلمون التتر والأكراد يهدد بهم روسيا ، والمسلمون في الهند يهدد بهم انجلترا ، والمسلمون في الغرب يهدد بهم فرنسا[٢].

والواقع أن السلطان عبدالحميد استطاع الإفادة من « الجامعة الإسلامية » والأفكار التي انبثقت عنها ، ونظراً لِما لمسه من مشاعر قد تفيده في الميادين السياسية والعسكرية ، عمد إلى المضي بسياسته الإسلامية ، بل لقد أدى به الأمر إلى الانتساب إلى الطرق الصوفية الإسلامية لإرضاء نزعات بعض المسلمين وكسب تأييدهم .

ويوضح السلطان « عبدالحميد الثاني » الأسباب التي دعته إلى الوقوف في وجه الهجرة اليهودية فيقول في مذكراته « إنه كان لا بد من إشغال الأراضي الخالية من السكان في داخل امبراطوريتنا (Dahili Iskân) وكان علينا أن نتبع طريقة تهجير مناسبة ، ولكننا لم نجد أن هجرة اليهود مناسبة ، لأننا لا نريد أن نزرع في أرضنا سكاناً لا ينتمون إلى نفس

(١) محمد باشا المخزومي : المرجع السابق ، ص ٣٨ .
(٢) محمد أنيس ، المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

ديننا وعاداتنا حتى لا نمكنهم من السيطرة على الحكم ، ولذلك نقبل ان يكون المهاجرون من نفس الدين والايمان وواجبنا يحتم علينا تقوية العنصر التركي المسلم ، وإلى تشجيع هجرة المسلمين إلى البوسنة والهرسك وبلغاريا والعمل لاستيطانهم فيها ... »[١]. ويلخص السلطان سياسته تجاه فلسطين والعرب المسلمين بتوقعات يرى في حدوثها نكبة على الأراضي المقدسة وأهلها فقد أوضح « أن دولاً أوروبية كثيرة أرادت التخلص من اليهود وأيدت هجرتهم إلى فلسطين ، ولكن في دولتنا عدد كبير من اليهود ، فإذا كنا نريد أن يستمر العنصر العربي الإسلامي متفوقاً في فلسطين يجب أن لا نسمح بهجرة اليهود إليها ، وإذا كان الأمر عكس ذلك وسمحنا بالهجرة فإنهم بفترة قصيرة يسيطرون على الحكم وتصبح فلسطين تحت سيطرتهم ، ونكون بذلك قد قضينا بأيدينا على عنصر ديننا بالموت الأكيد »[٢].

هذا وقد لعبت سياسة « عبدالحميد الثاني » دوراً مؤثراً في وقف الهجره اليهودية إلى الأراضي المقدسة أتبعها بسلسلة من الفرمانات السلطانية طلب فيها من موظفي الادارة العثمانية أن يطبقوها بحذافيرها ، في الوقت الذي كان فيه زعماء المنظمة الصهيونية يطلبون في مفاوضاتهم مع السلطان الحصول على وثيقة رسمية تعلن قبول القادمين اليهود دون قيد أو شرط على أن يعلن ذلك السلطان نفسه . ولكن السلطان — كما هو معلوم — رفض مثل هذه الأمور لأسباب عديدة ، ولموقع الدولة العثمانية بالنسبة إلى شعوب العالمين العربي والإسلامي ، لا سيما وان بعضاً من المسلمين والعرب كانوا يرون فيها ضمانة لحمايتهم واستقلالهم عن الدول الأوروبية ، ذلك أنه في عام ١٨٩٨ نشر الزعيم المصري « مصطفى كامل » كتاباً بعنوان « المسألة الشرقية » أكد فيه ضرورة الحفاظ على الدولة العثمانية ودعا إلى تأييدها والالتفاف حول رايتها ، لأنها هي الدولة الوحيدة التي يمكن أن تحارب الإستعمار البريطاني في مصر وبقية المناطق الإسلامية والعربية وذكر « أن بقاء الدولة العلية ضروري للنوع البشري ، وان في بقاء سلطانها سلامة أمم الغرب وأمم الشرق »[٣].

(١) Sultan Abdul Hamit; *Siyasi Hätirätim*, p. 57.
(٢) *Ibid.*, p. 60.
(٣) مصطفى كامل ، المسألة الشرقية ، ص ١٣ ، وصفحات متفرقة من الكتاب .

واستمراراً لسياسة « الجامعة الإسلامية » بدأ السلطان بتنفيذ مسروع خط سكة حديد الحجاز في ربيع عام ١٩٠١ وانتهى في خريف عام ١٩٠٨ ، حيث أوصـل القسطنطينية بالمدينة المنورة ، مخترقاً سورياً من الشمال إلى الجنوب ، فكان ما أنفقه على هذا المشروع ثلاثة ملايين ليرة ، جمع أكثر من ثلث المبلغ من تبرعات المسلمين في جميع أقطارهم [١]. وكان من ضمن الأسباب الهامة لإنشاء هذا الخط هو استمالة عطف المسلمين في جميع أنحاء العالم وكسب صداقتهم ، لما يترتب عنه من تيسير سبل أداء فريضة الحج. ولكن « جورج أنطونيوس » يرى أن لهذا المشروع أهدافاً سياسية وحربية قبل كل شيء ، إذ أن السلطان كان يهدف من وراء إنشائه وصول جيشه بالسرعة اللازمة إلى شبه الجزيرة العربية والعودة منها ، وكان من قبل مضطراً إلى نقلهم بالبحر بواسطة قناة السويس [٢]. إلا أنه مما لا شك أن هذا المشروع الذي أشرف عليه « عزت باشا العابد » ونفذه مهندسون ألمان كان له وقع طيب ومؤثر في نفوس المسلمين [٣]. ويؤكد « أنطونيوس » هذه الحقيقة بقوله : « ان تنفيذ المشروع كان ضربـة خبير في السياسة ، فقد أثار الحمـاسة البالغة في جميع ديار الإسلام ، وربما كان له من الأثار في تثبيت مكانة الخلافة أكثر من جميع خطط عبد الحميد الأخرى » [٤]. ويدل على ذلك ما ذكره سفير بريطانيا في الآستانة في تقريره السنوي عام ١٩٠٧ حيث قال : « يمكننا أن نقرر بأنه من بين حوادث السنوات العشر الأخيرة على الأقل يوجـد عنصران بارزان في الموقف السياسي العام ، الأول هو خطة السلطان الماهرة التي استطاع بها أن يظهر أمام ثلاثمائة مليون من المسلمين في ثوب الخليفة — الذي هو الرئيس الروحي في الدين الإسلامي — وأن يقيم لهم البرهان على قوة شعوره الديني وغيرته الدينية ببناء سكة حديد الحجاز التي ستمهد الطريق في القريب العاجل أمام كل مسلم للقيام بفريضة الحج ، وقد ترتب على هذه السياسة أنه أصبح حائزاً على خضوع

(١) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ١٤٢ ، أنظر أيضاً : فيليب حتى ، المرجع السابق ، ص ٣٤٩ .
(٢) جورج انطونيوس ، المرجع نفسه ، ص ١٤٢ .
(٣) أنظر : R. Pinon: *L'Europe et L'Empire Ottoman*, p.p. 385 - 388.
أنظر أيضاً : زين زين : نشوء القومية العربية ، ص ٥٧ .
(٤) جورج انطونيوس ، المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

رعاياه له خضوعاً أعمى بشكل لم يسبق له مثيل والثاني ... » [١] ويعطينا هذا التقرير فكرة عن أهمية المشروع على الصعيد الإسلامي، إلا أنه يجب أن لا يؤخذ على عواهنه وخاصة فيما يتعلق بخضوع المسلمين الأعمى للسلطان إذ أن العرب — المسلمين منهم بالدرجة الأولى — لم يخضعوا للاجراءات التعسفية التي كان يقوم بها السلطان، بل راحوا يطالبون بالاصلاح في الولايات العربية الواقعـة تحت الحكم العثماني [٢] . كما أنهم بدأوا بانشاء الجمعيات السرية والعلنية مطالبين بتطبيق العدالة والمساواة ، وكثيراً ما تعرض أشخاص منهم للعقوبة لقاء مطالبتهم بالإصلاحات التي نادوا بها .

ونظراً لأن روح العصر في الشرق العربي اتسمت بالطابع الديني ، فقد أثّـر مشروع السكة الحديدية ليس على العامة من المسلمين فحسب، وإنما على الخاصة ايضاً ، لا سيما المستفيدين من النظام العثماني وعلى بعض قادتهم ومثقفيهم مثال علي باشـا الإبن الثاني للأمير عبد القادر الجزائري ، الذي شكر السلطان على تحقيقه هـذا المشروع « وهو تمهيد السبيل بين الكعبة ... وتخفيف أثقال الحجة على طلابها بانشاء هذا الخط الحجازي الحالي الذي كان يظن مناط النجم الأعلى فإذا هو قـاب قوسين أو أدنى ، جمع قطر الحجاز وقطر الشام بل الدنيا بأجمعها ... والمسلمون في كل صقع من البلاد يجأرون بالدعاء إلى رب العباد أن يطيل عمر سلطانهم وكفيل عمرانهم .. » [٣].

وذكر « محمد عارف الحسيني » [٤] أهمية تحقيق هذا المشروع من الناحية الدينية والإقتصادية والسياسية وقال ان « السكة الحديـدية الحجازية — الشامية ... أسفرت عن ثروة البلاد والعباد والراحة للحجاج ... وتوطيد

(١) أنظر : محمد أنيس ، المرجع السابق ، ص ٢٤٣ — ٢٤٤ .
(٢) زين زين ، المرجع السابق ، ص ٥٨ .
(٣) من خطاب علي باشا عبد القادر الجزائري موجه الى السلطان عبد الحميد الثاني ، أنظر :
Revue du Monde Musulman, T. 3., pp. 524, 525. (Paris 1907) .
(٤) محمـد عارف الحسيني : هو ابن الشيخ احمد الحسيني الشافعي الدمشقي الرئيس الثاني لمجلس المعارف بدمشق . كتب مقالته : أعظم المآثر السلطانية العثمانية السكة الحديدية الحجازية الشامية في عام ١٣١٨هـ — ١٩٠٠م في منزل صاحب العطوفة محمـد فائق بك يكن أحد أعضاء شورى الدولة . وقد كتبها بمناسبة العيد الخامس والعشرين لجلوس السلطان عبد الحميد الثاني على العرش .
من مؤلفاته الأخرى :
١ — أسمى الرتب في العقل والعلم والأدب ، دمشق ١٨٨٣ م .
٢ — حسن الابتهاج بالأسراء والمعراج ، دمشق ١٣٠٧ هـ .

الأمن والرفاهية وتعمير البلاد الخربة وتأهيل العامرة الخالية ... » وبرأيه ان هذه السكة « تقارب المسلمين بعضهم من بعض وتعارفهم وائتلافهم وتوادهم واتحادهم وإتقان كلمتهم وبيان أحوالهم بالتبادل على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وبعد بلادهم ... »[1].

وفي هذه الفترة تناولت أكثر الصحف العثمانية أهمية هذا المشروع وعددت فوائده وقالت « المنار » عام ١٩٠٨ أنه « مما لا ريب فيه أن السكة الحديدية الحجازية إذا أمكن إيصالها إلى القطر اليماني كانت من خير المشروعات النافعة لبلاد العرب عامة وللدولة خاصة ... وبذلك تكون الدولة قد وصلت بين أقصى بلادها في الجنوب وأقصاها في الشمال والغرب ، إذ تصل بين خط الآستانة والحجاز بخط برجيك المنوي مده من حلب . وفي هذا العمل الجليل من الفوائد الإقتصادية والسياسية ما لا ينكر قدره ومنفعته ، ولا سيما بعد أن صار البحر الأحمر مزدحماً لعدة دول أجنبية وكان من قبل بحيرة عثمانية »[2].

ويتضح من استعراض سياسة السلطان عبد الحميد الإسلامية والعربية بعض الملاحظات الهامة التي نلخصها فيما يلي :

١ – كان رفض عبد الحميد للمشروع الصهيوني نتيجة لردود الفعل العربية ضد الهجرة اليهودية ، ونتيجة لقناعته أن إنشاء دولة يهودية في المنطقة ستخدم الدول الأجنبية التي سعت إلى حماية اليهود في فلسطين ، وتدخلت لصالحهم في أوساط الآستانة .

٢ – ان إتباع السلطان سياسته الإسلامية والعربية ليس لاقتناعه بها فحسب ، وإنما كان من أجل تحقيق تطلعاته السياسية ، لأنه من خلالها يستطيع إستعمال « ورقة رابحة » في مواجهة الدول الأوروبية .

٣ – لم يكن تنفيذ مشروع خط سكة حديد الحجاز – الشام لأسباب دينية فحسب ، بقدر ما هي لأسباب سياسية وعسكرية ، يأتي في

---

(١) مخطوط : أعظم المآثر السلطانية العثمانية السكة الحديدية الحجازية الشامية ، انشاء محمد عارف الحسيني ١٣١٨ هـ . ص ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ . دار الكتب الوطنية الظاهرية – دمشق ، مصنفة تحت الرقم ١٨١٠ .

(٢) المنار ، ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٨ ، م ١١ ، ج ١٠ ، ص ٧٦٧ .

مقدمتها تسهيل عمليات نقل « الفيالق التركية » إلى المناطق العربية في حال نشوب حروب أو ثورات معادية للدولة العثمانية .

٤ – ان الإشراف الألماني على تنفيذ هذا المشروع ، والمساهمة في إنجازه له ما يبرره من الناحية الإقتصادية والسياسية ، فقد حرصت ألمانيا – ولفترة طويلة – على ممارسة نشاطها لإيجاد موطئ قدم لها في المنطقة العربية كي تنافس انجلترا في هذا الميدان . وبالرغم من أن السلطان عبد الحميد كان على علم بأهداف الألمان إلا أنه كان يفضلهم على الانجليز .

٢ – السياسة الدولية للسلطان عبد الحميد الثاني

اصطدمت الهجرة اليهودية إلى فلسطين في عهد السلطان عبد الحميد ، بعدد من القوانين التي وقفت حائلاً دون تزايدها ودون إنشاء المستوطنات اليهودية ، بالرغم من أن كثيراً من المجموعات اليهودية كانت تدخل إلى فلسطين بأساليب غير مشروعة ، إما عن طريق رشوة السلطات المحلية العثمانية ، وإما هرباً عن طريق الحدود المتاخمة لفلسطين مثل ولايتي بيروت – الجنوبية وسوريا التابعتين للدولة العثمانية في تلك الفترة . وبعد انطلاق الحركة الصهيونية عام ١٨٩٧ ، حرصت على إقناع السلطان العثماني بالاستيطان اليهودي في فلسطين ، ليكون ذلك تحت رعايته ، حتى تنهي المنظمة الصهيونية ذاك الشكل غير القانوني في عمليات الهجرة والإستيطان ولما أثبتت الأحداث فشل الإتصالات الصهيونية مع السلطان ، رأى زعماء الصهيونية ضرورة التعاون مع الدول الأوروبية الكبرى للحصول على فلسطين بتأييد منها وبمساعدتها باعتبار أن « الدولة اليهودية » المزمع إنشاؤها هي بمثابة قاعدة للمصالح الأوروبية في الأمبراطورية العثمانية .

وفي الفترة التي أظهرت الصهيونية عداوتها للموقف العثماني ، ظهرت نقمة يهود الدولة العثمانية على السلطان عبد الحميد ، فاستغلوا كل خلل في الدولة للاستفادة منه . ورأت الصهيونية العالمية مع بعض الدول الأوروبية وبالاتفاق مع يهود « الدونمة » حتمية إنهاء حكم السلطان عبد الحميد ، لأن أطماع الصهيونية في فلسطين لا يمكن تحقيقها طالما بقي في الحكم ، في الوقت الذي كانت فيه الدول الأوروبية ترى أيضاً حتمية تقسيم الأمبراطورية

العثمانية للسيطرة على أملاكها ، وإقامة دويلات لليهود والأرمن واليونان وبعض الأقليات الأخرى تكون بطبيعة تكوينها خاضعة للنفوذ الأوروبي. لذا حرصت هذه الدول على تغـذية الروح القومية والانفصالية لعناصر الدولة العثمانية ، وإن تكن هذه الروح القومية – لدى البعض – قد نشأت بدافع ذاتي ونتيجة لظروف سياسية معينة .

والواقع أن السلطان عبد الحميد الثاني أكد في مذكراته هذا الواقع وقال : « إن دول أوروبا الكبرى أرادت تقسيم العالم فيما بينها ومن ضمن ذلك الدولة العثمانية ، وإن الدول الأوروبية كانت تتذرع باعطاء الحقوق للمسيحيين في الدولة العثمانية ، ولكن فهمنا أن هـذا مجرد كلام المقصود منه تقسيم الدولة » . وأضاف أن دول أوروبا اتبعت أساليب « فرق تسد » بين مختلف طوائف الدولة ومن ذلك اسلوبان : « الأول ، تأييد المسيحيين ضد المسلمين ومساعدتهم في شن الثورات والحروب ضد المسلمين . والثاني ، العمل على إيجاد ضديات وفتن بين المسلمين أنفسهم ، وهذا مما يسهل أهداف الدول الأوروبية بعد إضعافنا »[1] .

وكانت إنجلترا وأمريكا أيضاً تساعدان على إثارة هذه الفتن ، ويتجلى ذلك في أحداث الفتن الأرمنية عام ١٨٩٠ وما يليها ، حين كانت إنجلترا ترسل إليهم الذخائر والأسلحة وتحضهم على الاسترسال في التمرد والعصيان . وقد أكدت الصحف العربية « الأهرام » و « المنـار » والصحف الأجنبية « نيويورك هيرالد » هذا التدخل ، كما أكد القسيس « سايروس هملن » في جريدة « نصير الاستقلال الكنسي » بتاريخ ٢٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٣ صحة ذلك ، وذكر أن المرسلين الأمريكيين كانوا يشاركون في إثارة الفتن الأرمنية لإضعاف الدولة العثمانية حتى يتيسر للولايات المتحدة الأمريكية أن تعاقب الحكومة العثمانية عقاباً عاجلاً[2] .

---

(١) Sultan Abdul Hamit;in: *Halira Defteri*; نشر مجلة « ترجمان » التركية .
(٢) للمزيد من التفصيلات أنظر : الأهرام ، ٢٠ آب (اغسطس) ١٨٩٠ ، العـدد ٨٣ ، المنار ، ١٠ نيسان (ابريل) ١٩٠٠ ، م ٣ ، جـ ٧ ، ص ١٦٧ ، المنار ، ٩ حزيران (يونيه) ١٩٠٠ ، م ٣ ، جـ ١٠ ، ص ٢٣٥ ، المنـار ، ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٨ ، م ١١ ، جـ ١٠ ، ص ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، أنظر أيضاً : مصطفى كامل : المسألة الشرقية ، ص ٣٠٥ .

ونتيجة لتعامل الأقليات مع الدول الأوروبية ، حرص جماعـة من العثمانيين على توجيه نداء إلى الأرمن وغيرهم مؤداه أنه لا يجوز قيام الأرمن أو طائفة أخرى بمساعدة الأجنبي وترغيبه فهذا يعتبر خيانة وجناية وضرراً بمنافع الوطن المشتركة . وكان هذا النداء قد وُجه بعد اقتناع الأتراك بأن الإنجليز يقولون بضرورة إنشاء مملكة أرمنية تكون بلا شك تحت رعايتهم وفي ظل حمايتهم[1] . ولكن إنجلترا فشلت في تحقيق ذلك واتجهت فيما بعد اتجاهاً جديداً للتعاون مع الحركة الصهيونية لإنشاء « الدولة اليهودية » في فلسطين . وقد بلغ التدخل الدولي في شؤون الدولة العثمانية أن أصرت الدول الأوروبية في اتفاقية برلين التي عقدت بينها وبين الحكومة العثمانية على إقرار بند خاص باليهود والنصارى الموجودين في أراضي الدولة العثمانية ينص على أنه « لا يمنع النصارى واليهود من إجراء رسوم أديانهم واتساع بطارقتهم وكواهنهم فيما يتعلق بمذاهبهم »[2] .

وكانت إنجلترا قـد أعلنت حمايتها لليهود في فلسطين منذ عام ١٨٣٨ باعتبارهم رعايا بريطانيين . وكانت قد أوفدت إلى أراضي الدولة العثمانية بعثات أوروبية – إنجليزية وألمانية – ادعت البحث عن الآثار التاريخية ، بينا كان هدفها التنقيب عن البترول ، وقد علم السلطان أهداف هذه البعثات الإنجليزية والألمانية . وقد علق على ذلـك بقوله : « بأنني كنت سأوافق على التنقيب عن البترول بشرط مصارحتي بذلك ، ولكن أن يأتوني كجواسيس فهذا ما لم أرضه أبداً »[3] . ونظراً لهذه الحادثة ، فقد أرسل السلطان العثماني بعثـة إلى أمريكا برأسها « صلاح الدين أفندي » للتخصص في ميدان البترول « ولكن البعثة التي بقيت سنة ، عادت بدون نتيجة ، لأن أمريكا رفضت هدف البعثة لأنها كانت أقوى دولة بترولية ، وهي لا تريد أن يكون البترول في دولة أخرى » . وأضاف السلطان قوله : « إنني طلبت المساعدة من اليابان ، ولما جاءت البعثة من هناك ، كنت مـع الأسف خارج الحكم »[4] .

---

(١) مصطفى كامل : المسألة الشرقية ، ص ٣١٥ .
(٢) مخطوط : سلاطين آل عثمان ، جـ ٢٣ الخاص بالسلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٧٥ . مصنفة تحت الرقم ١٠٧٠٤ ، المكتبة الظاهرية – دمشق .
(٣) Sultan Abdül Hamit,in; *Hatira Defteri.*
(٤) Sultan Abdül Hamit,in; *Ibid.*
ويذكر السلطان في مذكراته هذه حوادث طريفة للغاية عن البعثات الانجليزية والألمانية =

والواقع أن الدول الأوروبية كان يهمها جداً معرفة الأوضاع الداخلية للدولة العثمانية سواء الأوضاع الإقتصادية أو السياسية أو العسكرية ، لأن تلك الدول عقدت العزم على تقسيم تركة « الرجل المريض » في الوقت المناسب . ومن أجل ذلك أخذت القنصليات والسفارات الأوروبية تهتم بإرسال التقارير إلى حكوماتها مفصلة أوضاع الدولة العثمانية . وكان القناصل أكثر ما يهتمون بالنواحي العسكرية وفي مقدمتهم « ديكسون » (Dickson) – القنصل البريطاني في القدس – الذي أرسل تقارير عديدة خلال سنوات توليه الوظيفة . ففي عام ١٩٠٥ أرسل تقريراً عن التحركات العسكرية التركية إلى ميناء الحُديدة[١] . وأرسل « فالانكا » (Falanga) – نائب القنصل البريطاني في يافا – تقريراً مماثلا يذكر فيه استدعاء ١٦٠٠ رجل من نابلس إلى يافا لإرسالهم إلى اليمن عن طريق البحر عبر القنال[٢] ، ومجموعة أخرى لإرسالها إلى بيروت[٣] . وبذلك تكون بريطانيا بالذات قد حرصت حرصاً شديداً على جمع المعلومات عن التحركات العسكرية التركية في المنطقة العربية حتى يتيسر لها رصد هذه التحركات للإفادة منها في الوقت المناسب ، وهذا ما تحقق فعلا قبل الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ .

وامتداداً لهذه الأساليب التي أتبعتها بريطانيا وكافة الدول الأوروبية ، فقد حرصت على التعاون مع الأقليات في الدولة العثمانية لا سيما اليهود من

= فيروي ان علماء البعثة الانجليزية قالوا له : بأن الغاية من البعثة علمية تاريخية وستغير كثيراً من المعلومات التاريخية ، ثم توجهت البعثة الى الموصل وبغداد بحجة التنقيب عن الآثار ، وبعد فترة أرسلوا الى السلطان بعض التماثيل والجرار والنقود القديمة ، كما أرسلوا سيفاً قديماً لايهامه أنهم بالفعل ينقبون عن الآثار ، ولكن تبين فيما بعد بأن السيف وبقية الآثار هي حديثة الصنع ولكنها موهت بشكل يظهرها انها قديمة ، مما دعا السلطان الى طردهم من الأراضي العثمانية . ويروي حوادث مماثلة حدثت مع الألمان .

(١) Dickson to O'Conor, 5 June 1905, No. 18, in F.O. 195/2199.

(٢) Falanga to Dickson, 22 April 1905, No. 28, in F.O. 195/2199.

(٣) Dickson to O'Conor, 23 April 1905, No. 11, in F.O. 195/2199.

أنظر أيضاً : Dickson to O'Conor, 22 June 1905, No. 34, in F.O. 195/2199.

للمزيد من المعلومات حول التحركات العسكرية التركية بعد ثورة ١٩٠٨ أنظر التقارير التالية :

Blesh to Lowther, 4 Feb. 1909, No. 8, in F.O. 195/2321.
Blesh to Lowther, 11 Feb. 1909, No. 9, in F.O. 195/2321.
Blesh to Lowther, 20 Feb. 1909, No. 11, in F.O. 195/2321.
Blesh to Lowther, 21 April 1909, No. 32, in F.O, 195/2321.

ذوي النفوذ ، بالاضافة إلى العملاء المحليين والأجانب على السواء ، ويتحدث « مصطفى كامل » عن هذه الحقيقة فيقول : « ولقد دخل في جسم الدولة كثيرٌ من الأجانب نساءً ورجالاً ، وغيروا أسماءهم بأسماء إسلامية وعملوا على الإرتقاء في المناصب حتى وصل بعضهم إلى أسماها ، وصاروا من أقرب الدخلاء في الزمن السالف في كل فروع الدولة العلية حتى في الجيش نفسه ، وصارت لهم سلطة عظيمة ونفوذ كبير ، وكنت تجد من وزراء الدولة العلية من يعمل لصالح الروسيا مدعياً أنه روسي السياسة ، ومن يعمل لصالح انكلترا مدعياً أنه أنجليزي السياسة ، ولكن ليس منهم من كان عثماني السياسة »[١] .

ومن الأهمية بمكان القول ، أن هؤلاء الأشخاص الأجانب الذين دخلوا في جسم الدولة لعبوا دوراً بارزاً في إنهاكها وتقصير سني حياتها ، ذلك أن ولاءهم لم يكن ولاءً عثمانياً بل على حد قول « مصطفى كامل » ولاءً أجنبياً . بل لقد بلغ الأمر بالبعض إلى خيانة الدولة من الناحية العسكرية وكان منهم أتراك ومن أصل تركي ، ويذكر أنه عندما نشبت الحرب الروسية – التركية عام ١٢٩٥ هجرية – ١٨٧٧ م ووصل الروس إلى بعض قرى القسطنطينية واستولوا على أدرنة شرع الناس « يذاكرون فيما بينهم بوقائع الحرب وينسبون للوزراء ورجال الدولة تارة إلى الخيانة والأمراء وقواد الجيش [تارة] أخرى إلى التقصير ، ويتكلمون في حق السر عسكر والوزير والبطانة وقد أغراهم بذلك من كان في دار الخلافة من شيعة مدحت باشا يرجون أن يتوسلوا بذلك لإيقاظ فتنة »[٢] . لا سيما وأن الأتراك قد أتهموا مدحت باشا وجماعته باغتيال السلطان عبدالعزيز بعد خلعه عام ١٨٧٦ فقال البعض أن وفاة السلطان عبدالعزيز هي مؤامرة حيكت بإرادة مدحت باشا وحسين عوني باشا وغيرهما من الذين اتفقوا على قتله منعاً للانتقام منهم ما دام على قيد الحياة ، وقد تم ذلك بالاتفاق مع الأنجليز[٣] . كما يؤكد السلطان « عبدالحميد الثاني » هذه الحقائق فيقول : « إن حسين عوني باشا تعامل مع الأنجليز وقبض منهم المال ، وبرأيي أن

---

(١) مصطفى كامل ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(٢) مخطوط : سلاطين آل عثمان ، ج ٢٣ الخاص بالسلطان عبدالحميد الثاني ، ص ٧٣ .

(٣) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٢٢ ، ٧٢٣ وما يليها. مصر ١٣١٤هـ – ١٨٩٦م .

أي شخص يأخذ مالاً من دولة أجنبية ، فأنه سيعمل على تحقيق أهدافها ومطامعها . لم يحدث ذلك في أيامي فحسب ، وإنما أيضاً في أيام عمي عبدالعزيز وأخي مراد » . أما مدحت باشا فيقول عنه السلطان : « أنه كان يتعامل مع الأنجليز ويؤيد سياستهم ، وكان مدحت باشا في طليعة الأشخاص الذين حرموا عمي عبدالعزيز من العرش بالإتفاق مع الأنجليز ، وكانت مساعدته للإنجليز تعتبر جريمة ، كما أن إبقائي لشخص مثله في السلطة تعتبر جريمة أيضاً . أن مدحت باشا ــ الصدر الأعظم ــ يأخذ مالاً من دولة عدوة لنا ، وهذا أمر لا أستطيع أن أقبله على نفسي وأنا في الحكم ... وأخيراً نفذ صبري وأخرجته من الحكم »[١].

والواقع أن إجراءات السلطان لم تستطع أن تحد من تزايد النفوذ الأوروبي في أراضي الدولة العثمانية بسبب الامتيازات الأجنبية المعروفة باسم (Capitulations) ، ومن مظاهرها حماية الدول الأوروبية ليهود فلسطين باعتبارهم من رعاياها ، وذلك بواسطة قناصلها لدى الدولة العثمانية كما ادعت روسيا حماية الأرثوذكس ، وادعت فرنسا حماية الكاثوليك ، وادعت إنجلترا حماية البروتستانت واليهود . وعن طريق الامتيازات منعت الدولة العثمانية زيادة الرسوم الجمركية أكثر من ٨٪[٢] ، وفي عام ١٩٠٧ أضافت الدولة ٣٪ فأصبحت القيمة الإجمالية للرسوم الجمركية ١١٪ . غير أن الدول الأوروبية اشترطت ان تخصص هذه الزيادة لتمويل ما كانت تطالب به من إصلاحات في الولايات الثلاث المعروفة باسم مقدونيا وهي : سلانيك ومناستر وقوصوه[٣] باعتبارها مناطق خاضعة للنفوذ الأوروبي ، وكانت تتمركز في إحداها ــ وهي سلانيك ــ جماعات يهودية تمثل الغالبية العظمى من السكان .

وفي عام ١٩٠٥ ، أرادت الدول الأوروبية إخضاع مالية الدولة العثمانية إلى مراقبة دولية ولا سيما في الولايات المقدونية الثلاث ، ولكن السلطان

(١) Sultan Abdül Hamit,in: *Hatira Defteri.*

(٢) أنظر : سليمان موسى : الحركة العربية ١٩٠٨ – ١٩٢٤ ، ص ٢١ ، وليم فهمي : الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة ، ص ٢٠ . أنظر أيضاً عن الامتيازات الأجنبية :
R. Pinon: *L'Europe et L'Empire Ottoman*, pp. 546 - 547.
زين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط ، ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١٤٤ .

عبدالحميد امتنع عن الموافقة على هذا الطلب وتمسك بموقفه تمسكاً شديداً[١] ، فعمدت تلك الدول إلى اتباع أسلوب الضغط العسكري ، فقامت بمظاهرات عسكرية في أزمير والدردنيل واحتلال مناطق متاخمة لها مثل جزيرة « مدللي » ، مما اضطر السلطان الموافقة على تعيين بعثة أوروبية تضم ممثلين عن الدول الدائنة . وكانت الدولة العثمانية تعمل جاهدة للتخلص من نفوذ ورقابة هذه البعثة ، ولم يكن أمام الحكومة التركية سوى حل واحد هو سداد هذه الديون إما بديون جديدة من المصارف والبيوتات المالية ، وإما بتغطية مالية مؤقتة من هذه المصارف ، وكانت هذه البنوك في أيدي الصهيونية التي امتنعت عن تخليص الدولة العثمانية من ديونها وذلك بالاتفاق مع الدول الأوروبية[٢] ، إلّا تحت ضغط تحقيق المشروع الصهيوني وهجرة يهودية غير مقيدة إلى فلسطين . وكان المولون الأوروبيون أمثال « أورلاندو توبيني وشركاه » من كبار الرأسماليين الفرنسيين المتعاملين مع تركيا ، وكان هؤلاء بدورهم يخضعون للبيوت المالية اليهودية .

وفي هذه الفترة ، كانت كل من إنجلترا وفرنسا وروسيا في غيظ بسبب منح السلطان العثماني ألمانيا امتياز الخط الحديدي (B. B. B.) نظراً لما يسببه ذلك من تزايد النفوذ الألماني ، وانتكاسة للنفوذ الثلاثي في الدولة العثمانية ، فدأبت هذه الدول وفي مقدمتها إنجلترا على استغلال العناصر التي ترى أن من صالحها إنهيار الدولة العثمانية مثل شبان « تركيا الفتاة » ، ويهود الدونمة وغيرهم من الجماعات ، وإن كانت الحركة الصهيونية تحولت في فترة من فترات نشاطها السياسي من التعاون مع الإنجليز إلى التعاون مع ألمانيا لتوافق المصالح المشتركة بينهما .

والغريب أن جميع الأقليات في الدولة العثمانية ، قامت بثورات أو حركات مناهضة للدولة ما عدا اليهود الذين ما برحوا ينتظرون ازدياد شوكتهم ، ويخططون سراً مع بعض القوى المؤثرة للاشتراك في إطاحة السلطان عبد الحميد الثاني لا سيما بعد أن تأكد لهم إستحالة تحقيق مآربهم في أثناء حكمه .

وفي عام ١٩٠٨ بدأ النشاط الأوروبي يتضاعف عن ذي قبل ، لا سيما

(١) ساطع الحصري ، المرجع نفسه ، ص ١٤٩ .

(٢) عودة عودة : القضية الفلسطينية في الواقع العربي ، ص ١٩٤ .

بعد ازدياد النفوذ الألماني في الشرق الأدنى بعد انتهاء مشروع السكك الحديدية، إذ أصبح بمقدور ألمانيا الوصول عبر سكة حديد بغداد ـ الحجاز إلى الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية وعدن، وكان يعني ذلك ضرب المصالح البريطانية في المنطقة. وزاد الوضع خطورة وضع مشروع ربط هذه السكة الحديدية بمناطق فلسطين وسوريا، ومعنى ذلك أنه أصبح من اليسير على العثمانيين التقدم جنوباً حتى فلسطين ومهاجمة مصر منها، فخشيت بريطانيا حدوث ذلك لأنها كانت تدرك أهمية فلسطين كمركز هام للهجوم على مصر أو للدفاع عنها، بما يترتب على ذلك من أخطار على قناة السويس الشريان الحيوي للاستعمار البريطاني.

٣ ـ الوفاق الصهيوني ـ الدولي ـ المحلي لخلع السلطان عبد الحميد الثاني

إن الصيحات التي انطلقت معارضة حكم السلطان عبدالحميد الثاني، سواء من الأتراك أو من باقي القوميات المختلفة، لعبت دوراً فاعلاً في مساعدة الدول الأوروبية والحركة الصهيونية لاستغلال هذه المعارضة والإستفادة منها. فبدأت الصهيونية تستميل بعض الأتراك الموجودين في بعض العواصم الأوروبية وأتراك الدولة بمساعدة يهود ودونمة سلانيك للتخطيط في مسألة خلع السلطان، بالرغم من أن السلطان عبد الحميد كان يعطف على اليهود المقيمين في أمبراطوريته كما تذكر بعض المصادر المعاصرة فيذكر «حبيب فارس» ـ صحافي وصاحب صحيفة المحروسة ـ مخاطباً اليهود: «هل راق لكم الكأس زمناً كما راق في حكم السلاطين آل عثمان، وهل حرية في الأديان أعظم من الحرية الممنوحة لجميع المذاهب من قبل مولانا وسلطاننا عبدالحميد خان... وأنتم مع عدم ذكركم لإسم هذا السلطان العظيم وعدم الدعاء بحفظ وجوده، فانكم كغيركم من الأمم تتمتعون بضياء شمس عدالته...»[١] ويذكر أنه عندما صدر القانون الأساسي أشار السلطان على ضرورة احترام الطوائف المسيحية واليهودية «وطلب أمير المؤمنين من رجالات الدولة ووزرائه [المحافظة على] صدور العلماء وبطارقة النصارى وكواهن اليهود... ألا يعزلوا أبداً»[٢].

---

(١) حبيب فارس: مخطوط: صراخ البري في بوق الحرية، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

(٢) مخطوط: سلاطين آل عثمان، جـ ٢٣ الخاص بالسلطان عبد الحميد الثاني، ص ٦٧.

هذا، ولعبت المحافل الماسونية مع يهود «الدونمة» دوراً مؤثراً في التخطيط لخلع السلطان، وكانت بمثابة العقل المدبر، كما كانت الدول الأجنبية بمثابة الممول لأنه كان لها نفوذ كبير في أوساط الباب العالي وبين الأتراك الشبان[١]. وكانت الماسونية قد بدأت في الإنتشار في أراضي الدولة العثمانية منذ وقت بعيد. ويقول الأب «لويس شيخو» عن موقف تركيا من الماسونية: «كانت تركيا بين أول الدول التي ناهضت الماسونية منذ عام ١٧٤٨، وأن بين قوانينها ما يحظر على العثمانيين الجمعيات السرية. فكان السلاطين العظام ينظرون بعين النفور إلى كل ما يتستر تحت حجاب الظلمة وإذا بلغهم شيء من أمر تلك الجوامع أسرعوا إلى إلغائها وتشتيت شمل أصحابها»[٢» لا سيما في عهد السلطان عبدالحميد الثاني الذي أثرت حوادث عام ١٨٧٦ بسيرته وسياسته منذ أن وجد أخاه السلطان عبدالعزيز مقتولاً في قصر «طوله باغچه». ولما عين مراد سلطاناً من بعده اعتزل ولم يبق طويلاً في الحكم، وعين مكانه أخوه عبدالحميد الثاني الذي بدأ أعماله القانونية في ظل هذه الظروف وهذا الوضع[٣]. ولذا وجدناه يخشى من سرية الأحزاب والجمعيات لا سيما الماسونية منها حين صمم على إخضاعها للمراقبة، لكن حماية الدول الأوروبية لها ـ لا سيما أنجلترا ـ كان يخفف من قيود المراقبة[٤]. وكان السلطان عبد الحميد يشك دائماً بالمحافل الماسونية ونشاطاتها، وأن كراهيته لها يعود إلى يوم كان شقيقه مراد قد قبل كرئيس للماسونيين الأتراك[٥]. ويذكر السلطان «عبد الحميد الثاني» في

---

(١) S. Mardin; *The Genesis of Young Ottoman Thought*, pp. 116 - 117.

(٢) الأب لويس شيخو اليسوعي: السر المصون في شيعة الفرمسون، المشرق، آب (اغسطس) ١٩١١، العدد ٨، ص ٦٠٦، ٦٠٧.

(٣) E. Creasy; *History of the Ottoman Turks*. p. 548.

ويضيف اسمعيل سرهنك في: حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ ١، ص ٧٢٢ ـ ٧٢٨، بأن الظروف التي أدت إلى مقتل السلطان عبد العزيز كانت لها نتائج سيئة، فقد قام حسن الجركسي وقتل بعض الوزراء ثأراً للسلطان المقتول، فصدم السلطان مراد وأفقدته هذه الحوادث توازنه العقلي وكثيراً ما أغمي عليه، فعرض الأمر على أخيه عبد الحميد لكي يستلم مقاليد الدولة فنصحهم بالتأني إلى أن استقر رأي الوزراء في المجلس المنعقد يوم الأربعاء ١٠ شعبان سنة ١٢٩٣ هـ ـ ٣٠ آب (اغسطس) ١٨٧٦ م على مبايعة عبد الحميد سلطاناً للدولة. ويمكن تفسير سياسة عبد الحميد الحذرة، العامة منها والخاصة انطلاقاً من ظروف المؤامرات التي أحاطت بعمه واخوته من قبله.

(٤) د. محمد علي الزعبي: حقيقة الماسونية، ص ١٧٤.

(٥) J. Haslip; *The Sultan-The life of Abdul-Hamid II*, p. 256.

مذكراته : « من أن العمل الوحيد الذي استطاع الماسونيون القيام به في الدولة العثمانية ؛ هو نشر الشقاق والتمرد في البلد وبين صفوف الجيش ، دون أن يعلموا أنهم يعملون لحساب أنجلترا التي تدعي نشر الأفكار المتحررة في أمبراطوريتنا . وأشد ما يؤلمني أن يتعاون هؤلاء الضالون الأتراك مع اليونانيين والبلغاريين في سبيل إزاحة « المستبد » (Müstebit) ! عن الحكم [١] .

ونظراً للجهود المبذولة من قبل الماسونية [٢] ، تأسست محافل ماسونية عديدة في الآستانة وإزمير بعضها تابع للشرق الأعظم الأنجليزي وبعضها للفرنسي أو للايطالي إلى أن أنشأ الأخ *.* [٣] الكلي الإحترام « حليم باشا » مجمعاً وطنياً ترأسه وتعددت محافله [٤] ، بحيث أصبح عدد الماسون الأتراك المسلمين عام ١٨٨٢ نحو عشرة آلاف شخص من بينهم الوزراء والنواب وقادة الجيش وكبار المسؤولين [٥] . إلا أن السلطان عبد الحميد استطاع في عام ١٨٩٤ إغلاق جميع المحافل الماسونية ما عدا محافل سلانيك لارتباطاتها الدولية مع دول ومحافل أوروبا مثل : إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا والنمسا . ونظراً لخطورة الأوضاع والتحركات العلنية والسرية في سلانيك ، ونظراً لسيطرة الماسونيين على مجلس إدارتها ، مما يسبب خطراً على الحكم العثماني ، أصدر السلطان أوامره عام ١٨٩٥ « وقررت لجنة التفتيش في ولايات الروملي لزوم تعيين أعضاء لمجلس إدارة ولاية سالونيك زيادة عن الموجودين وأحيلت الكيفية إلى المرجع الايجابي » [٦] .

---

(١) Sultan Abdül Hamit; Siyasî Hatiratim, p. 81.

(٢) الماسونية قسمان : ماسونية اليهود ، وماسونية الغوييم – وهم غير اليهود – إلا أن رئاسة محافلها ومختلف أهدافها خاضعة للنفوذ اليهودي .

(٣) هذه إحدى الشارات الماسونية المتعارف عليها .

(٤) لويس شيخو ، المصدر السابق ، ص ٦٠٧ .

(٥) د. محمد علي الزعبي ، المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

(٦) جريدة لبنان ، ١٧ شباط (فبراير) ١٨٩٦ ، العدد ١٢٥ . هذا ويذكر اسمعيل سرهنك في كتابه السابق الذكر ص ٤٦٦ ، مؤرخاً لتاريخ سالانيك قوله : « سلانيك أو تسالونيكي وهي مقر ولاية بأسمها وتبعد عن القسطنطينية بنحو ٥٢٠ كلم . وهي من الثغور التجارية المهمة . موقعها في داخل الجون المعروف باسمها ... تجارتها واسعة جداً يخرج منها طريق حديدي إلى اسكوب ويتصل بالآستانة ... ومرفؤها أمين رحب يسع أكثر من ٣٠٠ سفينة جسيمة ... فتحها العثمانيون في عهد الغازي السلطان مراد الثاني (٨٥٣ هـ – ١٤٣١ م) ... وسكانها يبلغون ٨٠٠٠٠ نسمة وهي أهم ثغر تجاري بتركية أوروبا بعد القسطنطينية . ومن سكانها كثير من نسل الذين طردهم الأسبانيول في زمن فرديننند وايزابيلا . وبهذه المدينة =

واللافت للنظر في هذا المجال ما أكدته المصادر والوثائق المختلفة من ارتباط وطيد بين الصهيونية والماسونية ، فقد أكدت الوثائق الصهيونية في مؤتمر بال الأول ١٨٩٧ هذه العلاقة بالقول : « ... وإلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة ، سنحاول أن ننشئ ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم . وسنجذب إليها كل من يصير أو من يكون معروفاً بأنه ذو روح عامة ، وهذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل منها على ما نريد ، كما أنها ستكون أفضل مراكز الدعاية » [١] .

ويذكر أيضاً بأن الحركة الصهيونية عمدت إلى إبتداع الحركة الماسونية الحديثة منذ فترة مبكرة ، من أجل أن يتخلى الإنسان عن كل ما يؤمن به ليصبح كما يسمونه « كوزمو بوليتيني » (Cosmo - Politini) ، ومن أجل أن تكون محافلها وسيلة للصهيونية في تحقيق أهدافها والتغلغل في الأوساط الحاكمة وكسب الطبقة العليا من الحكام والوزراء وأصحاب النفوذ في أي مجتمع ، لاستغلالهم في خدمة الأهداف الصهيونية ، ولذلك فاننا نرى أن نشاط هذه الحركة يكاد ينحصر في الأوساط الحاكمة وليس في الأوساط الجماهيرية [٢] .

وهناك أدلة كثيرة تؤكد الإرتباط الوثيق بين الصهيونية والماسونية ، وتؤكد أن الماسونية هي من إفرازات الحركة الصهيونية ، وهذا ما تثبته دائرة المعارف الأمريكية عام ١٩٠٦ ودائرة المعارف اليهودية ، وبعض الصحف اليهودية الصادرة في فترات وسنوات متفاوتة والتي تؤكد هذا الإرتباط الوثيق . فقد ذكرت المجلة اليهودية « لافيريه إسرائيليت » عام ١٨٦١ من أن روح الماسونية الأوروبية هي روح اليهودية [٣] . وذكر الحاخام

= فابريقات للأقمشة الحريرية والطنافس و ... ومن تجارتها الحرير والقطن والتبغ و ... ويتردد عليها كثير من سفن الشركة العثمانية والشركات الأجنبية .»
ومن خلال هذا التأريخ ندرك مدى أهمية سالانيك وغنى أهلها الذين استطاعوا تمويل الحركات المعادية للسلطان ولا سيما في أحداث عامي ١٩٠٨ – ١٩٠٩ . ويمكن أن نضيف بأن عدد سكان سالانيك في عام ١٩٠٩ كان يربو على (١٤٠) الفاً منهم (٨٠) الفاً من اليهود و (٢٠) الفاً من اليهود « الدونمة » . وبمعنى آخر فان اليهود كانوا يشكلون الأكثرية الساحقة من أهاليها . أنظر : *Revue du Monde Musulman*, T. 9, p. 174. (Paris 1909).

(١) محمد خليفة التونسي : الخطر اليهودي : بروتوكولات حكماء صهيون ، البروتوكول الخامس عشر ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٢) عودة بطرس عودة : القضية الفلسطينية في الواقع العربي ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٣) سنتحدث عن علاقة الماسونية باليهود والصهيونية بمزيد من الأدلة والوثائق أثناء بحث دور اليهود في ثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان ١٩٠٩ .

« إسحق وايز » (Isaac Wise) (١٨١٩ — ١٩٠٠) في ٣ آب (أغسطس) ١٨٦٦ في مجلة « إسرائيلي أمريكا » (The Israelite of America) أن الماسونية مؤسسة يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها وتوضيحاتها . أنها يهودية من البداية حتى النهاية [١] .

وتوضح مجلة « المشرق » الإرتباط العملي بين الماسونية والصهيونية فتقول : « أنه لو أردنا بيان الرابطة الوثقى التي بين الماسونية واليهودية لطال بنا الكلام ، ونكتفي لبيان ذلك بهذه الملحوظات : ... قال أحد كتبة العصر السابق المسيو دي لابينوا (H. de L'Epinois) في مجلة « المباحث التاريخية » في نيسان ١٨٨٢ : « ليست بعلاقة أوثق من علاقة الماسونية واليهودية ، فإن ذوي النظر لدى مشاهدتها لا يتمالكون عن هذا الحكم ، أو أن الماسونية تحولت إلى اليهودية أو بالحري أن اليهود « تمسنوا » لإدراك غاياتهم الخبيثة » [٢] . وكان اشتراك اليهود الأتراك في المحافل الماسونية تمثل مظاهر متناقضة فهم يهود في أعماقهم ، مسلمون في ظاهرهم ، ماسون في المحافل .

ويؤكد « يوسف الحاج » — الحائز على رتبة الأستاذية العظمى في الماسونية — المبادىء الماسونية ومعتقداتها فيقول : « بأن مبدأ هذه الفرقة وتعاليمها ودرجاتها وغايتها ترمي كلها إلى تقديس ما ورد في التوراة واحترام الدين اليهودي والعمل على تجديد المملكة اليهودية في فلسطين باسم الوطن القومي اليهودي » [٣] .

وعلى هذا النحو استطاعت الحركة الصهيونية مع المحافل الماسونية متابعة النشاط السياسي لتحقيق المشروع الصهيوني باستيطان فلسطين . وكان يهود الدونمة يشكلون اللبنة الأولى لتنفيذ المخططات الصهيونية — الدولية — الماسونية .

ويذكر جواد رفعت اتلخان — القائد التركي المعاصر للسلطان عبد الحميد — انه في القرار المرقم ٧٠ للجمعية الماسونية الفرنسية جاء فيه انه أسست

---

(١) أنظر : عودة بطرس عودة ، المرجع السابق ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٢) لويس شيخو : السر المصون في شيعة الفرمسون ، المشرق ، آب (اغسطس) ١٩١١ ، العدد ٨ ، ص ٦١٨ . وقد بحث في علاقة اليهود بالماسونية بشيء من التفصيل الكاتب الفرنسي (Édouard Drumont) في عدة كتب ومنها كتاب (La France Juive) وصدر كتاب آخر لجمعية « اغسطين » عرف باسم (Judaïsme et Franc - Maçonnerie)

(٣) يوسف الحاج : هيكل سليمان أو الوطن القومي لليهود ، ج ١ ، ص ٣٥ .

جمعية سرية باسم « جون ترك » (Jeune Turque) فباشرت نشاطها من سلانيك التي تضم اليهود الأكثر نفوذاً في أوروبا . عدا ذلك كان يوجد هناك المحافل الماسونية الكثيرة لقبول الثائرين فيها نظراً لكون تلك المحافل تحت حماية السياسة الأوروبية ... وممكن القول ان فرقة الاتحاد والترقي ولدت فعلاً في المحفل الماسوني المسمى « ماكدونيا ريزتورا » (Macedonia Ristora) المؤسس من قبل « قارصوه اليهودي السلانيكي » [١] .

ويعود « لويس شيخو » ليؤكد انه بعد انشاء جمعية الاتحاد والترقي تحت سيطرة الماسونية ، كان للضباط وجندهم القوة العاملة ، أما التدبير لتنفيذ العمل واخراجه إلى حيز الوجود فكان في أيدي الموسويين الذين تعهدوا بدفع المبالغ اللازمة لذلك المشروع ... [٢] وقد ازداد عدد المشتركين في هذه المحافل نظراً لاتصال الضباط الشبان في الجيش الثالث — الذين أرسلوا للقضاء على الثوار في الجبال — بالمحافل الماسونية المنتشرة في سلانيك [٣] .

وفي عام ١٨٨٩ شكل جماعة من طلبة المدرسة الطبية العسكرية الأمبراطورية في استانبول منظمة سرية هدفها الواضح عزل « عبد الحميد الثاني » ، وكان وراء هذا التشكيل السري رجل ماسوني من ألبانيا اسمه « ابراهيم تيمو » او أدهم كما كان يسمى أحياناً [٤] . وقد اتفق مع عدد من الطلاب على الاشتراك في تلك المنظمة وكان في مقدمتهم : اسحق سكوتي ، وشركس محمد رشيد ، وعبد الله جودت ، وكرديان ، وقد باشرت أعمالها منذ عام ١٨٩١ في جنيف أولاً ثم نقلوها إلى باريس ، وكانوا يعملون على نشر دعوتهم سراً ، واتخذوا لذلك طريق الجيش لبث أفكارهم [٥] . وقد أصدر كل من اسحق سكوتي وعبد الله جودت مجلة « عثمانلي » في جنيف لمحاربة السلطان عبد الحميد وتأليب الرأي العام عليه ، وذلك لكسب مؤيدين لتنظيمهم وقد عرف هذا التنظيم باسم « الاتحاد والترقي » (Committee

---

(١) جواد رفعت اتلخان : الخطر المحيط بالاسلام — الصهيونية وبروتوكولاتها ، ص ١٥٠ .

(٢) لويس شيخو ، المصدر السابق ، ص ٦١٨ .

(٣) J. Haslip; *The Sultan - The life of Abdul-Hamid*, II, p. 256.

(٤) انظر : أرنست رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ص ٤٩ .

(٥) W. Miller; *The Ottoman Empire and its Successors*, p. 474.
انظر ايضاً : محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤١٠ .

(of Union and Progress وهو فرع لحزب « تركيا الفتاة » . ونظراً للمخططات المعارضة لحكم السلطان دأب أعضاء الجمعية على عقد اجتماعاتهم السرية في المحافل الماسونية ، وعقدوا اجتماعاتهم الأولى في المحفل الماسوني الايطالي ، وفتحت السفارات الاجنبية أبوابها لكل مخطط عصيان على السلطان ، وكانت انجلترا وفرنسا سابقتين إلى ايواء اللاجئين من معارضي الحكم الحميدي ، وتركتهم يعملون في عواصمها علناً لإسقاط السلطان [١] .

وكانت ايطاليا تشجع هذه الميول لا سيما بعد رحلة « ابراهيم تيمو » إلى برنديزي ونابولي واتصاله بالمحافل الماسونية والدوائر الحكومية هناك بهدف التنسيق مع الاتحاديين ، وبالفعل فقد بدأت عناصر هذه الجمعية في تركيا بالاتصال بعناصرها في الخارج ولا سيما في العاصمة الفرنسية باريس ، وقد كانت علاقتهم متينة مع اتراك المنفى المقيمين في فرنسا [٢] . ومن هؤلاء : سلانيكي ناظم وأمين أرسلان وخليل غانم [٣] ، وكان هذا الأخير يكتب في عدة صحف أوروبية ذات نفوذ اتحادي وأجنبي وتمويل يهودي ضد السلطان عبد الحميد . ففي عام ١٨٩٥ كتب مقالاً بالإشتراك مع أمين

(١) سعيد الأفغاني : كانت الصهيونية هي خالعة السلطان ومقوضة المملكة العثمانية ، نقلاً عن : مجلة العربي كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٢ ، العدد ١٦٩ ، ص ١٥٢ .

(٢) Lord Eversley ; *The Turkish Empire*, p. 370.

(٣) خليل غانم (١٨٤٦ – ١٩٠٣) ، مسيحي من لبنان ، انتخب نائباً عن سوريا في مجلس المبعوثان عام ١٨٧٨ ، حمل حملة شديدة في مجلس المبعوثان ، مع احمد افندي – مبعوث أزمير – على الحكومة لنفيها مدحت باشا ، فصدر الحكم بالقاء القبض عليه ، فالتجأ إلى السفارة الفرنسية ، وبعد ان عطل السلطان عبد الحميد هذا المجلس هرب غانم الى أوروبا حيث اصدر جريدة « الهلال » في جنيف ، وعندما ذهب إلى باريس أسس صحيفة عربية هي « البصير » التي سرعان ما توقفت ، ثم أسس صحيفة « تركيا الفتاة » عام ١٨٩٥ ، وكانت تصدر بالعربية والفرنسية ، ولكن لم يذكر اسمه على الجريدة كمحرر أو مدير لها لكني لاحظت حين اطلاعي على الأعداد الأولى لهذه الصحيفة العبارات التالية : محرر الجريدة : حب الوطن، مدير الجريدة: النظام والنجاح. ولاحظت أيضاً إلى أن تاريخ إصدار الأعداد الأولى طبع خطأ على هذا النحو : باريز ٥٩٨١ ، عوضاً عن عام ١٨٩٥ تاريخ إصدار الصحيفة. وكان خليل غانم قد كتب في الصحيفة الفرنسية (Journal des Débats) إلى أن اصبحت موالية للسلطان فيما بعد . وكتب أيضاً في صحيفة « كشف النقاب » لصاحبها أمين أرسلان علاوة على توليه ادارة جريدة (La France Internationale) كما كتب في جريدة (L'Eclair) وبعد لجوء احمد رضا إلى باريس اتفقا معاً على التحرير في جريدة « مشورت » التي أصدراها بالتركية مع ملحق بالفرنسية . هذا وألف خليل غانم في باريس عام ١٩٠٢ كتاباً أسماه (Les Sultans Ottomans) . ومن مؤلفاته الأخرى : الاقتصاد السياسي ، الاسكندرية ١٨٧٩ .

أرسلان في صحيفة « تركيا الفتاة » في سنتها الأولى وعددها الأول عدّد فيه أهداف الجمعية وغاياتها في الحصول على « حرية شخصية وحرية معتدلة للمطبوعات ومراقبة حقيقية على الحكام من نواب الأمة . وبالنتيجة إعادة مجلس المبعوثان ... وإنّا سنفرغ الجهد ونبذل الوسع لإقناع جلالة السلطان بصوابية مطالبنا وحسن نياتنا مع نقل آمال الشعوب العثمانية إلى الدول الأوروبية ... » وعدّد مطالب الجمعية بإصلاح الأحوال الداخلية والخارجية وتعميم الخدمة العسكرية « واستئصال الأغراض والمنافع الشخصية وتعديل الضرائب ومساواتها ... » [١] .

وفي العام التالي كتب « خليل غانم » في نفس الصحيفة موضوعاً حاول فيه استمالة المسلمين قبل أية طائفة أخرى لاعتقاده أنهم يشكلون القوة القادرة على إيجاد الأخطار لعرش السلطان ، فبدأ مقاله بآيات قرآنية ونداء إلى « المسلمين المظلومين » لأن « الإضطراب المستولي الآن على شؤون الممالك العثمانية وسوء الحال الذي صار إليه العثمانيون بالعموم والمسلمون بالخصوص يستوجبان دقة النظر وإعمال الفكرة المتجردة » [٢] .

والواقع فقد اعتمد الاتحاديون على تنظيماتهم في أوروبا لنشر أفكارهم لصعوبة تحقيق ذلك من الداخل لأن طبع المنشورات السرية في داخل البلاد كان مستحيلاً بسبب صرامة المراقبة الموضوعة على مختلف المطابع كبيرة كانت أم صغيرة . لذا كانت تطبع الصحف والمنشورات في الخارج ، وكان إدخالها صعباً إلى الأراضي العثمانية ، إلا أن وجود الدوائر الأجنبية والسفارات الأوروبية وقنصلياتها كان يسهل كثيراً من دخول هذه المنشورات لأن هذه السفارات كانت كلها مصونة من مراقبة الدولة العثمانية بسبب الإمتيازات الأجنبية [٣] . وعن طريق هذه الدوائر الأجنبية كان الإتحاديون يتسلمون هذه المنشورات حيث توزع بمعرفة التشكيلات السرية لجمعية الإتحاد والترقي . ويكفي للدلالة على نفوذ الامتيازات الأجنبية بالنسبة للبريد ان فاق بريد القنصلية النمساوية في القدس — التي كان يديرها رجل يهودي — غيرها رواجاً وشهرة [٤] ، بما فيه البريد العثماني.

(١) تركيا الفتاة ، ١٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٥ ، العدد ١ ، ص ١ .

(٢) تركيا الفتاة ، ٢٤ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٦ ، العدد ٤ ، ص ١ .

(٣) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١٠٤ .

(٤) يوسف الحكيم : سورية والعهد العثماني – ذكريات الحكيم (١) ، ص ٢٠٠ .

وفي عام ١٨٩٦ عقد في ڤيينا مؤتمر دعت إليه جمعية الإتحاد والترقي اشترك فيه : الأرمن واليونان والمقدونيون والعرب واليهود وبقية الأقليات ، وقرروا فيه خلع السلطان وقلب نظام الحكم ، غير أن السلطان عبدالحميد استطاع استئصال الجمعيات المطالبة بالدستور خاصة بعد انتصاره في حرب اليونان عـــام ١٨٩٧ واستعادته هيبة الدولة [١] . ولذا نشط الإتحاديون بمساعدة بعض الدول الأوروبية لمواصلة نشاطهم في الخـارج ، خاصة بعد انتشار فروع الجمعية في بعض مناطق الدولة العثمانية ، ولا سيما في مناطق النفوذ البريطاني . فقد كانت مصر من المراكز الحساسة للجمعية ، ذلك أن بعدها عن الآستانة وكونها تحت الادارة البريطانية ، قد جعل منها ملجأ وملاذاً لجماعة من الإتحاديين الذين كانوا يخشون الوقوع في قبضة عبدالحميد الحديدية ، وهناك معلومات تشير إلى أن أعضاء من « تركيا الفتاة » قد أسسوا في القاهرة عام ١٨٩٩ مكتباً للطباعـــة والنشر ، هدفه إصدار جريدة تدعى « القانون الأساسي » لتكون لسان حالهم في الدعاية لمبادئهم [٢] ، غير أن سالانيك ظلت المركز الأساسي والأمين لنشاطهم السياسي والعسكري عـلى السواء [٣] ، نظراً لتزايد تنظيمهم بإنشاء فرق « القوميته جي » . ولما شعر السلطان بقوتهم وظهور خلاياهم في « مناستر » أيضاً « عمد إلى تشتيت شملهم ورماهم بحملة عسكرية تولى أمرها القائـد « شمسي باشا » ، فدخل شمسي قاعدة الولاية كقائد فاتح ، إلا أن أحـــد ضباط القناصة « مفيد بك » أقدم بجرأة نادرة على قتل هذا القائد والإلتجاء وأفراد فرقته إلى الجبال ... » [٤] .

وبالرغم من هذا التحرك الاتحادي ، فإن الجمعيات التي تأسست داخل

---

(١) محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثماني ، الكتاب الثاني ، ص ١٦٥ .
(٢) زين زين : نشوء القومية العربية ، ص ٧٦ ، ٧٧ .
(٣) باعتبار سالانيك منطقة يتكاثر فيهـــا النفوذ الأجنبي ، فان النشاط المعادي للدولة العثمانية لم يقتصر على الماسونية والدونمة واليهود والقوى الدولية ، بل ان مسيحيي سـالانيك وقفوا أيضاً ضد السلطان العثماني في أكثر من مرة . ومنها على سبيل المثال ما حدث في ٥ أيار (مايو) عام ١٨٧٦ ، عندما اختلق المسيحيون حادثة جانبية ، لكي يتسنى للدول الأوروبية ان تتدخل وتضاعف نشاطها ضد الدولة العثمانية ، وتطالب بحماية المسيحيين مقدمة لفصلهم عن الحكم العثماني .
انظر : محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ .
(٤) الأسرار ، ١٠ نيسان (ابريل) ١٩٣٨ ، العدد ١ ، ص ٣ .

الدولة العثمانية لم تستطع أن توسع نشاطها بسبب صرامة النظام الحميدي وإتقان عمل الجاسوسية . ولكن بعد عام ١٩٠٥ وجدت جمعية الإتحاد والترقي مجالاً واسعاً لعملها في الولايات الثلاث : مناستر ، قوصوه ، سالانيك ، بسبب المراقبة الدولية التي كانت موجودة فيهـــا [١] ، برعاية إنجلترا وفرنسا وروسيا والنمسا وإيطاليا . وكانت كل ولاية من هـــذه الولايات تخضع لمراقبة دولة أو إثنتين من هذه الدول الخمس . إلا أن سلانيك تبعاً لأهميتها عيّن لها هيئة عليا للمراقبة الدولية حتى لا يتيسر للدولة العثمانية مراقبة التحركات المناهضة للسلطان ، وإن كان هناك مفتش عثماني عـــام إلا أن وجود الدول الخمس كان يشل من تحركه .

وفي أوائل القرن العشرين رأت الجمعية ضرورة استمالة أقرباء السلطان ، مما يقوّي شوكتها ويدعم مطالبها ، ففر محمود باشا من الآستانة — وهو صهر السلطان — في عام ١٩٠٠ لأن فراره « من شأنه أن يقوّي حزب تركيا الفتاة ويزيده عدداً ... » وتذكر صحيفة « الخلافة » عام ١٩٠٠ بأن « محمود باشا » صرح في أوروبا بأنه « موافق على حركات حزب تركيا الفتاة ، وأن في عزمـــه أن يطبع رسالة يفصل فيها دسائس السلطان وحاشيته في يلديز ... وأن نشرياتـــه ستكون واسطة لانضمام كثير من الأهالي مع حزب تركيا الفتاة وتكون نتيجة ذلك إحداث إنقلابات أساسية في الآستانة » [٢] ومما يؤكد تعاون الفارين العثمانيين مـــع الدول الأجنبية أن صهر السلطان عندما وصل إلى لندن لقي حفاوة وتأييداً من الحكومة البريطانية « وأهل السياسة والمقامات العاليـــة هنا يساعدونه على تنفيذ مقاصده وترويج غاياته » [٣] .

هذا وقد شهدت الفترة الممتدة بين عامي ١٩٠٢ و ١٩٠٧ نشاطاً ملحوظاً ضد السلطان ، فقـــد بدأت أفكار تركيا الفتاة تنتشر في داخل وخارج الأمبراطورية ، فهناك جماعات ركزت نشاطها في جنيف والقاهرة وجماعات أخرى نشطت في استانبول في المدارس الحربية والمدنية التي كانت نواة الحركة الثورية . وبواسطة القائد التركي مصطفى كمال صار للجمعية فروع

---

(١) ساطع الحصري ، المرجع السابق ، ص ١٠٧ .
(٢) الخلافة ، ١١ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٠ ، العدد ٨ ، ص ٢ .
(٣) الخلافة ، ١١ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٠ ، العدد ٨ ، ص ٢ .

في يافا والقدس ، وقد انضم إليها قواد من الفيلق الخامس [١] . وفي عام ١٩٠٢ عقد في باريس مؤتمر إتحادي للبحث في الخطط المستقبلية وفي كيفية مناهضة السلطان ، وفي عام ١٩٠٧ عقد مؤتمر ثان وكانت مقرراته تشمل ما يلي :

أ — إجبار السلطان عبد الحميد على ترك العرش .
ب — تبديل الادارة الحاضرة من أساسها .
ج — تأسيس أصول المشروطية والمشورة [٢] .

وفي الفترة التي كانت فيها جماعة من العرب وأهل فلسطين تطالب الحكومة العثمانية بمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، كانت فئة عربية أخرى تتعامل مع الاتحاديين لقلب نظام السلطان عبد الحميد الثاني ، داعية إلى الإصلاح ورفع الظلم والفساد عن العرب . وكانت أهداف الإتحاديين وشعاراتهم: حرية — عدالة — مساواة ، قد استمالت بعض العناصر العربية المناهضة للسلطان ، باعتبارها الغايات التي كان يسعى إليها العرب وعن طريقها يمكن أن يحققوا أهدافهم ضد « السلطان الطاغية » على حد تعبيرهم . ولا يخفى ما كان لليهود من نفوذ قوي في أوساط « جمعية الإتحاد والترقي » الذين رأوا ضرورة التخلص من السلطان العثماني لأهداف لها صلة وثيقة بمستقبل فلسطين. وقد كانت السيطرة على فلسطين أمراً عسيراً من الناحية العسكرية والسياسية ، وسيظل وضعها على هذا النحو ما دامت في حوزة الأمبراطورية العثمانية [٣] . لذا كانت مقررات مؤتمر « كامبل بانرمان » عام ١٩٠٧ بزرع الشعب اليهودي في فلسطين أمراً وطيد الصلة بواقع فلسطين وبأهداف الاستعمار الأوروبي. ولما كان السلطان هو العقبة التي تقف في طريق الصهيونية إلى فلسطين ، فكان من الطبيعي أن تتجه الحركة الصهيونية إلى استغلال المؤتمرات والثورات والإنقلابات ضد الحكم العثماني ، والتغلغل في كافة المجالات والأوساط التي يمكن أن يكون لها تأثير مباشر على الحكومة

(١) J. P. Garnier; *La Fin de L'Empire Ottoman*, p. 89.
(٢) ساطع الحصري ، المرجع السابق ، ص ١٠٦ . انظر ايضاً : المنار ، ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ ، م ١١ ، ج ١١ ، ص ٨٤٩ ، إذ تشير إلى مؤتمر « ويانة » الذي حضره جماعة من الترك والأرمن والمقدونيين والكرد والعرب واليهود والارناؤوط الذي قرر استعمال جميع الوسائل الانقلابية لتحقيق الانقلاب وخلع السلطان .
(٣) ارنولد توينبي : فلسطين جريمة ودفاع ، ص ٤١ .

العثمانية [١] . إذ أن العمل الصهيوني في عهد السلطان عبد الحميد لم يكن ملائماً لتحقيق الأهداف الصهيونية وهذا ما يؤكده القنصل البريطاني في القدس « بلش » (Blesh) الذي يصف المصاعب التي وضعتها السلطات المحلية العثمانية لعملية إنتقال ملكية الأراضي إلى الرعايا الأجانب والهادفة إلى منع الإستيطان اليهودي في فلسطين [٢] .

والواقع أن ردود الفعل العربية والحوادث المتكررة بين العرب واليهود ، كان لها أثر واضح في إصدار مثل هذه القوانين . وقد أكد وكيل القنصل البريطاني في يافا في رسالته إلى « لوثر » (Lowther) — السفير البريطاني في القسطنطينية — « من أن هؤلاء اليهود من المهاجرين الروس مشاغبون ومعتدون وبسلوكهم وأعدادهم المتزايدة يمكن أن يثيروا إستياء أهالي البلاد المسلمين والمسيحيين على السواء » . ويضيف « بأن الحوادث بين العرب واليهود إنما مردها إلى وجود شعور متزايد ضد تدفق اليهود » [٣] . وبالفعل فقد أكد « بلش » — القنصل البريطاني — أنه « وقعت صدامات في يافا بين العرب واليهود في آذار (مارس) ١٩٠٨ استدعت على أثرها الحكومة المركزية قائمقام يافا للتحقيق معه في أسباب الإضطرابات » [٤] . وقد بلغ من سوء الهجرة اليهودية والمضاعفات التي أحدثتها على الصعيد الفلسطيني والصعيد الدولي أن جعل ممثل دولة مؤيدة لليهود يتذمر من تصرفات هذه الفئة التي لا تستحق العطف [٥] على حد تعبيره .

وفي هذه الفترة كانت الدوائر الصهيونية لا تزال تسعى مع الساعين لتغيير نظام الحكم في تركيا مؤكدين استمرارهم في تحركهم إلى أن يحصلوا على مطالبهم ، فقد أشاروا في مقرراتهم إلى أنه « سنعمل كل ما في وسعنا على منع المؤامرات التي تدبر ضدنا حين نحصل نهائياً على السلطة ، متوسلين

(١) عودة بطرس عودة : القضية الفلسطينية في الواقع العربي ، ص ٢٢٥ .
(٢) رسالة « بلش » إلى « اوكونر » ١١ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٨ ، نقلاً عن خيرية قاسمية ، النشاط الصهيوني ، ص ٥٥ . انظر ايضاً :
(Report) to Lowther. Dec. 1907, No. ?, in F.O. 195/2276.
(٣) (Report) to Lowther, 18 March 1908, No. 12052, in F.O. 371/591.
(٤) Blesh to Lowther, April 1908, No. ?, in F.O. 195/2287.
(٥) رسالة « بلش » إلى « اوكونر » ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٨ نقلاً عن : خيرية قاسمية : المرجع السابق ، ص ٥٥ .

إليها بعـدد من الإنقلابات السياسية المفاجئة التي سننظمها »[١] . ونتيجة للتعاون الصهيوني — الماسوني قرر « الشرق الأعظم » الفرنسي في عام ١٩٠٠ إزاحة السلطان عبد الحميد ، وبدأ يجذب لهذا الغرض حركة « تركيا الفتاة » منـذ بداية تكوينها[٢] . والواقع أن المبادئ اليهودية والماسونية أثرتا كثيراً على منتسبي جمعية الإتحاد والترقي ، الذين حافظوا على تلك المبادئ والتقاليد حتى بعد الثورة . وهناك مسألة جديرة بالتدقيق والتأمل وهي أن اليهود المنتسبين لفرقة الإتحاد والترقي أصبحوا أصحاب الكلمة العليا والنفوذ في هذه الجمعية[٣] .

وفي عـام ١٩٠٨ إتسعت جمعية الإتحاد والترقي وتفاقم خطرها خاصة بعد دخول اليهود في عضويتها ، ودخول يهود « الدونمـــة المتسترين » (Cryptic Jew) المقيمين في سالانيك[٤] . وتعتبر هذه المدينة المركز الرئيسي لدسائسهم ومؤامراتهم ، لأن هذه المدينة تضم أوفر عـــدد من اليهود في تركيا ، ولأنها من ناحية أخرى تضم عدداً كبيراً من الدونمة[٥] . ورأى الإتحاديون أن نهاية السلطان باتت وشيكة الوقوع ، فقرر أعضاء الجمعية البدء بهذه الثورة والقيام بها يوم ذكرى مقتل السلطان عبد العزيز ، غير أن الظروف لم تكن مؤاتية[٦] . ولذا تأجلت من ٥ حزيران (يونيه) ١٩٠٨ إلى ٢٣ تموز (يوليه) من نفس العام .

ويذكر القائد التركي جواد رفعت أتلخان — المعاصر للسلطان عبد الحميد — أن الهدف من ثورة ١٩٠٨ هو « أن الصهيونيين يريدون تجريد السلطان عبد الحميد من سلطنته وثروته وأملاكه إنتقاماً منه ولعدم إفساح المجال له للقيام ضدهم ثانية . والمرتدون كانوا منحصرين في سلانيك يريدون إزالة عبد الحميد من طريقهم لتصفية الجو لهم ... وجمعية الإتحاد والترقي كانت

---

(١) محمـد خليفة التونسي : الخطر اليهودي ، بروتوكولات حكماء صهيون ، البروتوكول ١٥ ، ص ١٧١ .
(٢) ارنست رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ص ١٢٦ .
(٣) جواد رفعت اتلخان : الخطر المحيط بالأسلام — الصهيونية وبروتوكولاتها ، ص ١٥١ .
(٤) Lord Eversley ; *The Turkish Empire*, p. 370.
أنظر أيضاً : H M. Kallen ; *Zionism and World Politics*, p. 111.
(٥) حقائق عن قضية فلسطين ، صرح بها مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني ، ص ١٢٠ .
(٦) W. Miller: *The Ottoman Empire*, p. 474.

بحاجة إلى المال ... »[١] . ويضيف في كتابه « الإسلام وبنو اسرائيل » « أن اليهود هم الذين نشروا الفوضى في داخلية البــلاد ، ونظموا القوة المناهضة للحكم التركي بقصد تحطيم الأمبراطورية العثمانية ، وسلحوا أعضاء تركيا الفتاة في الخارج ونظموا صفوفهم وأمدوهم بالأمول ، كما نظموا عصابات السلافية في البلقان »[٢] . وكان المحفل الماسوني (Macedonia Ristora) قد شارك في هـذه النشاطات قبل فترة طويلة ، فقبل عامين من انقلاب تموز (يوليه) حصل اليهودي قراصوه على إذن لعقد اجتماعات جمعية الإتحاد والترقي في محفله . وبهذه الطريقة أصبح أعضاء هذه الجمعية من الماسون ، في الوقت الذي كان فيه قراصوه منهمكاً في تكوين اللجان الداخلية للجمعية[٣] .

هذا ويمكن القول أن اليهود لعبوا دوراً فعالاً في ثورة ١٩٠٨ ، ويؤكد (Seton-Watson) هذه الحقيقة بقوله : إن أصحاب العقول المحركة لثورة الإتحاد والترقي عام ١٩٠٨ كانوا يهوداً ومن الدونمـــة . وأما المساعدات المالية فانما كانت تجيئهم عن طريق الدونمة ويهود سالانيك المتمولين[٤] . وشعر العثمانيون بهذا الواقـع كما تقول « المشرق » إذ « أن الكل يعلم أن مركز ذلك الإنقلاب إنما كان في سالانيك واليهود فيها نيف وسبعون ألفاً »[٥] . وقد استطاعت هذه الحركة استغلال عداء العرب وبقية القوميات في الدولة العثمانية لحكم السلطان العثماني ، بالرغم من أنه لم يكن هناك هدف واحد وقاسم مشترك بين المشتركين بالثورة ، ولكن تعددت الأهداف

---

(١) جواد رفعت اتلخان : الخطر المحيط بالاسلام ، ص ١٣٧ . وكان اتلخان معاصراً لحكم السلطان عبد الحميد الثاني ، وكان مديراً لدائرة الأمن العام العثماني أثناء الحرب العالمية الأولى وقد وعى أهداف الحركة الصهيونية أثناء النشاط الصهيوني قبل وبعد ثورة ١٩٠٨ — ١٩٠٩ . ويعتبر هذا القائد من الذين تعرضوا — فيما بعد — لتهديدات الصهيونية إثر كشفه الستار عن كثير من المعلومات التي تتعلق بأطماع اليهود في فلسطين وخطرهم على العالم العربي والاسلامي . ومن مؤلفاته : اسلام صاران تهلكه (الخطر المحيط بالاسلام) ، تورك أوغلي دوتسمانك طاني (أيها التركي ، اعرف عدوك) ، أسرار الماسونية ، كيزلي دولت (الدولة الخفية) ، موسى داغي ، اينه لي فيجي ، الاسلام وبنو اسرائيل ، تمزيق القناع الماسوني وغيرهم . وكان يصدر جريدة استقبال (المستقبل) وجريدة بالانجليزية باسم (United Islam Nations) .
(٢) جواد رفعت اتلخان ، الاسلام وبنو اسرائيل ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .
(٣) J. Haslip ; *The Sultan - The Life of Abdul Hamid II*, p. 284.
(٤) W. Seton-Watson ; *The Rise of Nationality in the Balkans*, p. 134.
(٥) المشرق ، آب (اغسطس) ١٩١١ ، العدد ٨ ، ص ٦١٧ .

بتعدد القوميات ، وتعددت المطالب بتعدد الزعامات ، كما يمكن القول أنه لم تكن توجد أهداف مشتركة بين الإتحاديين وبين الحركة العربية سوى اشتراكها في كراهية السياسة الحميدية .

ومن هنا يجب أن نقرر حقيقة هامة ، وهي أن بعض العرب المقيمين في باريس أو في المناطق العثمانية ، إنما استُغلوا من قبل الصهيونية والمتمولين اليهود ، دون أن يدروا غاياتهم وأهدافهم الأساسية المتمثلة في السيطرة على فلسطين . ولما تعاون العرب مع المنادين بخلع السلطان ، إنما كانوا يهدفون من وراء ذلك الوصول إلى الإصلاح السياسي والإجتماعي والإقتصادي للبلاد العربية ، بينما لم يكن اليهود والصهاينة يطالبون بمطالب إصلاحية معينة ، بل كان مطلبهم الأساسي إنشاء « مملكة اسرائيل » .

وفي ٢٣ تموز (يوليه) تمرد الجيش الثالث في مقدونيا وبالذات في ولاية سالانيك ، حيث أعلن الثورة وهدد بالتقدم نحو العاصمة استانبول بقيادة الماجور أحمد نيازي قائد « حصن رسنة » فاعتصم بالجبل وانضم إليه أنور باشا ومصطفى كمال وآخرون مع وحداتهم ، وسرعان ما احتلت المفارز الثورية مدينة مناستر (بيتولج) حيث يوجد مقر قيادة الجيش الأول [١].

ويذكر « روحي بك الخالدي المقدسي » أحداث الثورة فيقول : « في يوم الخميس ٢٣ تموز (يوليه) ١٩٠٨ ، خرج الناس من سلانيك صباحاً ووجدوا إعلانات مختومة بختم الجمعية أي جمعية « الإتحاد والترقي » العثمانية تدعوهم إلى الاجتماع في يوم الجمعة لإعلان القانون الأساسي والحرية ، فلم يتمهلوا للغد بل اجتمعوا في ذلك النهار في ميدان « أوليمبوس » على الطوار — الرصيف — في مدينة سلانيك وضج الجمهور قائلاً : إما الحرية وإما الموت !!... » [٢] .

ويلاحظ الدارس من أسماء خطباء الثورة ، إشتراك الدول الأوروبية في التخطيط لها بالاتفاق مع الإتحاديين واليهود فكان « أول من خطب على

(١) B. Lewis; *The Emergence of Modern Turkey*, p. 203.
انظر ايضاً : فلاديمير لوتسكي : تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

(٢) روحي بك الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة ، نقلاً عن : الهلال ، ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ ، ج ٣ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ . انظر ايضاً : المنار ، ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ ، م ١١ ، ج ١١ ، ص ٨٥٦ ، ٨٥٧ .

طنف — بلكون — فندق « أوليمبوس بلاس » غالب أفندي بالتركية ثم مانويل قرصوه باليهودية الإسبانية ، ثم روصو أفندي بالفرنسية وسليمان أفندي بالتركية وفضلي بك نجيب محرر جريدة « عصر » بالتركية وفيلو طاش بابا جورج بالرومية والتركية وترجمان المحكمة المخصوصة — فوق العادة — بالبلغارية ، وفي ختامهم عادل بك رئيس البلدية بالتركية ثم هتف الجميع : فليحي الوطن ، فلتحي الأمة ، فلتحي الجمعية ، فليحي الجيش ، الحرية أو الموت » [١] .

وفي هذه الظروف كان لجمال باشا — مساعد قائد الموقع في سلانيك — دورٌ بارزٌ في احداث الثورة ، فقد عهد إليه بمفاوضة المابين باسم الجيش ، فاحتل مع فرقة من جنوده دار البرق وأبلغ برقياً حسن تحسين باشا رئيس الديوان السلطاني إرادة الجيش بضرورة إعلان الدستور ... [٢] إلا أن السلطان أراد في الواقع مجابهة هذه الثورة ، وكان قد فكر بمهاجمة وحبس الجيش المتمرد عن طريق جيشه في ألبانيا [٣] . ولكن امكانية تدخل الدول الأجنبية لم تكن بعيدة عن مخيلته ، فاستبعد الفكرة لأنه كان يعلم بأن هذه الدول هي التي ساعدت الثوار الإتحاديين الذين كانوا — كما قالت صحيفة « المباحث » — « يعرفون كيف يستميلون الكثيرين من الأجانب الذين ازدحموا على العاصمة يريدون أن ينالوا شيئاً من الإمتياز لاستثمار منافعها ، فكانوا يمنونهم بالوعود أنه إذا انتهت السلطة إليهم أنالوهم ما يرغبون فيه ... » [٤] ويعترف المؤرخ الصهيوني (Kallen) بأن أكثر أعضاء جمعية الإتحاد والترقي كانوا من « الدونمة » ، وممن عاشوا في المنفى ، وكان هؤلاء تلاميذ السياسة الأوروبية [٥] ، الذين كانت تأتيهم المساعدات المالية

(١) روحي بك الخالدي المقدسي ، المقال السابق ، نقلاً عن الهلال ، ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ انظر أيضاً : المنار ، ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ ، م ١١ ، ج ١١ ، ص ٨٥٦ . وقد أنشد الجمع المحتشد بالفرنسية :
Allons Enfants de la Patrie le Jour de Gloire est Arrivé
وترجمته بالتركية : قالقك اي اهل وطن   شان كونلري كلاي .
ويعني بالعربية : هلموا يا بني الوطن   فيوم المجد قد وافى .

(٢) الأسرار ، ١٠ نيسان (ابريل) ١٩٣٨ ، العدد ١ ، ص ٦ .

(٣) W. Miller: *The Ottoman Empire*, p. 474.

(٤) خليل بك خالد : نشأة الانقلاب العثماني ، نقلاً عن : المباحث ، ١٥ حزيران (يونيه) ١٩٠٩ ، العدد ١٣ ص ٥٦١ . انظر : المباحث ، ص ٥٥٨ — ٥٦٤ . وقد نشر هذا المقال ايضاً في مجلة « القرن التاسع عشر » .

(٥) H.M. Kallen; *Zionism and World Politics*, pp. 111, 112.

من الرأسمالية العالمية ، من ڤيينا وبودابست وبرلين وربما من لندن وباريس[١]. كما يظهر النفوذ الأوروبي في أوساط الإتحاديين بما له من سيطرة رأسمالية واقتصادية في الإقتصاد العثماني ، فقد كانت المؤسسات الضخمة في الدولة العثمانية تخضع لسيطرة البعثات الأجنبية وأصبحت رؤوس الأموال الأجنبية ومشاريعها بارزة ومؤثرة في الإقتصاد العثماني[٢].

ونظراً لهذه الظروف التي أحاطت بالثورة ، رضخ السلطان لمطالب الجمعية ، والظاهر أنه تأثر تأثراً عميقاً من أحداث ١٩٠٨ بعد ان رأى الملابسات المحيطة بها واشتراك اليهود ويهود الدونمة في التخطيط لها — بالاضافة إلى خوفه على العرش — مما جعله يتنبأ بأن هذه الثورة ليست في مصلحة تركيا ولا العرب فصرخ عالياً : « رباه ! عاقب هؤلاء المسؤولين عن هذه النكبة »[٣].

وفي اليوم التالي من الثورة أي مساء الجمعة ٢٤ تموز (يوليه) ١٩٠٨ وردت رسالة برقية إلى حلمي باشا المفتش العام لولايات مكدونيا بصدور الارادة السنية باعادة القانون الأساسي . فاجتمع الناس في سراي الحكومة وأعلنت الحرية والقانون الأساسي رسمياً بحضور المفتش العام ، ومشير الفيلق ابراهيم باشا وموظفي الحكومة والبلدية وأعضاء الجمعية وابتـدأ موسم الأفراح والسرور »[٤].

ويمكن القول أن قادة الحركة طلبوا من بعض قطاعات الجيش في مختلف انحاء الدولة العثمانية المجيء إلى سلانيك — مركز الثورة — حتى يزداد عدد الوحدات المناوئة للسلطان واعداد العدة لخلعه فيما بعد إذا ما سمحت الظروف . وقد أفاد القائم بأعمال مساعد القنصل البريطاني في يافا في تقرير موجه إلى القنصل « بلش » في القدس بأنه في ٢٩ آب (أغسطس) ١٩٠٨ قـد أبحر على متن الباخرة الروسية « لاظريف » (La Zareff) بقيادة « بليكوف » (Belicoff) (٤٠٠) جنـدي من جنود الإمدادات متوجهين إلى سلانيك[٥]. وكانت هذه التحركات والظروف الداخلية

---

(١) W. Seton-Watson; *op. cit.*, p. 135,

(٢) A. Rappoport; *History of Palestine*, p. 322.

(٣) J. Haslip; *The Sultan...*, p. 285.

(٤) روحي الخالدي : المصدران السابقان (الهلال والمنار) ، انظر ايضاً عن ردود فعل ثورة ١٩٠٨ في مصر : المنار ، ٢٨ تموز (يوليه) ١٩٠٨ ، م ١١ ، ج ٦ ، ص ٤٦٤ .

(٥) Blesh to Lowther, 31 August 1908, No. 44, in F.O. 195/2287.

والخارجية قد ازدادت حدة ، ويمكن القول أن الأسباب التي دعت السلطان إلى عدم مواجهة الجيش المتمرد هي ذاتها الأسباب التي دعته إلى إصدار الدستور ، بالإضافة إلى إرضاء الأكثرية العثمانية المطالبة بإصداره ، وكان هناك أسباب أخرى دولية من بينها الظروف السياسية الدولية التي كانت تنذر بالخطر من جراء المؤامرات التي تبنتها الدول الأجنبية ضد السلطنة[١]. وكانت انجلترا في مقدمة هذه الدول وهي أقرب المرشحين المنطقيين لأن تتشرف بخلع السلطان ، لأنها وصلت إلى الدرجة التي لا تخسر معها شيئاً إذا قلب النظام القائم في الأمبراطورية العثمانية . كما أن فرنسا لم تكن لها رغبة أكيدة في إبقاء كيان الدولة العثمانية على هـذا الوضع وإلى الأبد ، بل كانت تميل ميلاً تقليدياً كمعظم الدول الأوروبية إلى التأجيل بـدل مواجهة المشاكل التي لا بد أن تنجم عن أي تبدل في الوضع[٢].

وانطلقت الإشاعات بين شعوب الدولة العثمانية ، بأن ثورة ١٩٠٨ إنما مردها إلى تدخل الدول الأجنبية ، وقد أكدت الأحداث اللاحقة صحة ما شاع بين العثمانيين الذين اقتنعوا « بأن لبعض دول الغرب يداً في الثورة التي حدثت في العاصمـة . وإذا طلبت إليهم التخصيص قالوا : انجلترا وفرنسا لأن لهما في الشرق أغراضاً ومآرب . فالأولى على زعمهم ترغب في مد يدها إلى الحجاز واليمن ، والثانية تطمع باحتلال سوريا ، وقد رسخ هذا الإعتقاد في عقل بعضهم حتى أصبـح يعتبر هذا الأمر أكيداً قريب الوقوع »[٣]. وقد بلغ الأمر ببعض الصحف إلى تجاهل ونفي هذه الحقائق ، ووجدنا صحيفة « لسان الاتحاد » في عامها الأول ١٩٠٩ — وهي لسان حال الاتحاديين — تنفي هذه الأفكار الرائجة لأنه لا أساس لها من الصحة لا لشيء إلا « لأن الدولتين الانجليزية والفرنساوية مخلصتان للحكومة العثمانية الحرة ... »[٤]. ويؤكد السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته ، الدور الذي لعبته الدول الأوروبية في القضاء على الدولة العثمانية وعلى حكمـه فيقول : « بأن منظمة مناستر كانت تـدار بواسطة الانجليز ، بينما أعضاء تركيا الفتاة في سلانيك كانوا تحت تأثير ماسون ألمانيا وإيطاليا . وقد

---

(١) محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثماني ، الكتاب الثاني ، ص ١٦٨ .

(٢) ارنست رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ص ١٥٥ ، ص ١٥٦ .

(٣) لسان الاتحاد ، ٢٣ نيسان (ابريل) ١٩٠٩ ، ص ٢٠٣ .

(٤) لسان الاتحاد ، ٢٣ نيسان (ابريل) ١٩٠٩ ، ص ٢٠٣ .

بدأ أنور ونيازي تحت ضغط الماسون الألمان — مع جماعة سلانيك — بالتحرك ضدي ... وأن الإتحاديين في سلانيك كانوا يرون أن التحالف مع الانجليز ضرورة ملحة لأنها أكبر دولة بحرية ...»[١]. ويرى مصطفى كامل أن دول أوروبا التي كانت تتظاهر بتطبيق المبدأ المقدس، مبدأ حماية استقلال الدولة العثمانية كانت هي نفسها التي تجزيء الدولة العلية بإسم هذا المبدأ المقدس نفسه[٢]. ومما يؤكد تحالف الانجليز مع الإتحاديين ما أبداه السفير البريطاني «لوثر» (Lowther) من العطف الخاص الذي تكنه انجلترا لتركيا الجديدة، وصرح أن من مهام انجلترا وأكبر واجب عليها في الوقت الحاضر أن تساعد بكل قواها رجال الإصلاح في السلطنة العثمانية[٣].

ومهما يكن من أمر، فبعد صدور الارادة السلطانية بإعادة مجلس المبعوثان جرت الإنتخابات في الولايات العثمانية، وأسفرت عن انتخاب ستين عربياً بينهم خمسة فلسطينيين في مقدمتهم روحي بك الخالدي المقدسي[٤] وسعيد بك الحسيني وحافظ بك السعيد عن متصرفية القدس، والشيخ أحمد أفندي الخماش عن لواء نابلس، وأسعد أفندي شقير عن لواء عكا[٥].

---

(١) Sultan Abdül Hamit;in: *Hatira Defteri.*

(٢) مصطفى كامل: المسألة الشرقية، ص ١٢.

(٣) توفيق برو: العرب والترك ١٩٠٨ — ١٩١٤، ص ٣٤٢، وصفحات متفرقة أخرى.

(٤) بعد صدور المشروطية في ٢٤ تموز (يوليه) ١٩٠٨، كان روحي الخالدي لا يزال قنصلاً للدولة العثمانية في بوردو بفرنسا، فبادر إلى كتابة مقال طويل جعل عنوانه «الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة» وبعث به إلى مجلة «الهلال» بالقاهرة، نشرت المجلة القسم الأول منه في أول تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٨ وذكرت انه المقدسي. وكان روحي الخالدي في كتاباته التي نشرها خلال عشر سنوات — وهو قنصل عام في بوردو — يكتفي بهذا اللقب ويتخفى وراءه دون ان يذكر اسمه الصريح مراعاة لمنصبه الرسمي، وحرصاً على عدم اثارة الحكومة العثمانية ضده.

وحين صدر القسم الثاني من المقال في أول كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ في «الهلال» كان الخالدي قد ترك منصبه في بوردو، واختاره أهل القدس نائباً عنهم في مجلس المبعوثان العثماني في الآستانة، وحينئذ صدر المقال باسمه الصريح «لروحي بك الخالدي المقدسي نائب القدس الشريف في مجلس المبعوثان» ثم جمعت المقالتان وصدرتا في كتاب طبع بمطبعة الهلال عام ١٩٠٩ وكانت مجلة «المنار» قد نشرتهما في حينه. للمزيد من التفصيلات حول هذا الموضوع انظر: ناصر الدين الأسد: محاضرات عن محمد روحي الخالدي رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين، ص ١٠٨.

(٥) Blesh to Lowther, 26 Nov. 1908, No. 55, in F.O. 195/2287.
انظر ايضاً: الهلال، الأول من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨، ج ٣، ص ١٧٧.

ومجموعة أخرى من بكوات أهل الشام بينهم أعضاء في جمعية الإتحاد والترقي[١]. وقد تمنت عليهم مجلة «الهلال» خدمة الأمة وتدبير شؤونها السياسية والادارية نظراً لما حازوه «من ثقة الأمة في علمهم وصدق عثمانيتهم، وهم لا ريب من خيرة أبناء الوطن».

ومن خلال الانتخابات الأخيرة، حاولت الأوساط الصهيونية في فلسطين تثبيت قدميها من الناحية السياسية والقانونية، فدعت اليهود إلى الإنتساب إلى فرع جمعية الإتحاد والترقي في القدس، ورشحت أحد الصهيونيين في الانتخابات هو المسيو ليفي — مدير بنك أنجلو — فلسطين — في القدس، ولكنه فشل نظراً لمعارضة العرب في فلسطين لهذا الترشيح، ونظراً لضآلة الناخبين اليهود[٢]. إلا أن النتائج العامة في مختلف المناطق العثمانية أسفرت عن نجاح خمسة ممثلين عن الصهيونية واليهود. وكانت جمعية الإتحاد والترقي قد عملت على عقد اتفاقيات مع المجموعات غير التركية في اختيار مرشحيهم للانتخابات، وقد نجحت في معظم الأحوال في عقد مثل هذه الاتفاقيات[٣].

وفيما يختص بفلسطين يذكر «بلش» (Blesh) — القنصل البريطاني في القدس — من أن أخبار إعادة صياغة الدستور العثماني لم تستأثر بالإنتباه كثيراً

---

(١) كانت النتائج العامة للانتخابات في بلاد الشام على النحو التالي:

في بلاد الشام

سليمان افندي البستاني ورضا بك الصلح عن بيروت وأقضيتها — فؤاد بك خلوصي من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي عن لواء طرابلس الشام — الشيخ احمد افندي الخماش من علماء نابلس عن لواء نابلس — أسعد أفندي شقير من علماء عكا عن لواء عكا.
الأمير محمد ارسلان من سراة لبنان عن لواء اللاذقية

في ولاية سوريا (دمشق)

عبد الرحمن باشا محافظ موكب الحج، وشفيق بك المؤيد، ورشيد بك الشمعة، ومحمد أفندي العجلاني.

في متصرفية القدس

روحي بك الخالدي المقدسي، وسعيد بك الحسيني، وحافظ بك السعيد.

(٢) انظر: Y. Roi; *The Zionist Attitude to the Arabs 1908 - 1914*, p. 207.
كانت القوانين العثمانية تمنع اليهودي الأجنبي من المشاركة في الأعمال الخاصة بالدولة وادارتها، ومنها منعه من الاشتراك في العمليات الانتخابية. وتذكر «صحيفة العالم الاسلامي» من انه فيما يختص بالانتخابات حدث اتفاق بين الأرمن والاسرائيليين في الدولة العثمانية لتنسيق الجهود فيما بينهم. انظر: . *Revue du Monde Musulman*, T. 5, p. 730, (Paris 1908)

(٣) Fitz-Maurice to Lowther, 30 Nov. 1908, No. ?, in F.O. 195/2281.
انظر أيضاً: . Lowther to Grey, 1 Sept. 1908, No. 30971, in F.O. 371/546

في القدس ، وأن الصحيفة الرئيسية في السنجق في عددها الصادر في ٢٨ تموز (يوليه) ، نشرت برقية تشير فيها ان البرلمان قد حل ، وان هذه البرقية قد قدمت رسمياً من قبل المتصرف لعقد اجتماع يضم الرؤساء الروحيين [١] .

والظاهر انه بعد ثورة الإتحاديين وإعادة الدستور ١٩٠٨ ، حدث اجتماع بين القنصل البريطاني في القدس وبعض الزعامات الإسلامية والمسيحية لإفهام القنصل أن أهدافهم هي المساواة وعدم التمييز بين مختلف فئات الشعب ، يؤكد القنصل البريطاني من أنهم « بذلوا قصارى جهدهم للتأكيد لي — وقد صدقوا — بأنهم محررون من أية قيود مذهبية أو نزوات للحصول على امتيازات ، وإنما يسعون للمساواة فحسب مع باقي الرعايا من أي جنس أو دين ، ويمكنني أن أذكر شيئاً واحداً يدعم ما شرحته أعلاه ، وهو أن معظم هؤلاء الذين يتكلمون الإنجليزية بطلاقة يتعاملون مع الانجليز والأمريكيين بحرية ويرسلون أولادهم للمدارس الإنجليزية في القدس حيث يتلقون التعاليم المسيحية » [٢] . وهو بذلك يشير إلى تحرر زعماء فلسطين من التعصب الديني والثقافي . ويؤكد هذا الإجتماع من ناحية أخرى بأن المسلمين والمسيحيين في فلسطين ليسوا متعصبين بالنسبة للطوائف الأخرى ، ويقصدون هنا الطائفة اليهودية التي أخذت بريطانيا على عاتقها حمايتها ، وهذا يدل دلالة واضحة على عدم تميز الفلسطينيين بين مختلف طوائفهم ، أما الحالة فقد كانت عكس ذلك بالنسبة لليهود الأجانب الذي رفض شعب فلسطين هجرتهم . وبالاضافة إلى الاجتماع الذي عقد بين الزعماء المسلمين والمسيحيين من جهة والقنصل البريطاني في القدس من جهة أخرى ، فقد عقد اجتماع آخر بين القنصل وبين نائب القدس روحي بك الخالدي الذي أبلغه « بأنه سيسافر مع رفيقيه إلى القسطنطينية ... وقد أوضح لي بأن رأيه هو أن يبحث البرلمان في أول جلسة يعقدها في مسألة تعديل الدستور » . وأضاف روحي الخالدي للقنصل مؤكداً ما سبق أن أعلنه زعماء المسلمين والمسيحيين من أنه « لا يعترف بالإمتيازات للمسلمين ، وأن مثل هذه التشريعات في حال وجودها فانها تكون نتيجة للجهل » [٣] . ومما لا شك فيه أن عدداً من التساؤلات تثار حول حرص الزعماء الفلسطينيين

(١) Blesh to Lowther, 6 Aug. 1908, No. 39, in F.O. 195/2287.
(٢) Blesh to Lowther, 6 Aug. 1908, No. 39, in F.O. 195/2287.
(٣) Blesh to Lowther, 31 oct. 1908, No. 57, in F.O. 195/2287.

على الإجتماع بالقنصل البريطاني ، وربما يعود ذلك إلى أهمية القنصلية البريطانية في مسار السياسة العثمانية ، وإلى تأكيد هؤلاء الزعماء بأن الفلسطينيين إنما ينشدون المساواة بين الجميع ويحرصون على الاصلاح وتطبيق العدالة من قبل الحكم التركي الجديد . أما فيما يختص بالهجرة اليهودية إلى فلسطين فليس هناك مجال للشك بأن زعماء فلسطين الجدد وفي مقدمتهم روحي بك الخالدي وسعيد بك الحسيني وحافظ السعيد قد أبدوا معارضتهم الشديدة لها ، وألقوا خطباً عديدة في هذا الشأن في البرلمان الجديد ، وكان لها صدًى واسع وناجحٌ ومؤثرٌ في وقف الهجرة اليهودية ولو إلى حين .

هذا ويمكن القول أنه بعد الانتهاء من الانتخابات في جميع انحاء الدولة العثمانية وإعادة دستور « مدحت باشا » عقد البرلمان الجديد أولى جلساته يوم الخميس في ١٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ بحضور السلطان وبحضور الأمراء العثمانيين ، ولكن منذ اليوم الأول وطد السلطان عزمه على أن يتخلص من الإتحاديين ومن الدستور ومن البرلمان [١] . لأن جمعية الإتحاد والترقي عملت منذ البداية على تحطيم جهاز القصر [٢] . فاتبع السلطان سياسة خاصة مع مناوئيه حتى أنه في ٣١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ دعا النواب إلى وليمة غداء في القصر ، وطبقاً لحسابه فقد استطاع أن يستميل عدداً كبيراً منهم بما فيهم أكثرهم انتقاداً له أحمد رضا [٣] .

٤ — دور اليهود في ثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان في عام ١٩٠٩

تؤكد « الموسوعة اليهودية » بأن السلطان عبدالحميد الثاني عامل يهود الدولة العثمانية معاملة طيبة ، ويشهد بذلك بعض المقربين إليه من اليهود أمثال « أرمينيوس ڤامبري » (A. Vambery) الصديق الشخصي للسلطان الذي صرح « أنه من خلال الصداقة المستمرة التي تربطني بالسلطان منذ سنوات طويلة كان لي الفرصة للتعرف على معاملته الطيبة لليهود . وكان أول حاكم تركي يعطيهم المساواة أمام القانون مع رعاياه المسلمين ، وعندما استلم الحكم أمر بإعطاء رواتب شهرية لحاخام تركيا الأكبر ، وبمعنى آخر عامل الحاخام كما يعامل كبار موظفي الدولة واتخذ تقليداً بأن يرسل

(١) زين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط ، ص ٥٥ .
(٢) Barclay to Grey, 29 July 1908, No. 26307, in F. O. 371/544.
(٣) Lowther to Grey, 14 Jan. 1909, No. 2283, in F. O. 371/760.

سنوياً في عيد الفصح إلى حاخام القسطنطينية ثمانية آلاف فرنك لتوزع على فقراء اليهود في العاصمة التركية [١] . وعندما منعت حكومة كريت المحلية في عام ١٨٨١ مشاركة اليهود في الانتخابات البلدية ألغى عبد الحميد هذه الانتخابات ووبخ السلطات لتعديها على حقوق اليهود . وفي عام ١٨٨٢ ونتيجة للحريق الذي شب في الحي اليهودي « حسكني » (Haskani) ، تشردت ستة آلاف عائلة يهودية في القسطنطينية ، فبذل السلطان عبد الحميد ما باستطاعته لتخفيف هذه الكارثة عن اليهود [٢] .

ويؤكد « شاهين مكاريوس » — وهو مؤرخ معاد للسلطان عبد الحميد — من أن السلطان العثماني عامل اليهود معاملة طيبة وأنه في عام ١٨٩٦ م (٥٦٥٦ ع) أنعم بالوسام المجيدي على حاخام باشي الطائفة الاسرائيلية بمصر وتوابعها « رابي أهارون بن سيمئون » (Rabbi Aharon Ben Simeon) وفي عام ١٩٠٢ م (٥٦٦٢ ع) منحه الوسام العثماني الثاني [٣] .

وبالرغم من هـذه المعاملة الطيبة ، إلا أن السلطان العثماني كان يميز في المعاملة بين اليهودية وبين الصهيونية ، وتؤكد ذلك « الموسوعة اليهودية » بقولها ، انه نظراً لأهداف الحركة الصهيونية المتعاظمة ارتاب السلطان بهذه الحركة وسياستها وبالتالي عمل ضدها ولم يكن متعاطفاً معها أو مساعداً لها ، وقد كانت نظرته إلى اليهود تخالف نظرته إلى الصهيونية [٤] . على أنه مما لا شك فيه أن هؤلاء اليهود الذين عوملوا معاملة حسنة قد تعاونوا مع الصهيونية باعتبارها الحركة المخولة إعادة الأراضي المقدسة إلى الشعب اليهودي ولا يخفى دور اليهود الفعال في ثورة ١٩٠٨ وفي حادثة خلع السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٩ بالاتفاق مع « جمعية الإتحاد والترقي » ، ولا يخفى ما كان للدونمـــة والماسونيين من نفوذ قوى في أوساط تلك الجمعية [٥] .

---

(١) The Jewish Encyclopedia, vol 1, p. 47.
انظر ايضاً : الموسوعة اليهودية بالروسية ، م ١ ، ص ٧٣ — ٧٤ .
(٢) المصدران نفسيهما بالانجليزية ص ٤٧ ، والروسية ص ٧٤ .
(٣) J. Landau ; *Jews in Nineteenth-Century Egypt*, p. 238.
انظر ايضاً النص الاصلي في : شاهين مكاريوس : تاريخ الاسرائيليين ص ٢٠٨ ، ومعاملة السلطان الحسنة لبقية الاحبار اليهود ، ص ٢١٠ — ٢١٢ .
(٤) *The Jewish Encyclopedia*, vol. 1, p. 75. (باللغة الروسية)
(٥) B. Lewis : *The Emergence of Modern Turkey*, p. 208.

ويذكر جواد رفعت أتلخان الارتباط الوثيق بين الصهيونية والماسونية واليهودية والدونمة ، ويؤكد القائد التركي بأن السلطان العثماني حرص على إبقاء الدونمة (المرتدين) في سلانيك وعدم إفساح المجال لجيئهم إلى الآستانة لكي يتجنب تحركاتهم . ونتيجة لتصلبه تجاههم عادوه عـداوة شديدة ، فقاموا بالدعاية ضده لدى الشعب والجيش، كما أن الأدوار التي قام بها الثلاثي المحامي منير سالم وقارصوه وجاويد في حادثـة خلع السلطان عبد الحميد كانت مهمة جداً ، وهؤلاء هم الذين قاموا بدور بارز في تأسيس وتوسيع جمعية الإتحاد والترقي المرتبطة برابطة متينة إلى التشكيلات الماسونية التي أسست بمال وذكاء اليهود . ويضيف قائلاً : بأن اليهود هم الذين قاموا بحوادث ١٩٠٨ ، إذ ثبت دخول ضباط الدونمـة (المرتدين) في صفوف الجيش بزي الجنود ، وبدأوا بتحريضهم للقيام بالثورة [١] .

وهناك معلومات أخرى تؤكد أن الحقيقة الظاهرة في تكوين جمعية الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية ، فمنذ إنشائها لم يظهر بين قادتها وزعمائها عضو واحد من أصل تركي خالص فأنور باشا مثلاً هو ابن رجل بولندي ، وكان جاويد من الطائفة اليهودية المعروفة بالدونمة وقارصوه من اليهود الاسبان القاطنين في سلانيك ، وكان طلعت باشا بلغارياً من أصل غجري اعتنق الإسلام ظاهراً ، أما أحمد رضا — أحد زعمائها في تلك الفترة — فقد كان نصفه شركسياً ، والنصف الآخر مجرياً [٢] . كما أن اليهوديين « نسيم روسو » و « نسيم مازلياح » كانا من العناصر المؤسسة والفعـالة في حركة « تركيا الفتاة » . كما أكدت الأحداث المعاصرة عظم نفوذ اليهود وكثرتهم الغالبة في هذه الحركة [٣] . بـــل من الأهمية بمكان تسليط الأضواء على فئة قلما أشار إليها مؤرخو أحداث ١٩٠٨ — ١٩٠٩ ، وهي جماعة البكتاشية [٤] ، التي لعبت دوراً هاماً في مساعـدة الإتحاديين ضد

---

(١) جواد رفعت اتلخان : الخطر المحيط بالاسلام — الصهيونية وبروتوكولاتها ص ٧٦ .
(٢) W. Seton-Watson; *The Rise of Nationality in the Balkans*, pp. 135-136.
(٣) انظـر : جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ١٧٦ ، هربرت فيشر : تاريخ اوروبا في العصر الحديث ، ص ٤٤٨ — ٤٤٩ .
(٤) البكتاشية : وهي امتداد للحركة القرمطية ، تنسب الى الحاج بكتاش أحد الأوليـــاء في الأناضول ، وقد انتقلت البكتاشية إلى البلقان بعد انتقال الاسلام اليه ، وانتشرت في ألبانيا انتشاراً ملحوظاً في منتصف القرن السادس عشر الميلادي . وقد شذت عن التعاليم الاسلامية فلم تر مانعاً من ترك الصلاة والصوم، كما أباحت شرب الخمر. وأصبحت البكتاشية فيما بعد =

السلطان العثماني ، لا سيما وان بعض زعماء « تركيا الفتاة » كانوا ممن ينتمون إلى هذه الجماعة[١]. ولعل من الأخطاء التي ارتكبها السلطان عبد الحميد الثاني أن لم يكن أحد من الرجال الأربعة المستشارين الذين وقع اختياره عليهم من أصل تركي فهم اما يونان أو يهود أو أرمن ، وجميعهم باستثناء قائدهم أسعد كانوا أعضاء بارزين في جمعية الإتحاد والترقي[٢].

وتؤكد مذكرة « لوثر » إلى الخارجية البريطانية ، بأن لجنة الإتحاد والترقي تبدو في تشكيلها الداخلي تحالفاً يهودياً — تركياً مزدوجاً ، فالأتراك يمدونها بالمادة العسكرية الفاخرة ، بينا يمدها اليهود بالعقل المدبر ، وبالتنظيم والمال وبالنفوذ الصحفي القوي في أوروبا[٣].

وفي ١١ تموز (يوليه) عام ١٩١١ أوردت صحيفة « التايمز » (Times) معلومات عن جمعية الإتحاد والترقي بقولها : أن لجنة سلانيك قد تكونت تحت رعاية ماسونية بمعاضدة اليهود والدونمة في تركيا وكان مركزهم في سلانيك. وان يهودا مثل قارصوه وسالم وساسون وفارجي ومازلياح ومن الدونمة مثل جاويد وأسرة بالجي قد لعبوا دوراً بارزاً في تنظيم اللجنة المذكورة وفي مناقشات جهازها المركزي في سلانيك . وقد لعب طلعت باشا دوراً فعالاً في هذه اللجنة منذ ان كان موزعاً للبريد والبرق في أدرنة ، فقد كلف بنقل الرسائل السرية من وإلى سلانيك ومناستر ، وتكشف « الأسرار » بأنه « بذل مجهوداً عظيماً في نشر نفوذ الإتحاديين واستعان على ذلك بالبنائين الأحرار (الفرمسون) ، يبشر بالعصبة ... فأيدها البناؤون الأحرار ودعموها بنفوذهم[٤]. وقد استطاع فرع جمعية الإتحاد والترقي في سلانيك إخفاء أهدافها وتحركاتها في البدء لأن جمعية الأحرار — التي جعلت شعارها الإتحاد والترقي ودبرت أمرها تدبير من طب لمن حب — تستعين

= حركة سياسيه — دينية ، فانتسبت اليها جماعات مسيحية لأنهـا رأت فيها حركة تمكنها من الجمع بين المسيحية والاسلام .

(١) محمد موفاكو : (استاذ في فرع الاستشراق في جامعة برشتنا — يوغوسلافيا) مقال : البكتاشية، نقلاً عن : العربي ، آذار (مارس) ١٩٧٧ ، العدد ٢٢٠ ، ص ٦٤ — ٦٨ .

(٢) J. Haslip; *The Sultan-The Life of Abdul-Hamid II*, p. 283.

(٣) ملف وثائق فلسطين ، جـ ١ ، ص ١٥٥ .

(٤) الأسرار ، ١٠ نيسان (ابريل) ١٩٣٨ ، العدد ١ ، ص ٤ . أنظر أيضاً : محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثماني ، الكتاب الثاني، ص ١٦٦ .

على قضاء حاجتها بالكتمان الشديد فتنقل أسرارها شفاهاً[١]. ولكن أمرها كشف بعد ذلك « لكثرة الداخلين وصعوبة الكتم والاخفاء ، فأحس بها جواسيس سلانيك وبعثوا بتقاريرهم إلى المابين ، فأرسلت الجواسيس من الآستانة ، فقررت الجمعية إعدام الذين ثبت لديها تجسسهم وخيانتهم للوطن ، وعينت فدائيين من أعضائها بالقرعة أو بالتراضي[٢]. وقد يكون مقتل اسماعيل ماهر باشا بشكل غامض بعد انقلاب تموز (يوليه) عام ١٩٠٨ لأنه علم بعض أسرارهم وكتب بها إلى يلدز[٣].

ومن المؤكد أن قادة هذه المحافل كانوا من اليهود ، وهذا وضع يثير كثيراً من الشكوك وخاصة في نفوس من كانوا يرون في الماسونية محاولة تقوم بها اليهودية العالمية للسيطرة على العالم[٤]. ويرى (Garnier) بأن يهود سالانيك المنتمين إلى المحافل الماسونية كان باستطاعتهم أن يحددوا بعزم العناصر الحكومية التي ستتولى الحكم في المستقبل ، وأن المبادئ الأساسية الموجهة للاتحاديين إنما ظهرت تحت تأثير الحركة الصهيونية المتخفية[٥]. وبلغ من نفوذ اليهود في أوساط تركيا الفتاة ان جُعل مركز الجمعية الرئيسي في سالانيك إرضاء لرغبات اليهود والماسونية معاً ، بالاضافة إلى كثرة أعضائها في مقدونيا حيث يشكلون عناصر فعالة في الجمعية[٦].

والواقع أنه بعد ثورة عام ١٩٠٨ ازداد النفوذ اليهودي في أوساط السلطات العثمانية ليس في تركيا فحسب وإنما في فلسطين أيضاً ، وتذكر صحيفة « العالم الإسلامي » انه بعد تدخل الصحافي « بن يهودا » لدى باشا القدس استطاع إلغاء المضايقات التي كانت مفروضة على قبول المهاجرين اليهود من أصل روسي أو روماني . ومن ناحية ثانية فقد كُتب في صحيفة « الأفكار الحديثة » عن تدفق المهاجرين اليهود من أصل يمني إلى فلسطين

---

(١) المقتبس ، كانون الثاني (يناير) ١٩٠٩ ، م ٣ ، جـ ١٢ ، ص ٢٧٢ .

(٢) روحي بك الخالدي المقدسي ، المقال السابق ، نقلاً عن : الهلال ، ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ ، جـ ٣ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، المنار ، ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ ، م ١١ ، جـ ١١ ، ص ٨٥٥ .

(٣) رسالة « لوثر » إلى « غراي » ٢٩ أيار (مايو) ١٩١٠ ، نقلاً عـن : خيرية قاسمية ، المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٤) ارنست رامزور : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٥) J. P. Garnier; *La Fin de L'Empire Ottoman*, p. 90.

(٦) W. Miller; *The Ottoman Empire and its Successors*, p. 474.

حيث سكن ألفان منهم في القدس وشغلوا الأحياء المميزة [١]. وقد بلغ من نفوذ اليهود أيضاً بين أوساط الإتحاديين ما جعلهم يؤثرون على اتجاهات الجمعية من الناحية الدولية، إذ كانت العلاقة جيدة مع كل من انجلترا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا بينما كان موقف أعضاء تركيا الفتاة المعادي لروسيا معناه أن النفوذ الروسي سيتضاءل حتماً إذا تولى أعضاء « تركيا الفتاة » الحكم بصورة عملية ومستمرة [٢]، وذلك بسبب العداء المستحكم بين روسيا واليهود بسبب ظروف اضطهاد القياصرة الروس للجماعات اليهودية منذ فترة طويلة .

ويذكر أنه بعد اعلان المشروطية (الدستور) في ٢٤ تموز (يوليه) عام ١٩٠٨ دخل كثير من الدونمة إلى الآستانة وبدأوا يمارسون ضغطاً سياسياً واقتصادياً على الأتراك، حيث حثوا الناس على الإحتجاج والاضراب أثناء التحاق البوسنة والهرسك بالنمسا، وهم الذين استغلوا الأتراك مالياً مستفيدين من تلك الظروف [٣]. ويؤكد « خالد العظم » — وهو معاصر لهذه الأحداث — أنه جرت أحداث مشابهة قامت بها جمعية « الإتحاد والترقي » أثناء هجوم الجيش البلغاري على الدولة العثمانية وذلك لإثارة الفوضى وتعميق النقمة على السلطان الذي حاول أن يعقد هدنة مع بلغاريا . ويضيف أنه « لما علم الضباط المهووسون من جماعة الإتحاد والترقي وعلى رأسهم أنور بك بطل الانقلاب في عام ١٩٠٨ دفعوا طلاب الجامعة وسائر المدارس للقيام بمظاهرات صاخبة هاجمت الباب العالي — مقر الصدر الأعظم ووزير الخارجية — وهم ينادون « حرب ايسترز » أي نريد الحرب » [٤].

والوثائق المعاصرة لأحداث عام ١٩٠٨ تؤكد بأن اليهود اشتركوا في الثورة وقاموا بالمظاهرات ضد السلطان في العاصمة العثمانية ووصلوا بها حتى قصر يلدز [٥]. وكان هدفهم إيجاد جو ملائم للاطاحة بالسلطان عبد الحميد

(١) *Revue du Monde Musulman*, T. 7, p. 149. (1909).
(٢) انظر : ارنست رامزور، المرجع السابق، ص ١٥٥، انظر ايضاً :
L. Stein: *Balfour Declaration*, p. 35.
(٣) جواد رفعت اتلخان : الخطر المحيط بالاسلام، ص ٧٦ .
(٤) خالد العظم : مذكرات خالد العظم، ج ١، ص ٣٨ . شهد خالد العظم هذه الأحداث عندما كان بصحبة والده ووالدته في رحلتها إلى تركيا، وكان والده آنذاك وزيراً للأوقاف والمساجد .
(٥) انظر الملحق رقم (٦) للمزيد من التفصيلات عن الثورة واحداثها انظر مقال :
La Révolution en Turquie في مجلة :
Revue du Monde Musulman, T. 5, pp. 718 - 744 (1908).

الثاني وسيطرة الإتحاديين على مقاليد الحكم بمساعدة المحافل الماسونية والدونمة التي هيأت الأجواء الملائمة لمثل هذه التحركات. ويقول « لوثر » — السفير البريطاني في الآستانة — بأنه في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٠٨ مارست الجمعية ضغطاً مكثفاً على السلطان لإجباره على إقصاء الذين اشتهروا من النظام القديم من مجلس المبعوثان [١]. ويضيف قائلاً : أن عمانويل قارصوه المحامي الماسوني اليهودي من سالانيك، كان قد أسس محفلاً فيها، له صلة بالماسونية الايطالية، ويبدو أنه قد أقنع جماعة تركيا الفتاة من الضباط والمدنيين بتبني الماسونية على أمل ممارسة نفوذ يهودي غير محسوس على الحكم الجديد في تركيا، رغم أنه ادعى ظاهرياً أنه يهدف إلى خديعة جواسيس عبد الحميد فقط، فقدم لهم محفله ملجأ، وبالتقائهم في بيت أجنبي تمتعوا بالحصانة الفائقة ضد أساليب التحقيق، وهكذا أتاحت سرية المحافل لجماعة تركيا الفتاة إمكانية تشكيل تنظيمهم للقضاء على نظام حكم السلطان عبد الحميد [٢].

ويؤكد « مارلنغ » و « لوثر » في رسائلها إلى « غراي » بتاريخ ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٠٩ « أن وحي الحركة في سالانيك يبدو يهودياً بصفة رئيسية، فكلمات حرية — عدالة — مساواة — شعار الأتراك الإتحاديين — هي ابتكار الماسون الطليان، واللونان الأحمر والأبيض متماثلان . وهذه الشعارات هي ذاتها شعارات محفل (Macedonia Ristora) وشعارات الجمعية اليهودية « بني برث » (Beni Brith) وهي إحدى فروع الماسونية المتعاونة مع الاليانس الاسرائيلي العالمي [٣]. وقد عثرت على مجموعة من شهادات الماسونية وشعارات جمعية الإتحاد والترقي تثبت أن شعاراتها وتعاليمها هي واحدة كما عثرت على مجموعة من النقود التركية الإتحادية تثبت هذه الحقيقة [٤].

(١) Lowther to Grey, 19 Dec. 1908, No. 45087, in F.O. 371/546.
(٢) Lowther to Grey, 29 May 1910, No. 20761, in F.O. 371/1010.
(٣) انظر : محمد علي الزعبي : الماسونية في العراء، ص ٨٧، ويذكر المؤلف من أن منظمة (Beni Brith) هددت القائد التركي جواد رفعت اتلخان بعد ان كشف بمؤلفاته اخطار الصهيونية ولا سيما كتابه « اسلامي صاران » أي « الخطر المحيط بالاسلام » الذي كشف فيه جهود تلك المنظمة بتأسيس مدارس الأليانس والقضاء على أعداء صهيون ...، حول جهود الأليانس مع الاتحاديين في سالانيك أنظر :
A. Chouraqui; *L'Alliance Israélite Universelle*, p. 105.
(٤) أنظر الملحق رقم (١١)، والملحق رقم (١٢) .

ويؤكد « لوثر » — ما ذكره « مارلنغ » — في رسالة إلى « غراي » بتاريخ ٢٩ أيار (مايو) ١٩١٠ من أن انضمام الكثير من ضباط الجيش وكبار الموظفين إلى المحافل الماسونية يبدو أنها موجهة وموحى بها من قبل اليهود . وبلغ من خطورة الماسونية المنتشرة في الأوساط التركية ان جعلت مسؤولاً بريطانياً يتخوف من الأفكار الماسونية ذات الصفة الثورية الغامضة والمضطربة [١] . ويضيف « لوثر » مؤكداً بأن ثورة الإتحاديين ثورة يهودية أكثر منها تركية بقوله : « ان النائب اليهودي الماسوني قارصوه قد أظهر حماساً بالغاً في تأييد التقدم نحو العاصمة لخلع السلطان ، وأن الفرق الأربع المتجهة إلى العاصمة من سالانيك كان يقودها أحد الدونمة الماسونيين من سالانيك هو الكولونيل رمزي بيه الذي عين رئيساً لمعاوني السلطان محمد الخامس » . وقد شعر الأتراك بدور اليهود الفعال في هذه الثورة ويقول « لوثر» حول هذا الموضوع « أنه أصبح ملاحظاً أن اليهود من كل الألوان مواطنين وأجانب كانوا مؤيدين ومتحمسين للحكم الجديد ، وقد عبر عن ذلك أحد الأتراك بقوله : ان كل يهودي يبدو جاسوساً ممكناً للجمعية السرية ، وبدأ الناس يعلقون بقولهم ان الحركة كانت ثورة يهودية أكثر منها ثورة تركية . »

ويذكر « أرنست رامزور » عن العلاقة اليهودية الإتحادية ، بأنه يمكن القول بكل تأكيد ان الثورة التركية تقريباً من عمل مؤامرة يهودية ماسونية [٢] . ويعترف « رفيق بك » — أحد الشخصيات البارزة لجمعية الإتحاد والترقي — لمحرر جريدة « تايمز » الباريسية في ٢٠ آب (أغسطس) ١٩٠٨ من أنه كان للمحافل الماسونية إصبعٌ في ثورة ١٩٠٨ التركية [٣] وقال : حقاً اننا وجدنا سنداً معنوياً من الماسونية وخاصة الماسونية الايطالية فالمحفلان الايطاليان (Macedonia Ristora) و (Laboret Lux) قدما لنا خدمة

(١) رسالة مارلنغ إلى غراي ، ١٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٠ ، نقلا عن : خيرية قاسمية ، المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٢) ارنست رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ص ١٢٦ . ورامزور من مواليد كاليفورنيا ١٩١٥ ، وحتى عام ١٩٦٠ كان لا يزال من كبار موظفي الخارجية الأميركية ، وقد شغل مناصب هامة في استانبول وبرمن وتورنتو وواشنطن وبيروت . وكان نائباً للقنصل الاميركي في استانبول ١٩٤٨ — ١٩٥٠ ، وقد اتيحت له الفرصة في تركيا للاجتماع مع عدد من الاشخاص الذين اشتركوا في ثورة ١٩٠٨ .

(٣) جواد رفعت اتلخان : الخطر المحيط بالاسلام ، ص ١٥٠ ، ١٥١ .

حقيقية ووفروا لنا الملاجئ فكنا نجتمع لننظم أنفسنا ، كما اننا اخترنا معظم رفقائنا من هذين المحفلين اللذين ساعدا لجنتنا كغربال نظراً لما كانا يبديانه من دقة في الاستفسار عن الأفراد [١] . وقد تبين عملياً من أن تنظيم جمعية الإتحاد والترقي كان على غرار تنظيم « الكاربوناري » (Carbonari) الايطالية ، وتبين أيضاً ان الحكومة الايطالية والمحافل الماسونية فيها ساعدا الشبان الأتراك ، لأن ايطاليا كانت تنتظر الفرصة المناسبة للسيطرة على طرابلس الغرب ، خاصة وأنه لم يكن مؤكداً بعد إلى أي مدى تعتمد الحركة الثورية التركية على ما يسمى « الشرق الكبير » (Grand Orient) المليء بالحركات السرية والتنظيمات السياسية التي انتشرت في أوروبا [٢] .

وتؤكد الصحف العربية المعاصرة لأحداث الثورة حقيقة العلاقة بين الماسونية والانقلابيين بالقول « قد تنفس الزمان للماسون بعد الانقلاب الذي كان لهم فيه أصابع معروفة فأسسوا شرقاً عثمانياً استاذه الأعظم طلعت بك ناظر الخارجية وأركانه من زعماء جمعية الإتحاد والترقي وأنصارها من اليهود ... » [٣] . وانتخبوا في هيئة الادارة العليا داويد كوهين ، روفائيل ريجي ، نيقولا فورته ، ماركس أونا ، جاكوب سهامي ، جورج سبرساك ، الذين استغلوا شعارات الجمعية لتحقيق مراميهم الخاصة [٤] .

وكانت الصحافة الصهيونية في أوروبا قد أولت أخبار الثورة الإتحادية عام ١٩٠٨ اهتماماً بالغاً ومنها الصحيفة الصهيونية (Neue Freie Presse) التي قامت بنشر أخبار الثورة وتأييدها ، ونشرت تصريحات قادة الإتحاديين أمثال فهمي باشا — سكرتير المفوض الممتاز — الذي ذكر مساوئ حكم السلطان عبد الحميد وتحدث عن مساوئ الرقابة الشديدة على التقارير المختلفة ، وكانت صحيفة « إقدام » قد ترجمت هذا الموضوع في حينه [٥] .

(١) ارنست رامزور ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) J. Haslip; *op. cit.*, p. 256.

(٣) المشرق ، ايار (مايو) ١٩١١ ، العدد ٥ ، ص ٣٨٣ .

(٤) إذا ما رجعنا إلى البروتوكولات الصهيونية — التي يشكك البعض في صحتها — فانها تؤكد حقيقة الأهداف الصهيونية إذ يقول البروتوكول التاسع : من شعاراتنا الماسونية الحرية والعدالة والمساواة ، سنبدلها عندما نقيم مملكتنا إلى كلمات لا تحمل هذا المعنى الشعاري ... وانما يغدو معناها الوحيد مجرد الدلالة على صور مثالية . حول هذا الموضوع أنظر : عجاج نويهض : بروتوكولات حكماء صهيون ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .

(٥) *Revue du Monde Musulman*, T. 5, p. 730.

وتعتبر هذه الصحيفة التركية من الصحف المؤيدة للسلطان « وقد كان إقدام السبق في المطاعن وتشديد النكير لأنها صحيفة لسان حال المابين في الدور الماضي[1] ولكنها غيرت سياستها بعد الثورة وبعد إعادة الدستور واشتداد المعارضة ، مما حدا بالمتظاهرين الأتراك واليهود التوجه إلى مركز هذه الصحيفة في ٢٥ تموز (يوليه) عام ١٩٠٨ وهتفوا أمامها : « تحيا الحرية ، تحيا الصحافة »[2] .

ويذكر السير وليم رمزي (W. Ramsey) — سياسي بريطاني ورحالة — في مذكراته أثناء الإنقلاب العثماني ١٩٠٨ ان مقالة صدرت في صحيفة (Neue Freie Presse) الألمانية الصهيونية لفتت نظره ، لأن كاتب المقال أصر على أن « أهم ما يجب على الإتحاديين القيام به هو الهجوم حالاً بدون أدنى تأخير على الآستانة ، وأن الحملة السريعة ولو كانت بجيش صغير هي خير من مهاجمة المدينة بجيش جرار بعد حين ، فيكفي أن يكون هذا العدد وإحضاره أمام الاستانة فلا يقل عن الخمسة أيام ... »[3] وهذا مما يدل على حماس الصحيفة الصهيونية بالاسراع في الهجوم على العاصمة وخلع السلطان ، ويدل على تأييدها خطوات جمعيـــة الاتحاد والترقي ، ونظراً للتأييد الذي لمسه الإتحاديون من هـذه الصحيفة فقد أرسلوا رسالة إليها باسم « أنقر » عضو الجمعية يخبرها بتبني اقتراحها الزحف إلى القسطنطينية لأن « هذا اليوم هو اليوم الأول للحرية . الشعب بأكمله ... احتفل بهذا العيد، إذا كان السلطان لا يأبه لمطالبنا سنزحف إلى القسطنطينية »[4].

وكانت الأوساط الصهيونية قد استمالت بعض الصحف التركية وفي مقدمتها صحيفة الإتحاديين « تركيا الفتاة » . ويؤكد « لوثر » هذه الحقيقة في تقريره المرسل من الآستانة إلى وزارة الخارجية البريطانية عـام ١٩١٠ بقوله : « ... اني أرفق نسخة من ثلاث مقالات ظهرت مؤخراً في « تركيا الفتاة » وهي صحيفة تنطق بلسان اللجنــة وهي مثل صحيفة « فراي برس » .

---

(١) المباحث ، ١٥ حزيران (يونيه) ١٩٠٩ ، السنة الأولى ، العدد ١٣ ، ص ٥٦٣ .

(٢) *Revue du Monde Musulman*, T. 5, pp. 722-723.

(٣) مذكرات السير وليم رمزي في أثناء الانقلاب العثماني ، نقلاً عن : النفائس ، ١٥ نيسان (ابريل) ١٩١٠ ، ج ٤ ، ص ١٠٥ .

(٤) انظر نص الرسالة كاملاً في الملحق رقم (٧) نقلاً عن :
Revue du Monde Musulman, op. cit., p. 718.

(Neue Freie Presse) التي تصدر في ڤيينا ويمولها ويشرف عليها اليهود[1]، ويضيف « لوثر » في رسالتين بتاريخ ٢٩ أيار (مايو) و ٢٢ آب (أغسطس) ١٩١٠، إلى أن صحيفة « تركيا الفتاة » كانت تمولها مؤسسة صهيونية تسمى (Anglo-Palestine Trading Corp.)[2] ، وتضم في هيئة تحريرها يهوداً وأتراكاً وأرمن وكريتيين وقفقازاً ، وعرباً[3] . وكانت هناك صحف أخرى خاضعة للنفوذ الصهيوني مثل صحيفة « عثمانيتشرلويد » التي وقفت مع الثورة وأيدت خلع السلطان ، وكان صاحبها ومحرر الأخبار فيها سامو هبشورغ وهو يهودي اشكنازي ماسوني[4].

هذا ويؤكد « بلش » — القنصل البريطاني في القدس — أن الصهيونيين أبدوا آراءهم على أمل تحقيق ما عجزوا عن تحقيقه في العهد السابق ، وأوله إلغاء القوانين السابقة المقيدة للهجرة والتملك[5] . ومن أجل ذلك لم تكتف جمعية الإتحاد والترقي بإعلان المشروطية (الدستور) ، بل قررت خلع السلطان عبد الحميد الثاني ومهدت لذلك بنشر عدد من البيانات خلال

---

(١) ملف وثائق فلسطين ، ص ١٥٥ ، ج ١ . وكانت صحيفة « تركيا الفتاة » تصدر بالعربية أولاً في أواخر القرن التاسع عشر ، ثم صدرت أيضاً بالفرنسية بعـد ان تغير اسمها من (Courrier d'Orient) إلى (Le Jeune Turc) ، وعمد الصهيونيون إلى وضع رئاسة تحريرها بيد جلال نوري بك ابن وزير وأحد النافذين الاتراك . وفي منتصف عام ١٩٠٩ تكاثرت الصحف التي تسيطر عليها الصهيونية بعد ان كانت في الأساس اما مؤيدة للصهيونية واما هي يهودية وتأتي في مقدمتها مجلة فرنسية اسبوعية اسمها « الفجر » (L'Aurore) سبق ودافعت عن اليهود بشدة في قضية دريفوس وغيرها من قضايا اليهود ، ومجلة اسبوعية اخرى تصدر باليهودية اليديشية (El Judes-Ha Hehudi.) (Ladino) ، ومجلة اسبوعية تصدر بالعبرية وهي (Ha-Mevasser) وغيرها من الصحف المنتشرة في أوروبا .

(٢) وهي مؤسسة صهيونية مركزها انجلترا وفتحت فروعاً لهـا في فلسطين ، وعملت على تمويل المستوطنين اليهود والمشاريع الصهيونية .

(٣) رسالة « لوثر » إلى « غراي » في ٢٩ ايار (مايو) و ٢٢ آب (اغسطس) ١٩١٠ ، نقلاً عن : خيرية قاسمية ، المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٤) المشرق ، ١٩١١ العدد ٨ ، ص ٦١٨ . أنظر أيضاً عن عدد الصحف اليهودية اليديشية في تركيا: *Revue du Monde Musulman*, T. 3, p. 520, (1907) وأما بالنسبة لصحيفة « تركيا الفتاة » فان صمويل هشبورغ (Samuel Hochberg) اليهودي الألماني كان مديرها الفعلي بينما كان جلال نوري محررها الاسمي ، وصمويل هذا كان استاذاً في مدارس الأليانس الاسرائيلية في الشرق ، وعرف عن كثب الأوضاع فيه بعد ان قضى مدة عشرين عاماً ، وكعادة اليهود فقد غيّر اسمه إلى إسم اسلامي ، ودعا نفسه « سامي » .

(٥) Blesh to Lowther, 29 Oct. 1908, No. 55, in F.O. 195/2287.

عام ١٩٠٨ تحرض الجنود العثمانيين على الثورة وخلع السلطان ، وتذكر مجلة « سركيس » ١٩٠٨ بأن البوليس التركي نزع هذه البيانات في الحال وأحكم المراقبة على البلاد ، وتضيف قائلة ، بأنه جاء في البيانات المنشورة : « أيها الجيش العثماني ان حكومة في عاصمة المملكة قد خرقت حرمة القانون وخانت اليمين التي أقسمتها للشعب ، فقتلت الشريعة وخنقت الحق ، وللآن أسواق المدينة [مليئة] بالدماء ، ثم قيدت البلاد بقيود من حديد وخانت الخلافة ... انتبهوا إلى واجباتكم ، واجبات الجيش العثماني ، إحموا بلادكم ، لينفدع لسان الثورة ، حرروا الشعب ، أنقذوا البلاد ... »[١]
واستمرت مثل هذه البيانات تسود العاصمة تندد بحكم السلطان العثماني يدعمها النفوذ العسكري الإتحادي الذي أصبح مسيطراً على جهاز الحكومة إلى أن ساد التوتر في الآستانة في نيسان (ابريل) عام ١٩٠٩ لا سيما بعد حركة المعارضة لجمعية الإتحاد والترقي . وقد ذكرت صحيفة مؤيدة للاتحاديين بأن المعارضين ومؤيدي السلطان « كان عملهم في العاصمة متجهاً صوب مجلس المبعوثان إذ دسوا للجند أن يحصروا أعضاء فيه وأوغروا صدورهم عليهم ، فجاؤوا ألوفاً وفتكوا ببعض كبار الدستوريين فأدمت فعالهم قلوب الناس ووقعت على السوريين خصوصاً موقعاً أبكى العيون وشق القلوب لأنهم خسروا رجلاً يجمع إلى حماسة الشباب حكمة الشيوخ أريد به المأسوف عليه كثيراً المرحوم الأمير محمد أرسلان . قتلوه في أبان عمله الدستوري نائباً عن لواء اللاذقية »[٢].

ويذكر « يوسف الحكيم » — وهو معاصر لهذه الأحداث — بأنه قد قيل آنئذ أن قاتليه ظنوه حسين جاهد بك الركن الإتحادي المعروف ورئيس تحرير جريدة « طنين » لسان حال الإتحاديين نظراً لقوة الشبه بينهما[٣].
ومن ناحية أخرى فقد ازداد توتر الحالة بعد اغتيال الصحفي « حسن فهمي »

(١) مجلة سركيس ، أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨ ، ج ١٠ ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ .
(٢) المباحث ، ١٥ ايار (مايو) ١٩٠٩ ، العدد ١١ ، ص ٥١٦ . انظر ايضاً :
النفائس ، ١٥ نيسان (ابريل) ١٩١٠ ، ج ٤ ، ص ٩٩ من مقال : فتنة ١٣ نيسان .
(٣) يوسف الحكيم : سورية والعهد العثماني ، ص ١٦٧ . ويمكن القول بأن حسين جاهد بك كان من أصل يهودي — دونمة — ومن العناصر الفعالة في المحفل الماسوني المؤيد للاتحاديين ، وكان ذلك من الأسباب المباشرة لمحاولة اغتياله . إلا أن جواد رفعت اتلخان في كتابه « الخطر المحيط بالاسلام » ص ١٣٧ ، يتهم اليهود بأنهم هم الذين أوجدوا هذه الاضطرابات تمهيداً لخلع السلطان .

صاحب جريدة « سربستي » على يد الإتحاديين وهذا ما أكدته « المجلة المصرية » بقولها : « تمادت لجنة الإتحاد والترقي في تداخلها في شؤون الحكومة حتى استأثرت بالسلطة في كل فروعها . ولما استأثرت بها لم تكتف بالنضال عنهـا بل لجأت إلى وسائل الأرهاب حتى أفضت تلك الوسائل إلى ما عزي إليهـا من مقتل المرحوم فقيد الحرية والصحافة حسن فهمي »[١].
فتجمهر جمع غفير من فئات الشعب والجنود الألبانيين مع بعض الطلاب في الشوارع الرئيسية للعاصمة وبدأوا يرددون « الشريعة في خطر » و « نريد حكم الشريعة » . وهؤلاء من الذين امتعضوا من حدوث الثورة على السلطان ، فلم يشترك واحد منهم في هتاف للاتحاديين أو امتداح العهد الجديد ، بل أنهم ألفوا جمعيات مناهضة لجمعيـة الإتحاد والترقي لا لشيء إلا لأنها تضم بينها خليطاً لادينياً من أتراك ويهود دونمة وروم[٢] . ومن هذه الجمعيات « جمعية الأحرار » وبرنامجها الاحتفاظ بالدستور وترك السلطة الفعلية للحكومة والنواب وطالما تصدت لجمعية الإتحاد والترقي لإجبارها أن تقف عند حد من توسع نفوذها ، وكانت هناك أيضاً « الجمعية المحمدية » برئاسة مراد بك الداغستاني وقوامها العلماء والعامة[٣].

والواقع أن أسباب نشأة مثل هــذه الجمعيات لا تعود إلى الأسباب المذكورة سابقاً فحسب ، وإنما بسبب إقدام الإتحاديين على زعزعة كيان الدين الذي كان لا يزال كثيراً من الناس يرون فيه سبب عزتهم وكرامتهم ، كما أن الاتحاديين بطشوا برجال الدين وأدخلوهم إلى السجون ، وكان ذلك بداية لإشعال نار الفتنة الداخلية ، بينما لم يتلق هؤلاء العلمــاء مطلقاً أية ضربة أثناء تعاملهم مع « المدافع عن العقيدة » السلطان الخليفة[٤] . وربما كانت هذه المظاهر من الأسباب التي دعت بعض العرب إلى تأييد السلطان لا سيما بعد أن تأكد لهم أن الثورة انطلقت من بلاد مقدونيا وبوحي من

(١) المجلة المصرية ، ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٠٩ ، العــدد ١٦ ، ص ٥٦ . والمعروف عن « حسن فهمي » انه كان ضد سياسة الاتحاديين يؤيده في ذلك عدد كبير من الشعب . وللدلالة على ذلك انه عندما شيعت جنازته — قبـل الثورة المضادة — بلغ عدد المشتركين فيها أكثر من ثلاثين ألفاً ، وقيل يومذاك بأن الاستانة بأجمعها قامت بتشييع الجثمان واظهرت سخطها على الجناة .
(٢) يوسف الحكيم ، المرجع السابق ، ص ١٦٦ .
(٣) المجلة المصرية ، المصدر السابق .
(٤) S. Mardin; *The Genesis of Young Ottoman Thought*, p. 408.

اليهود . ويؤكد « لوثر » أن العرب وفرق الألبان الموالية للسلطان قاومت المقدونيين آنذاك [١] . ولكن مثل هذه المقاومة لم تؤثر كثيراً في مجريات الأمور العسكرية والسياسية ، فقد عقد الإتحاديون جلسة سرية قرروا فيها خلع السلطان عبد الحميد الثاني ، وطلب من قادة الجمعية ضرورة الاتصال بالعناصر اليهودية لحضور هـذه الجلسات والاتفاق على الخطوات اللازمة ، فأرسلت برقية في ٥ نيسان (ابريل) ١٩٠٩ م — ١٣٢٧ هـ إلى المركز العام لجمعية الإتحاد والترقي تطلب من الأعضاء اليهود الحضور إلى « خادم كوي » لعقد جلساتهم [٢] . وبالفعل فقد اتجه الأعضاء اليهود إلى « خادم كوي » واجتمعوا هناك ، وبعد التخوف من إمكانية اكتشاف اجتماعاتهم انتقلوا إلى ضاحية من ضواحي استانبول هي « أيا ستفانوس » وعقدوا فيها مؤتمرهم الذي قرروا فيه خلع السلطان عبد الحميد .

ويذكر أنه في ١٣ نيسان (ابريل) عام ١٩٠٩ وقعت ثورة مضادة في استانبول للقضاء على الثورة الأولى وقامت حاميـة الآستانة وأركان السراي وفئات شعبية تطالب بمطالب عديدة منها عزل القوى الماسونية والدونمة ، وقد لخصوا مطالبهم بما يلي :

١ — إحياء الشريعة .

٢ — عزل الصدر الأعظم وناظري الحربية والبحرية .

٣ — طرد أحمد رضا بك وحسين جاهد بك وجاويد بك ورحمي بك وطلعت بك واسماعيل حقي بك ... من المجلس [٣] .

ولكن الجيش في مقدونيا كان على استعداد للعمل فزحف إلى العاصمة وضرب الحصار على قصر السلطان ، ودخل الجيش وانقض على حصون

(١) Lowther to Grey, 12 April 1909, No. 13671, in F.O. 371/769. من مقال نشر في « التايمز » بتاريخ ٧ نيسان (ابريل) ١٩٠٩ ، مرفقة برسالة « لوثر » إلى « غراي » .

(٢) انظر : النص الأصلي للبرقية بالتركية مع صورة لهـا في الملحق رقم (٨) ، أما ترجمتها العربية فهي :

« الرجاء ابلاغ البكوات حسين جاهد وجاويد ورحمي وقرصوه افندي الذي علمنا وجودهم لديكم والنواب الآخرين بضرورة القدوم إلى خادم كوي في أول قطار » .

القائمقام	القائمقام	اميرالاي اركان حرب
جمـــال	صلاح الدين	حسن عزت

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤١٠ ، ٤١١ .

الآستانة حصناً بعد آخر فامتلكها عنوة أو تسليماً حتى انتهى إلى « يلدز » بقيادة « محمود شوكت باشا » الذي قال فيه رجال السياسة الأوروبية أنه قادر على تمثيل دور نابوليون في البلقان [١] .

ويبدو أن الحالة كانت سيئة في الدولة العثمانية عامة والآستانة خاصة خلال هذه الأحداث ، واعترف بعض الدبلوماسيين الأجانب بأن الفوضى التي سادت أحداث ١٣ نيسان (ابريل) أظهرت عجز الجمعية في السيطرة على الموقف وحفظ القانون والنظام [٢] . ويذكر « لوثر » أسباب هذه الثورة المضادة فيقول : ان أحـداث الثورة المضادة التي قامت في الاستانة ضد جمعية الإتحاد والترقي في ١٣ نيسان (ابريل) ١٩٠٩ لم تتضح بعد إلى حد كاف ، إلا أنها لم تغب عن الإشارة بأنها موجهة جزئياً ضد الأعضاء اليهود والماسون في الجمعية . بينما يذكر القائد التركي جواد رفعت أتلخان معلومات خطيرة عن ملابسات الثورة المضادة تناقض مـا ورد في تقرير « لوثر » والتقارير الأخرى ، فيؤكد بأن اليهود هم الذين خلقوا حادث التمرد هـذا حتى يصلوا إلى خلع السلطان . ويضيف بأن معظم وثائق الحادث ومضابط المحاكم العسكرية الخاصة بذلك الحادث محفوظة لدى « مدحت شكري » أحد رؤساء الإتحاد والترقي [٣] . ويضيف أيضاً ، بأن اليهود ودهماء الإتحاد والترقي قاموا بقتل المواطنين في الشوارع وبالاستهزاء برجال الدين وبنهب القصور وسلبها . كما أن ستين ألفاً من أتراك أناضوليا كانوا هدفاً لأشقياء مقدونيا في أحداث الثورة [٤] .

ويؤكد « زاهد باشا الهبل » — أحد باشوات الدولة العثمانية في دمشق — أن السلطان عبد الحميد عندما علـم بعصيان جيش سالانيك وتقدمه نحو العاصمة ، لم يأمر جنده بالمقاومـة ، ولكن آمر القوى في القصر استأذن السلطان لضرب العصاة والمقاومة فمنعه ، ثم عاوده القول يريد إذنه بالدفاع

(١) المباحث ، ١٥ أيار (مايو) ١٩٠٩ ، العـدد ١١ ، ص ٥١٦ ، ٥١٧ . انظر ايضاً : النفائس ، ١٥ نيسان (ابريل) ١٩١٠ ، ج ٤ ، ص ١٠٢ ، المجلة المصرية ، ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٠٩ ، العدد ١٦ ، ص ٥٧ .

(٢) Lamb to Lowther, 12 May 1909, in F.O. 195/2323.
انظر ايضاً : Lamb to Lowther, 21 April 1909, in F.O. 195/2328.

(٣) جواد رفعت اتلخان : الخطر المحيط بالاسلام ، ص ١٣٧ .

(٤) جواد رفعت اتلخان : الاسلام وبنو اسرائيل ، ص ١٠٧٢ .

فقال له ولقوى القصر : أعرف جيداً أن كل ما يرومون هو خلعي أو قتلي وأنا شخص واحـد ، فإذا أمرتكم بالمقاومة سقط القتلى منكم ومنهم ، وأنتم جميعاً أفراد من هذه الأمة ، والأمة ستحتاج إليكم فيما ينزل بها من شدائد [1] .

ويبرز دور اليهود مرة ثانية في حادثة خلع السلطان عبدالحميد الثاني عندما مارس الاتحاديون الضغوط على مفتي الإسلام محمد ضياء الدين بإصدار فتوى الخلع ، ثم أوفدوا يوم الثلاثاء ٢٤ نيسان (ابريل) عام ١٩٠٩ — ٧ ربيع الآخر ١٣٢٧ هـ — هيئـة مكونة من عارف حكمت باشا رئيس الوفد ، وعضوية كل من أسعد طوتباني باشا وغالب باشا وآرام أفندي الأرمني ومن زعماء اليهود الماسونيين قارصوه ، ووصلوا إلى يلدز لإبلاغ السلطان نبأ الخلع . وكانت مشاعر التأثر والأسى بادية عليه فقال بغضب : طيب ... فأشار إلى قارصوه وقال : ما هو عمل هذا اليهودي في مقام الخلافة . وحدق بغضب إلى قارصوه وتابع كلامه : بأي قصد جئتم بهذا الرجل أمامي ... وبدلاً عن الجواب ساد الارتباك الجماعة وبالأخص اليهودي ، وعلاوة على ذلك استولى عليه الخوف ... فلم يجد في نفسه قدرة للجواب [2] . ومما زاد في حسرة السلطان أنه سبق ان طرده من مجلسه في قصر يلدز حينما حاول التأثير عليه لإسكان اليهود بفلسطين [3] . وخاصة أن قارصوه هذا اعتقل بتهمة التجسس في قصر يلدز على أبواب ثورة ١٩٠٨ وسيق إلى السجن إلى ان عفا عنه السلطان .

ويذكر الأميرالاي « حسام الدين أرتورك » — رئيس شعبة م. م. في حرب الاستقلال ورئيس قلم المخابرات في الأمبراطورية العثمانية — أن زميله النقيب « ديبريلي » أوضح له بأنه كان مكلفاً بحراسة السلطان عبدالحميد المخلوع عن العرش ، فذكر له السلطان — وقد عصره الألم — أن الشيء الذي آلمه

---

(١) سعيد الأفغاني : كانت الصهيونية هي خالعة السلطان ومقوضة المملكة العثمانية ، نقلاً عن : مجلة العربي ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٢ ، العدد ١٦٩ ، ص ١٥٤ .

(٢) جواد رفعت اتلخان : الخطر المحيط بالاسلام ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ . وتذكر « المشرق » ، آب (اغسطس) ١٩١١ ، العدد ٨ ، ص ٦١٨ ، حول دور اليهود في حادثة الخلع انه كان من جملة الساعين بالأمر رئيس محفل الماسونيين في سلانيك وهو يهودي ، ومعه أحـد المسلمين اليهود أيضاً .

(٣) صالح بويصير : جهاد شعب فلسطين ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

أكثر من غيره هو أن يبلّغ إليه اليهودي قارصوه خادم الماسونيين قرار الخلع . وأن السلطان لا ينسى مطلقاً « عمانوئيل قارصوه » وهو في سراي يلدز ، إذ وجد في حضوره إهانة لمقام الخلافة [1] . ويضيف النقيب « ديبريلي » بأن السلطان عبدالحميد الثاني حدثه عن آخر اجتماع له مـع الزعيم الصهيوني هرتزل ورئيس الحاخامين في تركيا حيث طلبا إنشاء وطن قومي لليهود وأشارا إلى القدس وقال هرتزل له : « أعرض على مقـام سلطاننا اننا رهن الإشارة لتقديم مـا تقدرونه من أي مبلغ من الذهب لأجل القدس . » فقال السلطان للنقيب « ديبريلي » : أنه عندما سمع هذا العرض غضب « وغلى الدم في عروقي، إذ تصور يا سيادة النقيب أن هذين اليهوديين مثلا أمامي ليقدما إلى سلطنتنا رشوة . صرخت في وجهيهما قائلاً : أن أخرجا من هنا ، ان الوطن لا يباع بالنقود . طلبت إلى رجال القصر — الذين اندفعوا حيث كنا — أن يقودوهما حالاً إلى خارج القصر . وبعد ذلك أصبح اليهود أعدائي ، فما ألاقيه الآن هنا في سلانيك من عذاب الاعتقال ليس سوى جـزائي منهم حيث لم أرض أن أقتطع لهم أرضاً لدولتهم المزعومة » [2] .

ومن الأهمية بمكان القول ، أن الاتحاديين حرصوا على سجن السلطان في سلانيك لأنه المركز اليهودي — الدونمي الماسوني — الإتحادي — الدولي — حيث نقل إلى هناك وكان يرافقه بعض حريمه وحاشية صغيرة في ٢٧ نيسان (ابريل) عام ١٩٠٩ [3] ، وسجن في ڤيلا «ألاتيني» (Alatini) وهي تخص أحد أصحاب البنوك اليهود الأغنياء في جمعية الإتحاد والترقي . ووضع شقيق « رمزي بيه » [4] ، الماسوني حارساً عليه ، وأنه بعد الخلع هللت الصحف اليهودية في سلانيك للتخلص من « مضطهد اسرائيل » على حد قول لوثر في رسالته إلى غراي بتاريخ ٢٩ أيار (مايو) ١٩١٠ .

هذا ، وقد تولى جاويد بك في ڤيلا « ألاتيني » — باسم الحكومة التركية —

---

(١) جواد رفعت اتلخان : الاسلام وبنو اسرائيل ، ص ١٥٤ .

(٢) جواد رفعت اتلخان : الاسلام وبنو اسرائيل ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٣) نقل السلطان الى سلانيك مع ثلاثة من نسائه وأولاده عبد الرحيم ومحمد سليم وعابد وبناته شادية وعائشة ورافعة.

(٤) رمزي بيه : كولونيل من الدونمة الماسونيين في سلانيك ، وهـو الذي عين رئيساً لمعاوني السلطان محمد رشاد — الخامس — وكان له دور بارز في ثورة ١٩٠٨ وقرار الخلع في ١٩٠٩ .

كل الأمور المتعلقة بالسلطان الذي وقف يتذكر الأيام الماضية ، والذي سمع من جاويد بعض الكلمات وتهانيه لحراسه الذين رقوا خلال مهلة قصيرة إلى مراكز أكثر أهمية . واكتشف السلطان أنه خدع من قبل تركيا الفتاة التي لم تفكر باعطائه حريته ، بل خططت لوضع حراسة مشددة أكثر مما كانت عليه في السابق[١] . والمعلوم أن السلطان لم يعامل معاملة حسنة كما سبق ان وعد عند إصدار فتوى الخلع ، بل مورست بحقه بعض الأمور التي اعتبرها السلطان مجحفة ، بينما اعتبر الاتحاديون بأن هذه المعاملة السيئة يجب أن تطبق بحق عدو الإتحاد والترقي . وبلغ التضييق بحق السلطان – بعد أن نقل إلى قصر بكلربكي – أن منع عنه الزوار ، كما عمد الاتحاديون في كل مساء إلى تغيير كلمة السر التي لا يجوز لسوى عارفيها دخول القصر والخروج منه[٢] .

والوقع أنه كما حدثت حركة معارضة ضد الاتحاديين بعد ثورتهم في عام ١٩٠٨ ، فانه جرت معارضة مماثلة ضدهم بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني لا سيما في المناطق العربية والإسلامية أيضاً ومنها ألبانيا وقد أوردت الخبر صحيفة « نهضة العرب » نقلا عن صحيفة « غازيت دي فرانكفورت » التي قالت : « بأن الهياج في ألبانيا على أشده بين مسلميها منذ بضعة أيام . ويتساءلون ... ما الذي دعا إلى كل هذه الحركة ويطلبون معرفة الأسباب الشرعية التي خولت فتيان الترك خلع السلطان عبد الحميد . [وهم] غير راضين عن عمل شوكت باشا والجيش المقدوني ويخشى أن يكون تصرف أصحاب الإتحاد والترقي تمهيداً لنكبة في الإسلام ، إذ أن الذين قاتلوا المسلمين عقيب حركة الاستانة لم يكونوا من المسلمين »[٣] .

ونتيجة لتردي الأوضاع في بعض المناطق العثمانية المؤيدة للسلطان العثماني خشيت الحكومة الإتحادية من انتشار حركة المعارضة إلى مناطق أخرى ، فأرسل شوكت باشا برقية إلى جمعيات سلانيك والجمعية السليمية ، يوعز فيها ان ينصحوا المسلمين بالخضوع لأوامر الحكومة الدستورية ولا يظهروا أدنى اعتراض على جلوس السلطان محمد الخامس .

(١) J. Haslip; *op. cit.*, p. 291.
(٢) انظر الملحق رقم (١٠) .
(٣) نهضة العرب ، ١٤ أيار (مايو) ١٩٠٩ ، العدد ٦ ، ص ٣ .

ويمكن استخلاص بعض الأمور من حركة المعارضة ضد الاتحاديين في أحداث ١٩٠٨ وخاصة حركة الألبانيين من أن هذه الجماعة – بغض النظر عن تأييدها للسلطان – كانت على دراية ووعي بأهداف الانقلاب الاتحادي وخلع السلطان ، لا سيما وان معارضتهم كانت نابعة « من أن الذين قاتلوا المسلمين ... لم يكونوا من المسلمين » . والمقصود بهم هنا اليهود والدونمة . ومن جهة أخرى فان المعارضة لم تقتصر على الألبان فحسب ، وإنما تعدتها إلى بعض المناطق العربية ، فقد حدث في اللاذقية بسوريا حركة معارضة مماثلة ويتجلى ذلك في أن أحد المدرسين نقل خبر خلع السلطان مشفوعاً باهانته له وتعظيم جمعية الاتحاد والترقي ، فنقل الطلاب الخبر إلى ذويهم فتجمع الأهالي وساروا إلى منزل المدرس يريدون إلقاء القبض عليه ، ففر إلى منزل رجل فرنسي ، فلحقوا به إلى هناك وطلبوا أن يُسلم إليهم بإلحاح وتهديد ، إلا أنه تمكن من الهرب والنزول في قارب نقله إلى باخرة فرنسية ، وظلت الأفكار هائجة على جمعية الإتحاد والترقي والنقمة على أصحابها شديداً[١] . وبالرغم من أن الاحتفالات أقيمت في بعض أنحاء فلسطين للوهلة الأولى تأييداً لمحمد الخامس ، إلا أن « بلش » (Blesh) – القنصل البريطاني في القدس – يصرح بأن أنباء عزل السلطان السابق لم تقابل بحماس من قبل عامة الشعب[٢] .

والجدير بالذكر أن بعض كبار زعماء المسيحيين السياسيين والروحيين في لبنان لم يرحبوا كثيراً بعزل السلطان عبد الحميد الثاني ، بل أن البطريرك الماروني « الياس الحويك » أوضح قائلاً : لقد عاش لبنان ، وعاشت طائفتنا المارونية بألف خير وطمأنينة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، ولا نعرف ماذا تخبئ لنا الأيام من بعده[٣] .

ويذكر السلطان « عبد الحميد الثاني » في مذكراته حول مفاوضات الصهيونية لامتلاك فلسطين فيقول : بأن يهود العالم تعاونوا مع المحافل الماسونية ، وطلبوا مساعدتهم وإسكانهم في فلسطين ، وقد عرضوا عليّ أموالاً ولكنني لم أقبلها ورفضت ذلك المشروع[٤] . ويضيف قوله : « إن زعيم

(١) نهضة العرب ، ١٤ أيار (مايو) ١٩٠٩ ، العدد ٦ ، ص ٣ .
(٢) انظر : Blesh to Lowther, 29 April 1909, No. 35, in F.O. 195/2321.
Blesh to Lowther, 10 May 1909, No. 38, in F.O. 195/2321.
(٣) أوراق لبنانية (مجلة وثائقية) ، آب (اغسطس) ١٩٥٦ ، ج ٨ ، ص ٣٧٩ .
(٤) Sultan Abdül-Hamit, in: *Hatira Defteri.*

الصهيونية هرتزل لم يستطع إقناعي بأفكاره بإنشاء مزارع لليهود لأنني أعرف أنهم سيقيمون حكماً ذاتياً، وبذلك تكون المسألة اليهودية (Yahudi Meselesi) قد انتهت. وربما كان هرتزل على حق بالنسبة لشعبه فإنه يريد أرضاً لهم، ولكن نسي أن الذكاء وحده ليس كافياً[١]. كما يؤكد السلطان عبد الحميد بأنه منذ نشأة الحركة الصهيونية بدأ يعارض مخططاتها لأنه عرف مقاصدها وقال: « إن الصهيونية لا تريد أراض زراعية في فلسطين لممارسة الزراعة فحسب، ولكنها تريد أن تقيم حكومة ويصبح لها ممثلون في الخارج... وإنني أعرض هذه السفالة (Saflik) لأنهم يظنونني أنني لا أعرف نواياهم، وليعلموا أن كل فرد في أمبراطوريتنا، كم يكنُّ لليهود من الكراهية طالما هذه نواياهم، وأن الباب العالي ينظر إليهم مثل هذه النظرة، وإنني أخبرهم أن عليهم أن يستبعدوا فكرة إنشاء دولة في فلسطين لأنني لا زلت أكبر أعدائهم »[٢]. ويرى « ڤامبري » (Vambery) — المقرّب من السلطان — أن المشكلة الأولى التي واجهت الصهيونية وأهدافها هي الإتجاهات الحكومية، وهي نفس المشكلة التي واجهها هرتزل زعيم الصهيونية[٣].

وتبرز في هذا الصدد وثيقة في غاية من الأهمية وهي الرسالة التي أرسلها السلطان « عبد الحميد الثاني » إلى الشيخ « محمود أبو الشامات » في دمشق[٤]، وشرح له فيها أسباب ثورة عام ١٩٠٨ وأسباب خلعه في عام

(١) Sultan Abdül-Hamit; *Siyasi Hàtiràtim*, p. 60.

(٢) Sultan Abdül-Hamit; *Ibid.* p. 61.
انظر ايضاً: الملحق رقم (٢) والملحق رقم (٣).

(٣) بالروسية. *The Jewish Encyclopedia, vol. 1*, p. 74.

(٤) انظر نص الرسالة بالتركية والعربية في الملحق (٩)، وهذه الوثيقة موجودة لدى اسرة أبي الشامات في دمشق. وكان السلطان عبد الحميد قد أرسلها في عام ١٣٢٩ هجرية إلى شيخه محمود ابو الشامات شيخ الطريقة الشاذلية اليشرطية في دمشق وهو أول خليفة لصاحب الطريقة الشيخ علي اليشرطي الحسيني المتوفي عام ١٨٩٩ والذي كان يقيم في عكا ولا تزال زاوية الشاذلية موجودة فيها حتى اليوم. وقد وصلت هذه الرسالة إلى الشيخ محمود أبو الشامات عن طريق أحد المقربين من السلطان ومن مريدي الطريقة. والواقع ان هذه الوثيقة ظلت محفوظة حتى فترة قريبة لدى ورثة الشيخ ابو الشامات إلى ان ترجمها إلى العربية مدير عام الاوقاف السوري السابق الشيخ احمد القاسمي الذي كان يتقن اللغتين التركية والعربية اتقاناً بالغاً. أما بالنسبة إلى صحة هذه الوثيقة فقد ثبت صحتها بالمقارنة مع الأحداث المعاصرة والتقارير الاجنبية التي أسهبت في التحدث عن علاقة السلطان عبد الحميد بالاتحاديين، وأهم من ذلك كله انه ثبت لدي — بعد الاستعانة بخبير خط — ان هذه الرسالة مكتوبة بخط =

١٩٠٩، وأكد له بأنه لم يتخلَّ عن الخلافة الإسلامية لسبب ما « سوى أنني — بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقي المعروفة باسم « جون تورك » وتهديدهم — اضطررت على ترك الخلافة ». ويستطرد في رسالته قائلاً: « إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا عليَّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة — فلسطين — ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف. وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهباً، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً وأجبتهم بهذا الجواب القطعي: « إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً — فضلاً عن ١٥٠ مليون ليرة انكليزية ذهباً — فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي... وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى سلانيك، فقبلت بهذا التكليف ».

ومن جهة أخرى، فإن مجموعة الصحف العربية المعاصرة تؤكد العلاقة بين الصهيونية واليهود من جهة وبين الماسونيين والاتحاديين من جهة ثانية، فذكرت « المشرق » أنه من المقرر الثابت الذي لا يمكن اليوم لعاقلٍ أن ينكره لكثرة الدلائل على صحته ان العامل الكبير في إدارة الماسونية وجمع كلمتها إنما هو العنصر اليهودي، فإن الموسويين بما في أيديهم من الأموال الطائلة ولانتشارهم في كل أنحاء المعمور.. أقدر من سواهم على ضبط دقة الماسونية وتدبير أمورها. وتضيف الصحيفة قولها: إنه بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني تخلقت جمعية الاتحاد والترقي بأخلاق الماسونية واليهودية ولبست ثوبها، وإنه لما خمدت ثورة نيسان (ابريل) ١٩٠٩ نالت العناصر اليهودية أهمية أكبر، فجاويد بك عين وزيراً للمالية وطلعت بك وزيراً للداخلية، وجاهد بك — محرر طنين — مستشاراً لجاويد بك، وكل

= يده — أو على الأقل بخط كاتبه — بعد مقارنتها بمجموعة من كتاباته وفي مقدمتها مذكراته الموجود قسم منها بخط يده في حوزتي، وكانت د. خيرية قاسمية قد أبدت شكوكها في صحة هذه الوثيقة. ومن ناحية أخرى فقد تأكد لي بما لا يدعو مجالاً للشك بأن السلطان كان بالفعل من المنتسبين إلى الطريقة الشاذلية بواسطة الشيخ محمود ابو الشامات الذي سبق له ان سافر إلى القسطنطينية، وهناك اجتمع بعلي رضا باشا، وعرفه إلى الطريقة وبواسطته انتسب اليها السلطان مع كبار وزرائه وموظفيه، وهذا ما تؤكده السيدة فاطمة اليشرطية الحسينية — ابنة صاحب الطريقة الشيخ علي اليشرطي — في كتابها مواهب الحق، ص ١٣، ٣٧. وفي مقابلة خاصة أجريتها معها شخصياً في بيروت بتاريخ ٤ أيار (مايو) ١٩٧٥.

هؤلاء ماسونيون وأولهم من سلالة يهودية[١] .

وفي عام ١٩٠٩ رحبت بعض الصحف العربية ومنها « العصر الجديد » بتعيين جاويد بك وزيراً للمالية وأوضحت أنها تبشر وزارة المالية بناظرها الذي عُرف بالدراية الواسعة « فهو أحد مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي العثماني ومن الاقتصاديين المشهورين ، ولا يزال صوت خطابه — الذي رقص له مجلس الأمة بشأن القرض المالي ثلاث ساعات — يرن صداه في الأندية المالية ، وكفى بأن المسيو لوران الفرنسي مستشار المالية العثمانية ، قال عنه : إن الرجل المالي الاقتصادي الحقيقي الوحيد في المملكة العثمانية إنما هو جاويد بك مبعوث سلانيك ... »[٢] . ومن المعروف أن جاويد بك كان قد اتفق مع رفاقه الاتحاديين على تدبير أموال يهودية مقابل تسهيل الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين ، ويؤكد « لوثر » هذه الحقيقة في رسالته إلى « غراي » (Grey) في ٣١ آب (أغسطس) ١٩١٠ ، من أن الصفقة المالية التي عقدها جاويد بك مع البيوتات المالية اليهودية في باريس لهـا علاقة بمشاريع الهجرة لا سيا وأن جاويد بك يهودي ويعمل منذ سنوات في خدمة القضية الصهيونية[٣]. وامتد نشاط جاويد بك — وزير المالية — بعد تغيير نظام الحكم في تركيا بعد ١٣ نيسان (ابريل) عام ١٩٠٩ — إلى خارج الدولة العثمانية وخارج أوروبا لتصل إلى الولايات المتحدة الأميركية . وتذكر صحيفة « العصر الجديد » إنه اقترح على جمعية « الاتحاد الاسرائيلية » (L'Alliance Israélite) الموجودة في نيويورك أن تؤسس في المدن الأميركية الكبرى شركات لشراء الأراضي في فلسطين بهـدف إستعمارها ، وان رأي هذه الجمعية متفق مع جاويد بك فهي لا تستصوب الرأي القائل بوجوب استعمار الاسرائيليين بلاد ما بين النهرين

(١) لويس شيخو : السر المصون في شيعة الفرمسون . نقلاً عن : المشرق ، آب (اغسطس) ١٩١١ ، العدد ٨ ، ص ٦١٧ ، ٦١٨ .

(٢) العصر الجديد ، ٨ تموز (يوليه) ١٩٠٩ ، العدد ٣٧ ، ص ١ ،

(٣) استطاع جاويد بك بالاتفاق مع الحركة الصهيونية والبنوك اليهودية ان يعقد عدة صفقات مالية لحساب العهد الاتحادي لممارسة ضغوط اقتصادية لها علاقة وثيقة بتحقيق المشروع الصهيوني في فلسطين . وقد استطاع بالفعل ان يحقق صفقة قدرت بستة ملايين ليرة عثمانية عقدها في باريس مع بيوتات مالية يهودية وهي : كريدي موبيليه ، وبرنارد ودريفوس وجاريسلوسكي واستغل جاويد منصبه كوزير للمالية فبدأ بعقد صفقات البيع والشراء مع الشركات الاجنبية لتحقيق الأرباح والسمسرات .

— العراق — ولا ضواحي طرابلس الغرب ، بل تفضل استعمارهم لفلسطين[١] .

وفي العهد الاتحادي ظهرت صحف عربية لم تكن مؤيدة للعهد الجديد فحسب ، وإنما أيدت أيضاً الحركة الصهيونية وهاجمت الصحف المناوئة للهجرة امثال صحيفتي « الكرمل » و « الأصمعي » وغيرهما[٢] . مما يدل على تزايد النفوذ الصهيوني لا سيا بعـد تعيين « محمد رشاد » الملقب بمحمد الخامس سلطاناً خلفاً للسلطان عبد الحميد ، وكان أداة طيعة بيد الإتحاديين الذين أصبحوا المسيطرين على جهاز الحكومة ومقدرات الدولة . وإذا فشلت محاولات المنظمة الصهيونية مع السلطان عبد الحميد إلا أنها واصلت مساعيها مع جمعيـة الاتحاد والترقي ، وتمكنت من تحقيق قسط من النجاح بفضل المساعي التي بذلتها عناصر في الحـكم من اليهود والدونمة الذين تستروا بالإسلام ولعبوا دوراً بارزاً في الثورة على حـكم السلطان عبد الحميد[٣] . وذلك ليتسنى لهم تحقيق الفكرة الصهيونية بالاتفاق مع يهود أوروبا ، إذ أن يهود ودونمة تركيا كانت علاقاتهم مع يهود أوروبا متينة وسهلة بسبب انتشار مبادئ الحركة الصهيونية. ويعتقد الأتراك أن الغرض من الجامعة

(١) العصر الجديد ، ٨تموز (يوليه) ١٩٠٩ ، العدد ٣٧ ، ص ٨ .

(٢) ظهرت في العهـد الاتحادي وقبله ايضاً — كما سبق وذكرنا في الفصل الرابع ، ص ٢٣٩ — عـدد من الصحف المؤيدة والمعارضة للحركة الصهيونية . فمن الصحف المؤيدة لها « النصير » و « لسان الحـال » في بيروت ، و « المقتطف » في مصر مع عدد آخر من الصحف المصرية التي كان يسيطر عليها اليهود . وفي فلسطين ظهرت صحف معارضة للحركة الصهيونية يأتي في مقدمتها : « الأصمعي » و « القدس » و « الكرمل » وذلك بعد اعلان الدستور في عام ١٩٠٨ ، كما ظهرت صحف مؤيدة للحركة الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين مثل : « جراب الكردي » و « العصا لمن عصى » و « النفير العثماني » التي أسسها ايليا زكا بعـد انفصاله عن نجيب نصار ، وبواسطتها هـاجم صحيفة « الكرمل » وصاحبها نجيب نصار . وكان نجيب جانا صاحب صحيفة « العصا لمن عصى » قد هاجم الحركة الوطنية الفلسطينية بأسلوب سـاخر ، ومن بين الذين هاجمهم سليمان التاجي الرملاوي المعارض للهجرة اليهودية وصاحب مقال : الصهيونيون وفلسطين ، المنشور في صحيفة « المفيد » . كما هاجمت « العصا لمن عصى » أيضاً نجيب نصار وصحيفة « الكرمل » لأنه كان يقف ضد الهجرة اليهودية وتساءلت ما هو الضرر من الصهيونيين ؟ فأجابت بسخرية « ان ضررهم كبير أولاً : كان في يافه سواقي رمل لا تنبت سوا [ى] الحلفاء فأصاروها كروماً نضيرة زادت في ثروة البلاد. ثانياً : اجبرونا على استبدال المحاريث التي كنا نستعملها من عهد نوح بمحاريث جديدة زادت الارض خصباً . ثالثاً : أنشأوا لنا مصارف تقرضنا المال وتخلصنا من وجود المرابين . رابعاً : أنشأووا المدارس ومشوا بيننا التمدن . خامساً : دفعوا قيم املاكنا وعلمونا كيف نستفيد منها...» نقلاً عن : العصا لمن عصى ٢٧ شباط (فبراير) ١٩١٢، العدد ٣، ص ٢.

(٣) L. Stein; *Balfour Declaration*, p. 35.

الصهيونية هو تأسيس مملكة في آسية الصغرى ، ويتوجسون خيفـــة من المستعمرات المنشأة في سوريا وفلسطين ويخافون أن تكون مراكز لنفوذ الأجانب ولا سيا الألمان منهم [١] . ذلك أن العلاقة التي أقامها الأمبراطور الألماني مـــع السلطان عبدالحميد الثاني كانت في الأساس لمصالح اقتصادية وعسكرية بحيث أن ألمانيا وضعت في حسابها مصالحها الخاصة قبل المصالح العثمانية . لذا حرصت أيضاً في عهد الإتحاديين على إظهار صداقتها للحكم الجديد بتأثير من الزعماء الصهيونيين الموالين للألمان أمثال جاكوبسون وغيره . ويؤكد « مارلنغ » — القائم بأعمال السفارة البريطانية في الآستانة — أنه بالرغم من علاقة الود التي تربط ألمانيا بالاتحاديين إلا أن « شوكت باشا » و « درغولتز » (Dergolts) قـــد أتهما بالتخطيط للاطاحة بجمعية الاتحاد والترقي للمجيء بنظام عسكري يخدم المصالح الألمانية [٢] .

ويكشف رشيد رضا — **بعد** زيارته لاستانبول — خطط الصهيونية لامتلاك فلسطين ونفوذ اليهود في دوائر الحكم الجديد فيقول : « بأن آمالهم في القدس وفلسطين معروفة ومطامعهم المالية في المكان يعظم نفوذهم فيه غير مجهولة ... وقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطباً بينوا فيها خطر جمعية اليهود الصهيونية على المملكة العثمانية وخطباً أنكروا فيها على ناظر المالية بيعه أحسن موقع عسكري في الآستانة لشركة أجنبية بثمن دون ثمن المثل بسمسرة بعض اليهود ، وهم يرون أنه يمكن بيع ذلك المكان بأضعاف ذلك الثمن . وقد دافع الصدر الأعظم في المسألة الأولى عن الحكومة وعن اليهود ، ودافع جاويد بك عن نفسه في الثانية . ونحن لا نتعرض للمحاكمة والترجيح بين المجلس والحكومة وحزبها وإنما ننبه الناس للتأمل والاعتبار [٣] » .

ويمكن القول أن النفوذ الصهيوني لدى الحكم الجديد في تركيا ساعد كثيراً على إزالة القيود التي كانت تقف في وجـه الاستيطان اليهودي في فلسطين وتيار الهجرة ، وكان أكثر ما يزعج الصهيونية « الجواز الأحمر »

(١) لويس شيخو ، المقال السابق ، نقلاً عن المشرق ، آب (اغسطس) ١٩١١ ، العدد ٨ ، ص ٦١٨ . انظر ايضاً المنار ، ١ آذار (مارس) ١٩١١ ، م ١٤ ، ج ٢ ، ص ١٥٩ .

(٢) Marling to Grey, 14 Dec. 1909, No. 46061, in F.O. 371/781.
نقلاً عن مقال في صحيفة (Le Jeune Turc) مرفق برسالة مارلنغ إلى غراي .

(٣) المنار ، ١ آذار (مارس) ١٩١١ ، م ١٤ ، ج ٢ ، ص ١٥٩ .

وقوانين التملك التي تحظر على اليهود الأجانب نقل ملكية الأراضي إليهم رغم إنها لم تستطع في الماضي أن تعيق تماماً دون تسرب بطيء ومستمر لليهود داخل فلسطين أو إنشاء المستعمرات [١] . وقد تدخل في موضوع إزالة هذه القيود الحاخام « حاييم ناحوم » رئيس الطائفة اليهودية في مصر وتعاون مـــع ستراوس ومرجانتو سفيري الولايات المتحدة ، وبذلوا جهوداً كثيرة للقضاء على الجواز الأحمر الذي وضع خصيصاً لتحديد الهجرة إلى الدولة العثمانية [٢] . كما أن سياسة زعماء الحركة الصهيونية توجهت بشكل واضح تجاه استانبول والحكومة العثمانية ليس قبل عام ١٩٠٨ فحسب وإنما أيضاً في الأعوام التي تلته [٣] . ومن أجل ذلك بذلت المنظمة الصهيونية جهودها للحصول على « ميثاق إتحادي » باستيطان فلسطين رغم ادعائها أن ذلك لم يعد ضرورياً طالما أن السلطان عبدالحميد الثاني قـــد خلع عن العرش ، وأوضحت أن الصهيونية لا تهدف إلى إستقلال فلسطين عن الدولة العثمانية لأن الوجود اليهودي لا يكون مضموناً إلا تحت حماية أمبراطورية عثمانية قوية ، وأن الزعماء الصهيونيين من خـلال طغيان السلطان السابق طلبوا وضعاً خاصاً وضمانات أو ما يسمى « الميثاق » حتى لا يقدم السلطان على نقض كل ما وضعوه . أما في العهـد الاتحادي حيث يسود الدستور والحرية فلم يعد هناك حاجة لضمانات أو وضع خاص [٤] .

وتؤكد صحيفة (Revue du Monde Musulman) هذه الحقائق عندما

(١) رسالة كمبربتش قنصل بيروت إلى لوثر في ٢ تموز (يوليه) ١٩٠٩ ، نقلاً عن : خيرية قاسمية ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٢) ايلي ليفي ابو عسل : يقظة العالم اليهودي ، ص ٢٥٧ . ويورد الدكتور محمد علي الزعبي في كتابه : حقيقة الماسونية ، ص ١٧٥ ، من ان « حاييم ناحوم » لعب دوراً مؤثراً في خلع السلطان عبد الحميد ، وانه عين سفيراً لتركيا في الولايات المتحدة ثم تقمص حاخاما بمصر ، فأنشأ بهـا عشرات المحافل الماسونية . وفي عهده أصبح قطاوي باشا اليهودي الماسوني وزيراً لمالية مصر ، وهو الذي جمع من ماسونييها ثمانية ملايين جنيه ساعد بها يهود فلسطين. ويذكر الكاتب اليهودي « المر بيرغر » في كتابه : اسرائيل باطل يجب أن تزول ، ص ٢٠ ، ٢١ من ان حاييم ناحوم الحاخـام الأكبر لمصر ، كان قبل ان ينصب حاخاماً أكبر لمصر ، يشغل ذات المنصب في تركيا في العهد العثماني وان حاييم ناحوم صرح مرة بأنه عندما كان حاخاماً أكبر ليهود السلطنة العثمانية أتاه يوماً وفـــد برئاسة الزعيم الصهيوني « ناحوم سوكولوف » وطلب اليه التوسط لدى السلطان ليسمح للصهيونيين بشراء أراضي فلسطين ، فأبدى له استعداده وبذل وساطته في هذا الموضوع .

(٣) Y. Roi; *The Zionist Attitude*, p. 208.

(٤) A. Cohen; ***Israel and the Arab World***, p. 74.

توضح أن الصهيونيين الذين رفضوا تأسيس دولة يهودية خارج فلسطين قد أسقطوا عرض أفريقيا (Territoire en Afrique) المعروض عليهم من قبل انجلترا . وعلى فترات متتالية طلبت الصهيونية من السلطان عبد الحميد — الذي كان يكرم أتباعه اليهود — تحقيق أمانيها ، ولكن السلطان رفض أن يلين أمام المطالب الصهيونية ، إلا ان الظروف بعد ثورة ١٩٠٨ قد تغيرت والسلطان لم يعد هو الحاكم الوحيد ، والصهيونيون أصبح لديهم الأمل في الوصول إلى ما يبتغون[١]. وتضيف هذه الصحيفة إلى أن ثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان ١٩٠٩ أدت إلى تقوية الروابط العاطفية بين اليهود وأتراك مقدونيا ، وتكاثرت الشركات الصهيونية وأصبحت منتشرة في المدن التالية : مناستر واسكوب وقونية وجانينا ومصطفى باشا وسميرن وأضنة وفي مناطق أخرى[٢].

ويلاحظ أنه بعد تغير النظام في تركيا زار كثير من يهود ودونمة سالانيك الأراضي المقدسة ، لأن عملهم الأساسي إنما كان يهدف إلى تحقيق الحلم الصهيوني وقد زار فلسطين « داڤيد فلورنتين » (David Florentin) — رئيس جريدة المستقبل (El-Avenir) الصادرة في سالانيك — وعرض بعد عودته أمام ثلاثة آلاف شخص التقدم الذي حققته القدس الحديثة (La Jerusalem Moderne) والنجاح الذي حققته المستعمرات الزراعية اليهودية في فلسطين بواسطة الشركة الصهيونية (VISU)[٣]. وبالاضافة إلى ذلك فان بعض التقارير الصهيونية تذكر أنه بعد خلع السلطان عبد الحميد انتعشت الأماني الصهيونية على أمل ممارسة اليهود والدونمة نفوذهم على جماعة الاتحاد والترقي الذين كانوا أقل تشدداً من السلطان عبد الحميد الثاني بشأن السماح بهجرة اليهود إلى فلسطين وإنشاء المستعمرات فيها[٤] ، بعد أن حصلوا على تأييد رسمي من شخصيات يهودية تركية على رأسها عضوان نافذان في البرلمان العثماني هما : نسيم روسو ، ونسيم مازلياح .

وتذكر التقارير البريطانية أن الحكم الجديد أصبح خاضعاً ليس فقط

(١) *Revue du Monde Musulman*, T. 5, p. 793 (1908).
وقد أشارت إلى هذا الموضوع في حينه صحيفة « مورننغ بوست » في ١ آب (اغسطس) ١٩٠٨.
(٢) *Revue du Monde Musulman*, T. 5, pp. 147, 176.
(٣) *Revue du Monde Musulman* T. 9, p. 176-177.
(٤) احمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ص ٤٣٦ .

للنفوذ السياسي الصهيوني وإنما للنفوذ الاقتصادي أيضاً ، فيقول « لوثر » بأن الدستور كان يتضمن التطوير الاقتصادي ولكن الجهاز التركي الاقتصادي كان ضعيفاً ولا يمكن أن يقف وحده بدون دعم . ويبدو أن التركي الاتحادي قد تحالف فقط مع اليهودي العثماني والأجنبي بينما أبعدت سائر العناصر ، كما يبدو أن اليهودي قد أوقع في شراكه التركي المتخلف اقتصادياً وعقلياً[١]. وتضيف هذه التقارير بأن اليهود الذين يبدون الآن في موقف الملهم والمسيطر على الجهاز الداخلي للدولة يعملون على السيطرة الاقتصادية والصناعية على تركيا الفتاة[٢]. ولم يقتصر ازدياد النفوذ على تلك القوى ، بل تمكنت « البكتاشية » من أن تزيد درجة نفوذها بعد تعاونها مع حركة « تركيا الفتاة » في خلع السلطان عبد الحميد الثاني ، وكان هذا التعاون مرشحاً للبروز بسبب التقارب بين الحركتين ، بل أن المستشرق « محمد موفاكو » يرى بأن طلعت باشا وأحمد رضا كانا ممن ينتمون إلى البكتاشية[٣].

والواقع أن وصول الاتحاديين للحكم ومساهمة اليهود في أحداث الانقلاب والخلع ١٩٠٨ — ١٩٠٩ ثم حاجة الحكومة للأموال اليهودية ، كل ذلك دفع النشاط الصهيوني في فلسطين خطوات إلى الأمام ، فبعد الإطاحة بالسلطان عبد الحميد ازداد النفوذ الاقتصادي والسياسي الصهيوني فازداد عدد المؤسسات المالية العاملة في ميدان العمل الاستيطاني اليهودي في فلسطين ، وفي مقدمة هذه المؤسسات شركة أنجلو — ليڤانتين (Anglo-Levantine) المصرفية في استانبول وشركة تطوير الأراضي الفلسطينية (Palestine Land Development) وشركة « أرض اسرائيل » (The Eretz Israel) والصندوق الثقافي اليهودي وشركة المكابي للأراضي وعدد آخر من الشركات المالية الاستثمارية والمصرفية التي لعبت دوراً هاماً في ترسيخ الغزوة الصهيونية[٤].

وكان الوفاق العربي — التركي الذي أعلنه الاتحاديون قصير الأجل ، إذ

(١) رسالة لوثر إلى غراي ٢٩ أيار (مايو) ١٩١٠ . نقلاً عن : خيرية قاسمية ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .
(٢) ملف وثائق فلسطين ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .
(٣) محمد موفاكو : البكتاشية ، نقلاً عن : العربي ، آذار (مارس) ١٩٧٧ ، العدد ٢٢٠ ، ص ٦٨ .
(٤) انظر : هاني الهندي : حول الصهيونية واسرائيل ، ص ٦٢ .

سرعان ما اتضح أن عناصر جمعية الاتحاد والترقي كانت تركية ويهودية، وكان الاتجاه القومي الطوراني يقضي بسياسة التتريك وطمس معالم اللغة العربية والشخصية العربية، بل إن الاضطهاد التركي للعرب ازداد عما مضى وأحس العرب بالاحتقار والسخرية بهم وبتراثهم أكثر من أي وقت سبق كما أسيئت معاملتهم وأضعفت لغتهم[1]. وفي مجلس المبعوثان حوربت اللغة العربية، وتذكر «الكرمل» أن أحد نواب العرب اقترح بجعل اللغة العربية إلزامية للموظفين الذين يعينون في الولايات العربية، ولكن طلبه قوبل بالرفض[2]. ويؤكد «لوثر» في مذكراته إلى وزارة الخارجية البريطانية دور اليهود في تكريس هذه السياسة الطورانية الاتحادية بقوله: إنه لكي يصل اليهود إلى مراكز النفوذ في تركيا الفتاة فإنهم يشجعون الاتجاهات القومية التركية[3].

ونظراً لهذه السياسة التركية فقد أظهر قادة العرب شكوكهم في اخلاص جمعية الاتحاد والترقي التي انتظروا منها الحرية والاصلاح والمساواة وازدادت شكوكهم في زعماء الجمعية لأسباب عديدة منها:

أولاً: إن قادة جمعية الاتحاد والترقي وزعماءها كانوا جميعاً وبدون استثناء من البنائين الأحرار (Freemasons).

ثانياً: إن يهود سالانيك كانوا جزءاً لا يتجزأ من جمعية الاتحاد والترقي.

ثالثاً: إن اليهود كانت لهم أطماع وأحلام توسعية ليس فقط في فلسطين وإنما أيضاً في بقية أنحاء الدولة العثمانية، إذ أن السيادة على مصر هي جزء من ارث إسرائيل في المستقبل، على حد قول لوثر في رسالته إلى غراي. بل تذهب الصهيونية إلى أكثر من هذه الحدود حيث يطالب «كان»[4] في كتابه «أرض إسرائيل» (Eretz Israel) بحكومة يهودية مستقلة في فلسطين وحدودها الطبيعية هي لبنان

(١) انيس صايغ: الهاشميون والثورة العربية، ص ١٩. انظر ايضاً: عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، ص ٥٣.
(٢) الكرمل، ٢٧ آذار (مارس) ١٩٠٩، العدد ١٥، ص ٤.
(٣) ملف وثائق فلسطين، ج ١، ص ١٥٥.
(٤) كان (J. H. Kaan)، هو أحد الأعضاء الثلاثة في اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية، ومن كبار رجال المال اليهود في لا هاي، زار فلسطين عام ١٩٠٧، وألف كتابه السابق الذكر في عام ١٩٠٩.

شمالاً، ثم دمشق والعقبة شرقاً، وشبه جزيرة سيناء جنوباً، والمتوسط غرباً.

رابعاً: إن الجمعية كانت تتعامل مع الأجنبي بشكل غريب ومثير، فقد كانت هناك نخبة من الأتراك الاتحاديين - في مقدمتهم رشيد باشا وغيره من الساسة - يميلون ميلاً أجنبياً غريباً وإلى أقصى الحدود، وهؤلاء الرجال كانوا الأعضاء الأوائل في المحافل الماسونية التي كانت منتشرة في تركيا بواسطة الأجانب[1].

والواقع أن هذه المخاوف والشكوك التي أبداها العرب نحو «تركيا الفتاة» أصبحت من صلب السياسة العربية، وذلك بعد أن ظهرت القومية التركية الطورانية المتعصبة على حقيقتها، وراحت تتحدى الكرامة العربية في أعزّ ما لديها من دين ولغة[2]. وذكر الأب «لويس شيخو» من أن «رشيد رضا» - الذي أمضى سنة كاملة في الآستانة - «وقف على غوامض سياسة الجمعية ومخبآت صناديق أسرارها». وأوضح أن جمعية الاتحاد والترقي من شيعة الماسون. «ومن أهم مقاصد هؤلاء الزعماء جعل السيادة والسلطة في المملكة العثمانية للشعب التركي والتوسل بقوة الدولة إلى إضعاف اللغة العربية وإماتتها في المملكة وتتريك العرب مع إبقائهم ضعفاء بالجهل والضغط وذبذبة اللسان... ومن لوازم تشيعهم للماسونية قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة، وذلك يفضي إلى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين الذي يراد به إعادة ملك إسرائيل إلى وطنهم الأول وإلى ابتلاع أصحاب الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد[3]».

ومما زاد في شكوك العرب وحرج موقفهم أنه بعد عزل السلطان عبد الحميد امتدت يد العزل إلى كبار من كان يُعتمد عليهم من العرب، وهذا أمر طبيعي ولكن ما هو غير طبيعي توجيه الاتهامات والاساءات إلى الموظفين العرب فقط دون غيرهم، وأخذت الاتهامات توجه إلى أولئك العرب بأنهم كانوا وراء مظالم السلطان فكانت نسبة المعزولين من العرب

(١) S. Mardin; *The Genesis of Young Ottoman Thought*, p. 110.
(٢) زين زين: نشوء القومية العربية، ص ٨٧.
(٣) لويس شيخو: السر المصون في شيعة الفرمسون، المشرق، آب (اغسطس) ١٩١١، العدد ٨، ص ٩١٠، ٩١١. انظر ايضاً: المنار، ١٩١١، م ١٤، ج ٤، ص ٢٦٩ - ٢٧٢.

عالية جداً حتى لم يبق في وزارة الخارجية من العرب سوى موظف واحد[١]. بينا كان السلطان عبد الحميد يعمل على استمالة العناصر العربية ويسلمهم مناصب رفيعة وحساسة، وأكثر السلطان من تقريب العرب وعظمائهم حتى كانت لهم كفة مرجحة في الحكم[٢]. ومن بين هؤلاء عزت باشا العابد الدمشقي والشيخ أبو الهدى الصيادي، وسليم باشا ملحمة وزير المعادن والحراج وشقيقه الوزير نجيب باشا ملحمة والاثنان من لبنان، وغيرهم من العرب. وهؤلاء كلهم كانوا موضع ملاحقة من الاتحاديين، حتى أن الشيخ أبو الهدى الصيادي لم يسلم من الاعتقال شهراً من الزمن[٣]. وبدأت الصحف الاتحادية في العاصمة العثمانية تنشر مقالات معادية للعرب، ولم تقتصر هذه الحملات على أشخاص العرب الحميديين بل إلى كل عربي بحيث قرنت اسم العرب بلفظة « بيس » التركية، وأضافت إلى ذلك ذكر جنسيتهم العربية بعبارة « بيس عرب » و« بيس عزت »[٤]. وكلمة « بيس » التركية معناها « قذر ». وكان باعة الصحف ينادون بأعلى أصواتهم بهذه العبارة في كل شوارع العاصمة، مما أثار اشمئزاز العرب المقيمين في العاصمة من وجهاء وأدباء وموظفين وخريجي المعاهد العليا، فقرروا في اجتماع عقدوه الاحتجاج على هذه العبارة. كما هاجمت صحيفة « طنين » لصاحبها اليهودي «حسين جاهد» كل القوى المعادية للاتحاديين وركزت هجومها على العرب بالذات، فقد هاجمت خليل باشا حمادة وزير الأوقاف العربي في أواخر تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٩٠٩ لسبب بسيط جداً لم يكن يعادله في تفاهته أي شيء، مدعية ببطء الأعمال في الوزارة. غير أن الأمر الملفت للنظر أيضاً هو أن الدونمة واليهود نشروا بين الأوساط العربية عبارة « بيس تركيلر » أي « الأتراك القذرون »، وذلك ايماناً منهم بضرورة مضاعفة الخلافات بين العرب والأتراك، وتكريس الانقسامات بينهم.

وفي هذه الفترة، لجأت لجنة الإتحاد والترقي إلى إستبداد لا يقل مطلقاً عن إستبداد السلاطين، كما أن الظلم والقتل ازدادا في عهد الاتحاديين

(١) سليمان موسى : الحركة العربية ١٩٠٨ - ١٩٢٤، ص ٢٥، ٢٦، انظر ايضاً : انيس صايغ، المرجع السابق، ص ١٩.
(٢) سعيد الأفغاني : كانت الصهيونية هي خالعة السلطان ومقوضة المملكة العثمانية، نقلاً عن : مجلة العربي، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٢، العدد ١٦٩، ص ١٥١.
(٣) يوسف الحكيم : سورية والعهد العثماني، ص ١٧١.
(٤) يقصد به عزت باشا العابد.

والفارق الوحيد هو أن تنفيذ الاعدام كان يجري بطريقة تتناسب والروح الحديثة[١]. وتؤكد صحيفة « المباحث » هذه الوقائع بقولها : « إن الإتحاديين كانوا يميلون إلى الانتقام الشديد بدلاً من السلوك بالتؤدة والرفق فأدى ذلك إلى مقابلتهم بمثل شدتهم أو أشد عنفاً. وكانت النتيجة أن لحق بسمعة الجمعية وبهرجتها حيف في العاصمة[٢] ». ثم لم يتوانَ الإتحاديون من ضرب العناصر الحرة وتفردوا بحكم البلاد، وعملوا على تتريك العناصر الأخرى أو إبادتها، وكان للأيدي الأجنبية دورها في هذا المجال، مما حدا برجال العرب إلى التذمر فاتفقوا مع بعض الأتراك المعتدلين وأسسوا حزبَ « الإئتلاف » ونافسوا الإتحاديين[٣]. وقد بلغ نفوذ الدول الأجنبية والصهيونية بين أوساط الإتحاديين بحيث شلّت قدراتهم على التحرك، إذ أن أعضاء تركيا الفتاة لم يستطيعوا لا هم ولا إصلاحاتهم إنقاذ الأمبراطورية العثمانية التي تكالبت واجتمعت عليها القوى الأكثر قدرة في ذلك الحين[٤].

ويؤكد السلطان عبد الحميد — بعد خلعه — حقيقة وهي أن الاتحاديين لم يستطيعوا انقاذ الأمبراطورية من التفسخ والضياع ويقول : « السلطنة العثمانية آنية قديمة متفسخة منعتها — بالاعتماد على مرهم « ادارة مصلحت » — من السقوط وذلك مدة ثلث قرن، على أن الاتحاديين ما كادوا يتسلمونها مني — وقد استولوا عليها بقوة الشباب المخدوع بقوته — حتى أضاعوا التوازن وبدأ الانهيار دون أن يشعروا بالأمر »[٥]. وقد اعترف بعض الاتحاديين أنفسهم بفشلهم وعدم درايتهم بشؤون السياسة والحكم ومن هؤلاء « محمد كاڤيت » — صاحب الرتبة العالية بين دعاة الإتحاد والترقي والذي أصبح فيما بعد وزيراً للمال — الذي أوضح للسكرتير الأول بالسفارة البريطانية بأن تركيا الفتاة كانت تضم الشبان الذين تنقصهم الخبرة في الأعمال الادارية بالرغم من تحصيلهم العلمي، كما انهم كانوا يفتقدون إلى الاحترام والتقدير أيضاً[٦]. لأن الممارسات العملية التي قاموا بها أثبتت خضوعهم لقوى

(١) N. Bischoff; *La Turquie dans le Monde*, p. 82.
انظر ايضاً : لوران غاسبار : تاريخ فلسطين، ص ٨٩.
(٢) المباحث، ١٥ حزيران (يونيه) ١٩٠٩، العدد ١٣، ص ٥٥٩.
(٣) البرغوتي وطوطح : تاريخ فلسطين، ص ٢٧٠.
(٤) N. Bischoff; *op. cit.*, p. 81, 82.
(٥) الأسرار، ٣ أيار (مايو) ١٩٣٨، العدد ٥، ص ١.
(٦) Lowther to Grey, 26 May 1909, No. 20299, in F.O. 371/772.

تركية يهودية ذات ارتباطات صهيونية وماسونية ففي عهدهم « رفعت الماسونية رأسها وعزت الفوز إلى مساعيها وصورت جمعية الإتحاد والترقي كجمعية ماسونية محضة . وكان أعضاؤها إذا ساروا إلى عواصم أوروبا يبحثون عن المحافل الماسونية ويسلمون على رؤسائها كما فعلوا خصوصاً في باريس وفي بودابست حاضرة المجر حيث صار لهم استقبال عظيم ورحب الماسون ودعوهم إلى حفلاتهم كما انبأت الجرائد الأوروبية »[1] . وفي أثناء زيارتهم لبريطانيا في صيف عـام ١٩٠٩ أقيمت على شرف أعضاء الاتحاد والترقي مأدبة صهيونية أكد الأعضاء فيها ترحيبهم بالهجرة اليهودية إلى الأمبراطورية العثمانية[2] ، وإن تظاهر الأعضاء في بعض الأحيان بالحذر والتردد .

ونظراً لتأييد الاتحاديين لأطماع اليهود في فلسطين ، فقد جرى نقل الموظفين الأتراك المعارضين للهجرة اليهودية من فلسطين إلى أماكن أخرى مثلما حدث مع علي أكرم بك الذي أثبت أثناء توليه المسؤولية كل حرص لوقف الهجرة اليهودية ، وإذا بالاتحاديين بعد ثورة تموز (يوليه) ١٩٠٨ يصدرون قراراً بنقله من فلسطين إلى بيروت ، لأن الحقبة القصيرة الممتدة خلال عشرين شهراً من حكمه كانت الفترة الوحيدة بعد عام ١٩٠٠ التي تطبق فيها تعليمات الباب العالي على أكمل وجه[3] . وقد ذكر المطلعون من أهل فلسطين أن عدد المهاجرين إلى يافا قد زاد في العهد الدستوري مما كان عليه في العهد الحميدي بفضل حماية القانون الأساسي حق كل فرد منهم[4] .

هذا ولم يطرأ أي تحسن يذكر على الادارة العثمانية في فلسطين في العهد الاتحادي ، بل استمرت عمليات الرشوة والفساد بين الموظفين ، وبواسطة هـذه الأساليب استطاعت الصهيونية ــ بالاضافة إلى التأييد الرسمي التي كانت تلقاه ــ نقل الأعداد الكبيرة من اليهود إلى فلسطين وإنشاء مستوطنات

(١) المشرق ، آب (اغسطس) ١٩١١ ، العدد ٨ ، ص ٦٠٨ . ويذكر انه في هـذه الفترة كثرت الاحتفالات الماسونية في الولايات العثمانية تأييداً للاتحاديين ومنها احتفال محفل السلام الماسوني في بيروت الذي اقام حفلاً حيا فيه الاتحاديين في قهوة لاكسمبورغ وحضرها فؤاد باشا . انظر : النفائس ، ١ نيسان (ابريل) ١٩١٠ ، ج ٤ ، ص ٦٩ ؛

(٢) N. Mandel: *op. cit.*, p. 94.

(٣) N. Mandel: *op. cit.*, p. 91.

(٤) يوسف الحكيم : سورية والعهد العثماني ، ص ٢١٤ .

لهم[1] . وكانت المصادر البريطانية قد أكدت حوادث اعتقال المهاجرين اليهود في عهد السلطان عبدالحميد ، وما ان قامت ثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان ١٩٠٩ حتى بدأت طلبات الجمعيـة اليهودية البريطانية في القدس تطالب اطلاق سراح المعتقلين اليهود ، وقد تم لهم ذلك بالفعل فيما بعد[2] . وتؤكد « المنار » هذه الحقائق مع الإشارة إلى دور اليهود وأهدافهم من الانقلاب العثماني فتقول بأنه : « كانت لهم يد في الانقلاب العثماني لا لأنهم كانوا مظلومين أو مضطهدين في المملكة العثمانية ، فانهم كانوا آمن الناس من الظلم فيها حتى انهم كانوا يفرون إليها لاجئين من ظلم روسيا وغيرها ، وإنما يريدون أن يملكوا بيت المقدس وما حوله ليقيموا فيه ملك اسرائيل. وكانت الحكومـة العثمانية تعارضهم في امتلاك الأرض هناك فلا يملكون شيئاً منها إلا بالحيلة والرشوة . ولهم مطامع أخرى مالية في هذه البلاد فهم الآن يظهرون المساعدة للحكومة العثمانية الجديدة لتساعدهم على ما يبتغون ، فاذا لم تنتبه الأمة العثمانية لكيدهم وتوقف حكومتها عند حدود المصلحة العامة في مساعدتهم ، فان الخطر من نفوذهم عظيم وقريب ، فانهم قوم اعتادوا الربا الفاحش فلا يبذلون درهماً من المساعدة إلا لينالوا مثقالاً أو قنطاراً من الجزاء »[3] .

وكان زعماء الاتحاد والترقي قد أعلنوا مراراً عن المشاريع التي وضعوها لتحسين أحوال اليهود في الدولة العثمانية ، وكان « الدكتور ناظم » في مقدمة هؤلاء ، وهو من المشاركين في ثورة تموز (يوليه) عام ١٩٠٨ ، ويعتبر صديقاً للشعب اليهودي ، وقد صرح أن الحكومة العثمانية عازمة على انفاق مبلغ ٥ ملايين ليرة تركية لتوطين مهاجرين أجانب في المناطق المقدونية بما فيهم عشرين ألفاً من يهود رومانيا[4] . وقد أكد أحد زعماء الصهيونية بعد نجاح الاتحاديين في السيطرة على الحكم من أن أبواب فلسطين مؤهلة لأن تفتح لليهود بدون صعوبة ، وأن الزعماء الجدد في تركيا يسرهم الاستيطان اليهودي ، وهم على استعداد لاستقبال المهاجرين الجدد بحرارة[5] .

(١) احمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ، ص ٤٣٦ .

(٢) Blesh to Lowther, 26 April 1909, No. 34, in F.O. 195/2321.

(٣) المنار ، ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٠ ، م ١٣ ، ج ١٠ ، ص ٧٢٥ .

(٤) رسالة مارلنغ إلى غراي ، ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٩ . نقلاً عن : خيرية قاسمية ، المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٥) A. Cohen; *Israel and the Arab World*, p. 73.

ومن الضروري أن نشير هنا إلى الخلافات الشديدة التي حدثت بين أعضاء الإتحاد والترقي ، ففئة منهم – وهي صاحبة النفوذ القوي – شجعت الحركة الصهيونية ومشاريعها في فلسطين ، وفئة أخرى حاربت النشاط الصهيوني واعتبرت نفسها مغبونة ومغرراً بها ، ورأت أن الحركة الصهيونية واليهود استغلوا أعضاء تركيا الفتاة لتنفيذ مآربهم . وتضيف « المشرق » حقيقة وهي أن حزب الاتحاد والترقي تنبه لحرج الموقف وتخوف من حدوث مضاعفات وانقسامات « وأن صادق بك وجه كل همته لمقاومة جاويد بك وزير المالية الذي ساءت به الظنون لوفرة علائقه بالمضاربين ولاسباغه النعم على آله ، وصحبه وغيرهم من اليهود المسلمين [الدونمة] وأعظم غلطة ارتكبوها أنهم رضوا بأن كاراسو أفندي الماسوني اليهودي يكون من الوفد الذي حمل الفتوى إلى عبد الحميد بخلعه ، وقد ارتكبوا بعدها عدة أغلاط »[١]. وكثيراً ما تكررت الانقسامات والمجادلات بين الفئات المتنازعة من أعضاء الاتحاد والترقي وأعضاء مجلس المبعوثان ، فقد حدث أن « مفيد بك » – أحد نواب الأحرار وممثل ألبانيا – هاجم « حسين جاهد » اليهودي صاحب صحيفة « طنين » بشأن اسلوب الحكم ، وكاد أن يضربه في داخل المجلس ، وتقول « الأهرام » ١٩٠٩ بأن كلام مفيد بك كان كالسهم أصاب حسين جاهد ، واندفع هو ومؤيدوه يريدون الهجوم على خصمهم ، وكادت تنشب معركة في داخل المجلس لولا فرّق العاقلون بين الطرفين[٢].

وأخيراً يمكن إبراز دور الصهيونية واليهود والدونمة والماسونية في ثورة الإتحاد والترقي والأسباب التي أدت إلى نجاحها فيما أوردته صحيفة « نهضة العرب » في باريس عام ١٩٠٩ حيث أرسل إليها « أحد فضلاء العثمانيين المسلمين في باريس » مقالاً بعنوان « الإسرائيلية في جمعية الإتحاد والترقي » يُستنتج منه تأكيد الشكوك العربية بثورة الإتحاديين ، كما يؤكد الوعي واليقظة السياسية والوطنية عند كاتب المقال الذي يقول : « تناقل العارفون

---

(١) لويس شيخو : السر المصون في شيعة الفرمسون ، نقلاً عن : المشرق ، آب (اغسطس) ١٩١١ ، العدد ٨ ، ص ٦١٨ ، ٦١٩ . للمزيد من التفصيلات عن معارضة بعض النواب العثمانيين لممارسات جاويد بك ، انظر : المنار ، ١ آذار (مارس) ١٩١١ ، م ١٤ ، ج ٢ ، ص ١٥٩ ،

(٢) انظر : الأهرام ، ١١ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٩ ، العدد ٩٣٦٨ ، انظر ايضاً : توفيق برو : العرب والترك ١٩٠٨ – ١٩١٤ ، ص ١٢٥ .

من الناس ما كان من أمر الإسرائيليين والماسون مع جمعية الاتحاد والترقي واشتراكهم في نهضتها وقيامهم بمناصرتها حتى ذهب البعض إلى أن فوزها كان ثمرة مساعيهم ثم توسعوا في البيان فقالوا : إن اليهود لما قنطوا من تحقيق أمانيهم في عهد الحكم السالف باستملاك أراضي فلسطين وتشييد مملكة إسرائيلية فيها كما هو معلوم عنهم لدى الخاص والعام عمدوا إلى الماسونية ولهم فيها اليد الطولى كما لا يخفى ، فاتخذوها آلة لترويج مقاصدهم في تلك الأرجاء وجروا في هذا السبيل على خطتهم المعروفة في التسلط على الحكومات الأوروبية فاستعانوا بالماسونية واستتروا وراءها ، ودفعت الماسونية جمعية الإتحاد والترقي ومدتها بالرأي والمال ، وجعلت أنديتها لها ملجأ فامتنع على أعوان السلطان المخلوع ولوجها وانضم إليها أمراء العسكرية وأخذوا مع الجمعية بنشر مبادئهم وأفكارهم في الولايات المكدونية واستمالوا إليها الكثيرين وفازوا بالقوة التي مكنتهم من قلب الحكم المطلق وتبديله بالدستور » .

ويتابع الكاتب قوله : « ومعلوم أن إسم الجمعية « الإتحاد والترقي » هو إسم اللوج الماسوني في سلانيك . فاشتراك الماسونية في نهضة الأحرار أمر ثابت لا يختلف فيه إثنان ، وما كان ذلك ليدعو إلى التخوف والوجس ما دامت نتيجته تأييد الحرية والمساواة وخير الأمة والبلاد ، ولكن الذي جعل الأمر موضوعاً للتأويل والاشتباه إنما هو الحركة الاسرائيلية الكامنة وراءه وغاية اليهود من السعي بالفتنة في الدولة والعمل على دمارها ليشيدوا على خرائب آل عثمان المملكة الاسرائيلية التي ما برحوا يحلمون بها . أما اللائحة التي بنوا عليها هذا التدبير فهي في اعتقادهم أن المتمسكين بالدين من مسلمي العرب والترك لا يرتاحون إلى الحرية والمساواة في دولة هي قاعدة الخلافة الإسلامية فيقومون على الأحرار ويقع بينهم الشقاق والنزاع وتضطر الدول الأجنبية إلى وضع يدها لحماية مصالحها الكثيرة وتحقيق مطامعها الكبيرة . ويزيد في توسيع الخرق ما هي عليه العناصر العثمانية من التباين والتنافر فيستحكم البلاء ويفضي الشر إلى تشتيت شمل الدولة وهدم أركانها وبذلك يبلغون القصد ويتم لهم المراد[١] » . وأضاف كاتب

---

(١) كاتب مجهول : الاسرائيلية في جمعية الاتحاد والترقي ، نهضة العرب ، ١٤ أيار (مايو) ١٩٠٩ ، العدد ٦ ، ص ٢ .

المقال (١) أنه لم يكن ليصدق هذا القول « حتى وقفت في الجرائد آخراً على التفاصيل المتعلقة بالجيش المكدوني وفيها أن معظم العساكر التي تألفت منها حملة سلانيك كان من اليهود ، وكان الضباط يولونهم الأفضلية على عساكر المسلمين فأدهشني هذا الخبر ، ثم ما لبثت ان طالعت عن الوفد الذي حمل للسلطان عبدالحميد فتوى الخلع ، وقد تألف من أربعة أعضاء بينهم اسرائيليان عمانويل قره سو رئيس اللوج الماسوني في سلانيك وسلمون ابران . وعثرت في جريدة « النيويورك هرالد » و « البرلينر تاجبلاط » وغيرهما من جرائد العالم الكبرى أن زعماء جمعية الاتحاد والترقي من عسكريين وملكيين إنما هم تلامذة قره سو في سلانيك . وقرأت أيضاً في عددكم الأخير ذكر الاسرائيليين في وفد الخلع وحملكم ذلك على محمل التساهل وحرية الضمير عند جمعية الإتحاد والترقي ، فلم يعد عندي مجال للتردد ورأيت في ذلك غير ما رأيتم ، ولا يسعني بعد كل ما ظهر وثبت أن أخالف القائلين بمآرب اليهود ودسائس سياستهم الخفية » .

وأضاف الكاتب مستنكراً على الاتحاديين توكيلهم اليهود بتنفيذ فتوى الخلع للسلطان بقوله « متى كان الأيمة تعهد إلى اليهود بتنفيذ الفتاوى الشرعية وتنتدبهم سفراء إلى خلفاء الإسلام يتلون عليهم نص الشرع الشريف ويبلغونهم ارادة الأمة بخلعهم عن كرسي الخلافة ؟ بل ما الذي اضطر جمعية الإتحاد والترقي يا ترى إلى تأليف الوفد على هذه الصورة ، وكيف رضي الاسرائيليان بأن يكونا ممثلي الإسلام في هذه المهمة ؟ أفاتهم ما يكون من تأثيره على المسلمين ، أم أيقنوا بالفوز العاجل فظنوا انهم قبضوا على عنان الدولة وقريباً ينشرون فوقها راية اسرائيل؟ ولعمري لا أرى هناك إلا استدراجاً في الخطة التي آلوا على انفسهم اتباعها ، وقد ناصروا أصحاب الإتحاد والترقي حتى ولوهم الحكم بالسيف ومكنوهم من العرش فخلعوا سلطاناً ونصبوا سلطاناً واستأثروا بحق يختص بالمسلمين ، ثم باهوا به وافتخروا وقالوا : جمرة نلقيها في صدر الإسلام فتتلظى على فتيان الترك فنصليها بينهم ناراً حامية تلتهم الدولة وتقوض أركانها فنقيم على بقاياها هيكل أورشليم » .

---

(١) لم تذكر الصحيفة اسمه ، انما يبدو انه كان من مؤيدي الاتحاد والترقي ومؤيدي الثورة على السلطان ، ولكن بعد ان رأى الظروف والملابسات التي أحاطت بالثورة أبى على نفسه إلا ان يعلن الحقيقة ، ويشجب ممارسات اليهود والاتحاديين .

وأضاف الكاتب شارحاً بعض نشاطات الصهيونية معتمداً على ما نشرته جريدة « الطان » (Temps) في ٥ أيار (مايو) عام ١٩٠٩ من أن « اسرائيل زنغويل » رئيس الجمعية الاسرائيلية — التي تسعى لتشييد مملكة اسرائيلية — لما فرغت يده من تحقيق هذه الأمنية في فلسطين وأميركا الجنوبية عمد سنة ١٩٠٧ إلى مفاوضة « رجب باشا » والي طرابلس الغرب ومشيرها واتفق معه ومع العساكر والضباط وكلهم من الأحرار المبعدين لكي يستعمر اليهود تلك الولاية ويستقلوا بها ، وأن الاتفاق تم فيما بينهم على هذه الشروط إلى غير ذلك ... « وبعد هذا من لا يرتاب بأمر اليهود مع الأحرار ومن لا يحزن ويضطرب من أن فتياننا أنصار الحرية آلة لتنفيذ المطامع ، ونهضتهم الشريفة مكمناً للمآرب والدسائس التي يحاول المفسدون أن يقضوا على الأمة والبلاد (١) » .

هذا وقد أجاب محرر « نهضة العرب » مؤكداً ما ذكره صاحب المقال ، بأنه يكفي الاطلاع على ما أوردته صحيفة (Le Matin) في افتتاحيتها الصادرة في ٧ أيار (مايو) عام ١٩٠٩ عندما قالت : « أنه كان من الممكن للوهلة الأولى إقناع العثمانيين وأشدهم وطنية وإخلاصاً بأن جيش الأحرار لم يدخل الآستانة إلا ليمحق استبداداً وظلماً مهيناً ، ولكنهم عندما رأوا العصابات البلغارية يقودها « سادنسكي » تسوق الجند النظامي مقيداً إلى محاصرة يلدز ، ورأوا قره سو يحمل فتوى الخلع إلى السلطان علموا ان ليس هناك خلع سلطان بل تقويض أركان السلطنة العثمانية وآخر عهد العثمانيين ، بالملك والدولة » (٢) وأضاف المحرر بأنه قرأ في جريدة « الأكلير » و « الليبر بارول » وسواهما من الصحف الكبرى مقالات بالمعنى نفسه (٣) .

ويمكن القول ان ثورة ١٩٠٨ وحادثة خلع السلطان ١٩٠٩ لعبتا الدور الأول والفعّال في انتعاش الأماني الصهيونية لاقامة « مملكة اسرائيل » في فلسطين . وقد أثبتت الأحداث بعد ذلك تزايد الهجرة اليهودية إلى

---

(١) الاسرائيلية في جمعية الاتحاد والترقي ، نهضة العرب ، ١٤ أيار (مايو) ١٩٠٩ ، العدد ٦ ، ص ٢ .

(٢) نهضة العرب ، ١٤ أيار (مايو) ١٩٠٩ ، العدد ٦ ، ص ٢ .

(٣) انظر مقال رفيق العظم في المقطم ، ١٣ آب (اغسطس) ١٩٠٩ الذي شرح فيه دور اليهود في ثورة الاتحاديين ، وكان رفيق العظم قد سافر إلى الآستانة في صيف عام ١٩٠٩ للاطلاع على السياسة الجديدة في العهد الجديد .

الاراضي المقدسة ، في الوقت الذي انشق بعض الاتحاديين عن حركتهم معارضين هذه الهجرة ، وفي الوقت الذي أعلن فيه العرب الموالون للاتحاديين معارضتهم أيضاً للسياسة التي تتبعها جمعية الاتحاد والترقي ولنشاط الحركة الصهيونية في أراضيهم .

***

وأخيراً ، وبنتيجة البحث الوثائقي أمكن التوصل إلى عدة نتائج يمكن تلخيصها على النحو التالي :

إن محاولة السيطرة على فلسطين جرت عملياً منذ عام ١٧٩٨ وليس أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ذلك حينما قام نابوليون بحملته على الشرق وتوجيه نداء إلى اليهود لمؤازرته في السيطرة على الأراضي المقدسة وإسكان اليهود فيها . وكان اليهود في عداد الممولين الأوائل للحملة الفرنسية ، كما أن يهود الدولة العثمانية قاموا بتقديم العون وتيسير سبل الحملة وان كانوا قد انكروا هذا العون . وبعد فشل أهداف الحملة الفرنسية بدأت بريطانيا تعلن حماياتها لليهود بواسطة أول قنصلية بريطانية في القدس عام ١٨٣٨ ، وقد أرسل يومذاك « بامستون » — وزير الخارجية البريطانية — تعلياته إلى القنصل « وليم يونغ » (W. Young) بضرورة منح الحماية لليهود في فلسطين . وبدأت وزارة الخارجية البريطانية تسعى لدى الباب العالي لاقناعه بقبول اليهود كمستوطنين في الأراضي المقدسة ، وطالبت بريطانيا الحكومة العثمانية عام ١٨٤٥ بطرد المسلمين من فلسطين إلى مناطق أخرى في آسيا الصغرى، وإحلال اليهود مكانهم ، إلا أن الباب العالي والحكومة العثمانية رفضا هذا المسعى وهذه المقترحات البريطانية .

وتدعي بعض المصادر الصهيونية من أن حاكم مصر محمد علي باشا قد اتفق مع اليهودي البريطاني « مونتفيوري » على استيطان يهودي في فلسطين بما يترتب على ذلك من وجود حاكم يهودي في دولة يهودية مستقلة ، إلا أن الوثائق المعاصرة لبلاد الشام وفلسطين أثبتت عكس هذا الادعاء ، ولعل وثائق « الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا » خير دليل بأن الحاكم المصري ما كان ليرضى بإقامة دولة يهودية في فلسطين فكان طوال سني حكمه متجاوباً كل التجاوب مع مطالب أهل فلسطين فيما يختص هذا الموضوع .

أما تسوية لندن عام ١٨٤٠، فلم يكن هدفها ضرب محمد علي في مصر والشام وتقليص قدراته الصناعية والحربية والاقتصادية فحسب ، بل كان لهذه التسوية أسباب استعمارية أخرى تتعلق مباشرة بمستقبل فلسطين ، لأن إقامة وحدة عربية إسلامية بين مصر وبلاد الشام من شأنها أن تحول دون تحقيق المطامع اليهودية والأوروبية ، ولأن قيام دولة عربية واحدة ستقطع الطريق على إمكانية إنشاء دولة يهودية في فلسطين تحت الرعاية البريطانية . ولطالما حرّك اليهود الفتن الداخلية في بلاد الشام ولا سيما في عام ١٨٦٠ ، وثبتت ادانتهم في تردي الأوضاع الأمنية في المنطقة ، مما اضطرهم وقتذاك إلى طلب الحماية البريطانية وتدخل السير « مونتفيوري » لأنقاذهم مما اتهموا فيه ، ومما يدل على ذلك ما عثرت عليه من وثائق في مجموعة «المحررات السياسية والمفاوضات الدولية في سوريا ولبنان عام ١٨٦٠».

واستمر النشاط الصهيوني — البريطاني وتزايد نتيجة لشراء بريطانيا أسهم قناة السويس عام ١٨٧٥ . وبالدليل القاطع فان أموال هذه الصفقة لم تكن أموالاً بريطانية بقدر ما كانت أموالاً يهودية ، لأن عملية الشراء تمت بواسطة دزرائيلي رئيس الوزراء البريطاني اليهودي ، وبأموال عائلة روتشيلد اليهودية أيضاً ، وقد اعترف «دزرائيلي» بأن الهدف من هذه العملية لم يكن السيطرة على مصر فحسب وإنما السيطرة على فلسطين أيضاً ، وفي عام ١٨٨٠ ، صرّح بأن من يملك فلسطين يمكنه أن يهدد منطقة القناة . وفي عام ١٨٨٢ قال « ادوارد كوزليت » : ان احتلال مصر قد وحّد بين مصالح الأمبراطورية البريطانية في الشرق وبين مصالح اليهود في فلسطين . وأكد « زانغويل » — الزعيم الصهيوني — هذه الحقيقة بقوله : الآن وليس في وقت آخر هي فرصة اسرائيل ، لن نصبر لا اليهود ولا فلسطين بعد ان نقلت قناة السويس العالم إلى أبواب فلسطين .

وكان يقابل النشاط السياسي الصهيوني نشاط آخر تمثل بالهجرة اليهودية إلى الأراضي المقدسة ، ففي منتصف القرن التاسع عشر بدأت الهجرة اليهودية تتخذ طابعاً خطراً على البلاد لما أظهرته من أهداف استيطانية ولكن عدد اليهود حتى عام ١٨٣٩ كان لا يتجاوز ستة آلاف مقابل ثلاثمائة ألف عربي أي بنسبة ٢٪ من السكان . وبتزايد الهجرة اليهودية تزايد خطر القادمين فقد بلغ عددهم بين عام ١٨٨٢ وأوائل القرن العشرين

حوالي مائة ألف مهاجر ، مما حدا بالحكومة العثمانية في إصدار عدد من القوانين الخاصة بالهجرة التي استطاعت بها أن تقلص من عددهم حيناً ، وتحد من سيل الهجرة المتدفق حيناً آخر .

وكان مؤتمر بال عام ١٨٩٧ قد أقر بضرورة إنشاء وطن للشعب اليهودي في فلسطين ، رغم معارضة عدد كبير من اليهود ، ولكن المنظمة الصهيونية استمرت في مساعيها مع الدولة العثمانية والدول الاستعمارية والأوروبية لتحقيق مشروعها ، غير أن القوانين العثمانية والفرمانات السلطانية منعت إلى حد تدفق المهاجرين اليهود نظراً لخطورة هجرتهم على مستقبل فلسطين ، ونظراً لتسببهم في تأخر فلسطين اقتصادياً واجتماعياً وصحياً . ولكن يلاحظ أنه رغم إصدار القوانين العثمانية فان المتصرفين والحكام المرتشين لعبوا دوراً مؤثراً في انجاح الهجرة اليهودية ، بالاضافة إلى فساد الادارة الضرائبية العثمانية وطرح أراضي الفلاحين بالمزاد العلني إستيفاءً للضرائب ، كما أن الإقطاع اللبناني والسوري والفلسطيني قد ساهم إلى حد كبير ببيع الأراضي الفلسطينية إلى القادمين اليهود .

والجدير بالذكر أنه بالرغم من الواقع الأليم الذي عاشه الفلاح الفلسطيني فقد استمر متمسكاً تمسكاً شديداً بأرضه وعمله وجعلها تدر خيرات وفيرة ، لكنه في الوقت الذي شعر فيه أن حياته اصبحت مهددة بالخطر نتيجة لسلب أرضه أو طرده من عمله أبدى معارضته الشديدة واحتجاجه المستمر على الواقع الجديد . والحقيقة أن ردود الفعل الفلسطينية ضد الهجرة اليهودية ، تعود إلى بداية الهجرة ، ويمكننا أن نستخلص من تقرير « أسعد خياط » القنصل البريطاني في يافا عام ١٨٥٨ من أن ردود الفعل العربية لم تبدأ في أواخر القرن التاسع عشر أو أوائل القرن العشرين كما كان يعتقد ، بل تعود عملياً إلى منتصف القرن التاسع عشر عندما كان يقوم العرب بهجمات مستمرة على اليهود والأجانب بقصد ارهابهم ومنعهم من الإستيطان في فلسطين . واحتج القنصل على أن القاضي عندما أمر بعدم تسجيل صكوك بيع وشراء عقارات ومزارع للأوروبيين والأميركيين على السواء ، إنما كان يخالف الاتفاقات المعقودة فيما بين الدولة العثمانية والدول الأجنبية . ويمكن القول أن الاضطرابات قد ازدادت في فلسطين بعد سلب أراضي الفلاحين أو شرائها قصراً من قِبل الحكومة العثمانية « والمقاطعجية »

ــ الإقطاع ــ اللبنانيين أمثال عائلات : تويني ، سرسق ، مدور وغيرها ، والفلسطينيين أمثال عائلات : كسار ، روك ، خوري ، وحنا وغيرها . ففي عام ١٨٨٦ هاجم الفلاحون الخضيرة وملبس ــ وهي القرى التي كانوا يملكونها في الأساس ــ مما أجبر الدولة عام ١٨٨٧ على فرض قيود على الهجرة اليهودية . وفي عام ١٨٩٠ قدّم وفد من وجهاء القدس عريضة احتجاج للحكومة العثمانية بسبب تساهل رشاد باشا وعدم تقيده بتنفيذ قوانين الهجرة القاضية بمنع دخول اليهود إلى فلسطين ، وطالبوا باصدار فرمان سلطاني يمنع استيطان اليهود بصورة نهائية ، وقد وقّع على هذه العريضة ٥٠٠ من الاهالي مما يدل على وعي ويقظة الشعب الفلسطيني. وفي عام ١٨٩٧ ترأس محمد طاهر الحسيني لجنة عربية للوقوف في وجه الإستيطان اليهودي ومراقبة تسجيل وبيع وشراء الأراضي .

ومن الأهمية بمكان القول ، أنه اتضح لي من خلال دراستي لمواقف الزعامات العربية أنها لم تكن على مستوى الخطر الصهيوني ولا على مستوى يقظة الشعب الفلسطيني الذي لمس بنفسه مدى هذا الخطر على مستقبل بلاده . فكانت هذه الزعامات تنقسم إلى قسمين رئيسيين : القسم الأول كافح من أجل إنهاء السيطرة العثمانية على البلاد العربية ، والقسم الثاني كافح من أجل إنهاء السيطرة الأوروبية ــ وبالذات البريطانية ــ على هذه البلاد ، ودعا إلى دعم الدولة العثمانية . وبينما تمثل الزعامات الشامية القسم الأول ، تمثل الزعات المصرية القسم الثاني . والواقع أنه بالرغم من وعي هذه الزعامات سواء على مستوى السيطرة العثمانية أو السيطرة الأوروبية ، غير أنني لم أجد أن هذا الوعي قد تعدى حدود ذلك رغم ان الخطر الصهيوني كان ماثلاً للعيان ، بدليل أن بعض الزعامات العربية مثل « أمين أرسلان » ــ وهو مثال للزعامات الشامية ــ و « مصطفى كامل » ــ وهو مثال للزعامات المصرية ــ لم تتحرك بفعالية ونشاط ، بل لم تبدِ اهتماماً يذكر بالحركة الصهيونية وأخطارها على مستقبل الأراضي المقدسة ، وربما يعود سبب ذلك إلى انشغال هذه الزعامات إما بالاستعمار البريطاني كما هو في مصر ، أو الانشغال بالسيطرة العثمانية كما هو في بلاد الشام ، على أن ذلك لا يبرر الصمت التام عن الخطر الصهيوني حيناً ، والتأييد للمنظمة الصهيونية أو الإعجاب بها حيناً آخر . وبالإضافة إلى ذلك فقد اتضح لي

من خلال البحث بأن الصحافة العربية لم تكن كلها أيضاً على مستوى الخطر الصهيوني ، ولكن شذت عن هذه القاعدة مجلة « المنار » ووعى صاحبها رشيد رضا هذا الخطر الذي نبّه إليه منذ عام ١٨٩٨ . وتلت « المنار » فيما بعد صحيفة « الكرمل » التي عبرت في الفترة ١٩٠٨–١٩٠٩ عن وعي سياسي ناضج برئاسة صاحبها نجيب نصار . كما أن « المشرق » بدأت بعد الثورة على السلطان عبد الحميد ١٩٠٨ – ١٩٠٩ تبين أهداف الحركة الصهيونية على فلسطين . وينبغي أن نذكر في هذا المجال أن بعض الزعامات الفلسطينية كانت تعي الخطر الصهيوني وتظهره منذ عام ١٨٩٩ مثال : يوسف ضيا الخالدي ، كما أن بعض المفكرين اللبنانيين أشاروا إلى أهداف الحركة الصهيونية منذ عام ١٩٠٥ مثال : « نجيب عازوري » .

ويلاحظ بأنه بعد ثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان ١٩٠٩ تبدلت السياسة العثمانية إزاء فلسطين والبلاد العربية وازدادت موجة الهجرة اليهودية ، بينما كانت الحكومة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد تعمل ما بوسعها لمنع الاستيطان اليهودي في الأراضي المقدسة . وكان هذا الموقف قد أبداه السلطان منذ بداية عهده عندما جاءه « أوليفانت » (Oliphant) المبعوث اليهودي لمطالبته بإنشاء كيان لليهود في فلسطين ، فكان رد السلطان بأن اليهود يستطيعون العيش بسلام في أية منطقة من المملكة إلا في فلسطين ، لأن الدولة ترحب بالمضطهدين ولكنها ترفض مساعدة اليهود في إقامة دولة لهم في فلسطين يكون أساسها الدين .

والجدير بالذكر أن سياسة عبد الحميد الثاني إزاء الاتحاديين والصهيونية ودول أوروبا قد أدت إلى إتفاق هذه العناصر مجتمعة للقيام بثورة ١٩٠٨ . وبواسطة المحافل الماسونية تمكن ضباط الإتحاد والترقي من التحرك بفعالية أكثر ، لأن وجودها في سلانيك كان يضمن لها الحماية الدولية على اعتبار انها إحدى الولايات الثلاث الخاضعة للمراقبة الدولية . وعلى هذا يمكن أن نستخلص من دراسة الوثائق التي بين أيدينا أن ثورة الإتحاد والترقي هي ثورة يهودية – دولية قبل أن تكون ثورة تركية أو عثمانية ، لأن لجنة سالانيك الإتحادية تكونت تحت رعاية ماسونية دولية وبتأييد من اليهود ويهود الدونمة ، وإن عناصر يهودية مثل : قارصوه وسالم وساسون وفارجي ومازلياح وجاويد وبالجي، قد لعبوا دوراً أساسياً في تنظم هذه

اللجنة وفي إنجاح الثورة . كما وأن معظم اليهود قد أظهروا حماساً متزايداً في ضرورة التقدم وبسرعة نحو العاصمة لاحتلالها ، وكان الجيش الزاحف نحوها ايضاً بقيادة الكولونيل رمزي بيه هو أحد يهود الدونمة . وبالاضافة إلى ذلك فان الصهيونيين في فلسطين أظهروا اهتماماً بالغاً بالثورة على أمل تحقيق ما عجزوا عن تحقيقه أثناء حكم السلطان عبد الحميد وقد أكد مثل هذه الحقائق جميع الدبلوماسيين البريطانيين أمثال : لوثر وبلش ومارلنغ .

وتؤكد الوثيقة السلطانية الحميدية المرسلة إلى الشيخ محمود أبو الشامات – والتي ثبتت صحتها – بأن السلطان ما خلع عن العرش إلا لأنه رفض عرض (١٥٠) مليون ليرة ذهبية مقابل إنشاء وطن قومي لليهود . ولذا فقد حرصت المنظمة الصهيونية في عهد السلطان محمد رشاد على الحصول على قانون يسمح لليهود بالهجرة والتملك وإلغاء الجواز الأحمر ، كما أن النفوذ اليهودي والصهيوني ظهرا بوضوح في أوساط الحكومة الجديدة ، لا سيا وأن وزير المالية جاويد بك كان أحد اليهود الذين كان لهم الدور البارز في قرار خلع السلطان ، مما أدى إلى قيام حركة معارضة ضد سياسة الحكومة وضد سياسة وزير المالية بشكل خاص ، وتمثلت هذه المعارضة بممثلي المبعوثان صادق بك ومفيد بك ، ونواب فلسطين الثلاثة : روحي الخالدي ، سعيد الحسيني ، وحافظ السعيد . وبالاضافة على تأكيد الوثائق البريطانية لدور اليهود في ثورة ١٩٠٨ – ١٩٠٩ وتزايد نفوذهم في العهد الإتحادي ، فقد أكدت أيضاً الصحف المعاصرة هذه الحقائق ومنها صحف : المشرق ، والمنار ، والعصر الجديد ، ونهضة العرب . ولعل في دراسة مقال : « الاسرائيلية في جمعية الإتحاد والترقي » لأحد العثمانيين المسلمين في باريس هو خير شاهد على ما جرى من ملابسات وظروف الثورة والخلع ، الذي ورد فيه تأكيد على كل الحقائق التي سبق وتناولتها في هذا البحث ليأتي مقالاً ملماً بكل أسباب ونتائج ثورة الإتحاديين . ولا بد لي أخيراً من ذكر نتيجة من نتائج البحث ، وهي أن المسؤولية تلقى في هذه الفترة على جهات أربع هي :

١ – الادارة العثمانية الفاسدة المرتشية والتي كانت في كثير من الأحيان تخالف قرارات السلطان والحكومة .

٢ – الإقطاع اللبناني والسوري والفلسطيني الذي ساهم إلى حد كبير

في تردي أوضاع الفلاح الفلسطيني وسهل عمليات بيـع الأراضي للمهاجرين اليهود .

٣ ـ الزعامات العربية التي لم تلعب الدور الفاعل في توعية الشعب العربي بأخطار الحركة الصهيونية ، رغم أن شعب فلسطين لم يتوانَ في إظهار ردود فعله المستمرة . كما وأن تلك الزعامات لم تظهر معارضتها لحركة الهجرة اليهودية ، وكل ما فعلته هو تركيز جهودها في معارضة الدولة العثمانية أولاً وبريطانيا ثانياً .

٤ ـ الدول الاستعمارية التي ساعدت الحركة الصهيونية بأسلوب أو بآخر لتحقيق أهدافها الأولية في القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩٠٩ .

تم بحمد الله

الملاحق

ملحق رقم (١)

رسالة السير شارل نابيير (Charles Napier) عام ١٨٤٠ إلى اهل الشام يعلمهم فيها باتفاق الدول الأوروبية والدولة العثمانية على إنهاء حكم محمد علي[1]

أيها السوريون

إن بريطانيا العظمى والنمسا وروسيا وبروسيا بالاتفاق مع عظمة السلطان قد اتفقت جميعاً على إنهاء حكم محمد علي في سوريا . وقد أرسلت على رأس قوة بحرية متقدمة لأساعد في إزالة نير الحكم الذي بسطه باشا مصر على هذه البلاد .

إنكم تعلمون أنه قد صدر عن عظمة السلطان « خط شريف » يضمن سلامة رعاياه وضمان ممتلكاتهم ، وينطبق مفعول هذا « الخط الشريف » على جميع أجزاء الأمبراطورية العثمانية بما في ذلك هذه البلاد بالذات . كما أن الدول الحليفة قد رفعت توصية إلى عظمة السلطان من شأنها أن توفر لكم الخير والراحة ...

(١) نقلاً عن :
W. P. Hunter; Narrative of the Late Expedition to Syria, vol. 1, pp. 7,8.
زين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، ص ١٨٩-١٩٠، بيروت ١٩٧١ .

ملحق رقم (٢)

تعريب بعض الفرمانات السلطانية التي أصدرها السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٣٠٨ هـ الخاصة بالهجرة اليهودية إلى فلسطين(١).

الفرمان الأول — ٢١ من ذي القعدة سنة ١٣٠٨ هـ.

لا يسمح بإجراء ينتج عنه قبول اللاجئين اليهود المطرودين من كل بلد يترتب عليه إنشاء حكومة موسوية في القدس مستقبلاً. وبما أن هؤلاء ليسوا من مواطني أمبراطوريتنا فيتحتم إرسالهم إلى أمريكا.

يرفض قبولهم وقبول غيرهم في البلاد بل يجب تهجيرهم إلى بلاد أمريكا بوضعهم في السفن دون أي تأخير وعرض الموضوع علينا بعد اتخاذ قرار خطير بشأن تفاصيله. لماذا نقبل في بلادنا من طردهم الأوروبيون المتمدنون وأخرجوهم من ديارهم؟ لا محل لقبولهم ما دامت عندنا فتنة أرمنية. فنطلب إلى مقام الصدارة إتخاذ قرار عام في هذا الموضوع دون حاجة لعرض الموضوعات فيما بعد على أحد.

الفرمان الثاني — ٢٨ من ذي القعدة سنة ١٣٠٨ هـ.

إلى اللجنة العسكرية السلطانية

بما أن قبول هؤلاء الموسويين ومنحهم الجنسية العثمانية وإسكانهم أمر ضار، وبما أن هذا التسامح تنتج منه مستقبلاً إقامة دولة موسوية، فيتعين عليه عدم قبولهم في البلاد، وعلى اللجنة العسكرية أن تقدم على ضوء هذا بعرض القرار سريعاً على مقام الصدارة.

(١) نقلا عن كتاب: جواد رفعت اتلخان: الاسلام وبنو اسرائيل، ص ١٥٢، ١٥٣. غير منشور.

الفرمان الثالث — ٢٩ من ذي القعدة سنة ١٣٠٨ هـ

إلى اللجنة العسكرية السلطانية

إن الدول التي تقدم إلينا إحتجاجات عتاب بحجة عدم قبول الموسويين الذين أخرجوا مطرودين من دول متمدنة ورفضت الدول الأخرى قبولهم، لو أنها ترى في نفسها حق الإحتجاج فلتتقدم به إلى الدول التي طردتهم ورفضت قبولهم. هؤلاء الموسويون أينما سكنوا ومهما اتخذ ضدهم من التدابير فان الذي يلاحظ عليهم هو النزوح التدريجي إلى فلسطين مقصودهم الأصلي ليقيموا فيها حكومة موسوية فيما بعد بتشجيع الأوروبيين وحمايتهم لهم. وبما أنهم قوم لا يشتغلون بالزراعة والفلاحة وثابت عليهم أنهم سوف يضرون الأهالي مثلما أضروهم في البلاد التي طردوا منها. وكانوا يهاجرون قبلاً إلى أمريكا فان الأنسب لهم أن يتوجهوا إليها أيضاً. ونطلب مذاكرة هذه النقطة في اللجنة العسكرية مذاكرة مستوفاة.

ملحق رقم (٣)

موقف السلطان عبد الحميد الثاني من الهجرة اليهودية إلى فلسطين[١]

إن لليهود نفوذاً في أوروبا أكثر من نفوذهم في الشرق ، لهذا فان دولاً أوروبية كثيرة أرادت التخلص من اليهود — العرق السامي — وأيدت هجرتهم إلى فلسطين . ولكنّ في دولتنا عدداً كبيراً من اليهود ، فاذا كنا نريد أن يستمر العنصر العربي الإسلامي (مسلمان عرب — Müslümen Arab) متفوقاً في فلسطين يجب أن لا نسمح بتهجير اليهود اليها . وإذا كان الأمر عكس ذلك وسمحنا لهم بالهجرة ، فانهم بفترة قصيرة يسيطرون على الحكم ، وتصبح فلسطين تحت سيطرتهم ، ونكون بذلك قـد قضينا بأيدينا على عنصر ديننا بالموت الأكيد .

إن زعيم الصهيونية هرتزل لم يستطع اقناعي بأفكاره . وقـد يرى : « أن حل المسألة اليهودية (Yahudi Meselesi) ستنتهي يوم يستطيع اليهودي قيادة محراثه بيده » . وربما كان هرتزل على حق بالنسبة لشعبه ، فانه يريد أرضاً لهم ، ولكن نسي أن الذكاء وحده ليس كافياً لحل جميع المشكلات .

إن الصهيونية لا تريـد أراضٍ زراعية في فلسطين لممارسة الزراعة فحسب ، ولكنها تريد أن تقيم حكومة ، ويصبح لها ممثلون في الخارج . انني أعلم أطماعهم جيداً ، وانني أعرض هذه السفالة (Saflik) لأنهم يظنونني انني لا أعرف نواياهم أو سأقبل بمحاولاتهم . وليعلموا أن كل فـرد في أمبراطوريتنا لم يكن لليهود من الكراهية طالما هذه نواياهم ، وأن الباب العالي ينظر إليهم مثل هذه النظرة . وانني أخبرهم أن عليهم أن يستبعدوا فكرة إنشاء دولة في فلسطين لأنني لا زلت أكبر أعدائهم .

(١) نقلاً عن كتاب : السلطان عبد الحميد الثاني : خاطراتي السياسية .
Sultan Abdül Hamit ; Siyasi Hatiratim, p. 60 — 61.

ملحق رقم (٤)

تعريب الجواز الاحمر الذي كان يفرض على اليهود الاجانب ان يستلموه لدى زيارتهم فلسطين بدل جواز سفرهم تبعاً للقوانين العثمانية التي صدرت عام ١٩٠٠[١].

تذكرة إقامة تعطى للأجانب من قبل كومسيون يافا لمنع المهاجرين الموسويين (اليهود) وتحديد وتعيين مـدة إقامتهم بثلاثة شهور . ويعمل بها ويحتفظ بها وبعد انقضاء هذه المدة يعتبروا ساقطين من الحكم المعمول به .

الاسم والشهرة	الأوصاف والأشكال والعلامات الفارقة	الصنعة والتابعية	محل الورود	المقصد السياحي	رقم حامل جواز السفر وتاريخه واسم مكان اعطائه الاقامة	تذكرة مرور الحامل للجواز وتاريخ ورقم مكان الاعطاء	مدة السياحة والاقامة شهر	معاملات
شوان بن سالمون	متوسط رفيع حنطي شعره يتخلله شيب عمره ٥١ سنة	تاجر — من المانيا	جنوه	تجارة	١٩ حزيران ١٩١و١٤- جنوه مدينة بن وما جاورها	//	ثلاثة شهور	ان حامل الجواز المبين اعلاه والمرقم والمؤرخ يسلم له بالذات حين عودته وقد افهم ذلك علناً

عندما تطلب هذه التذكرة من قبل مأموري الانضباط ستُبرز ويعمل بها لمدة ثلاثة شهور للاقامة والسياحة في داخل أرض فلسطين . وفي نهاية هذه المدة سيُجبر الذين لم يغادروا فلسطين على الخروج بالقوة.

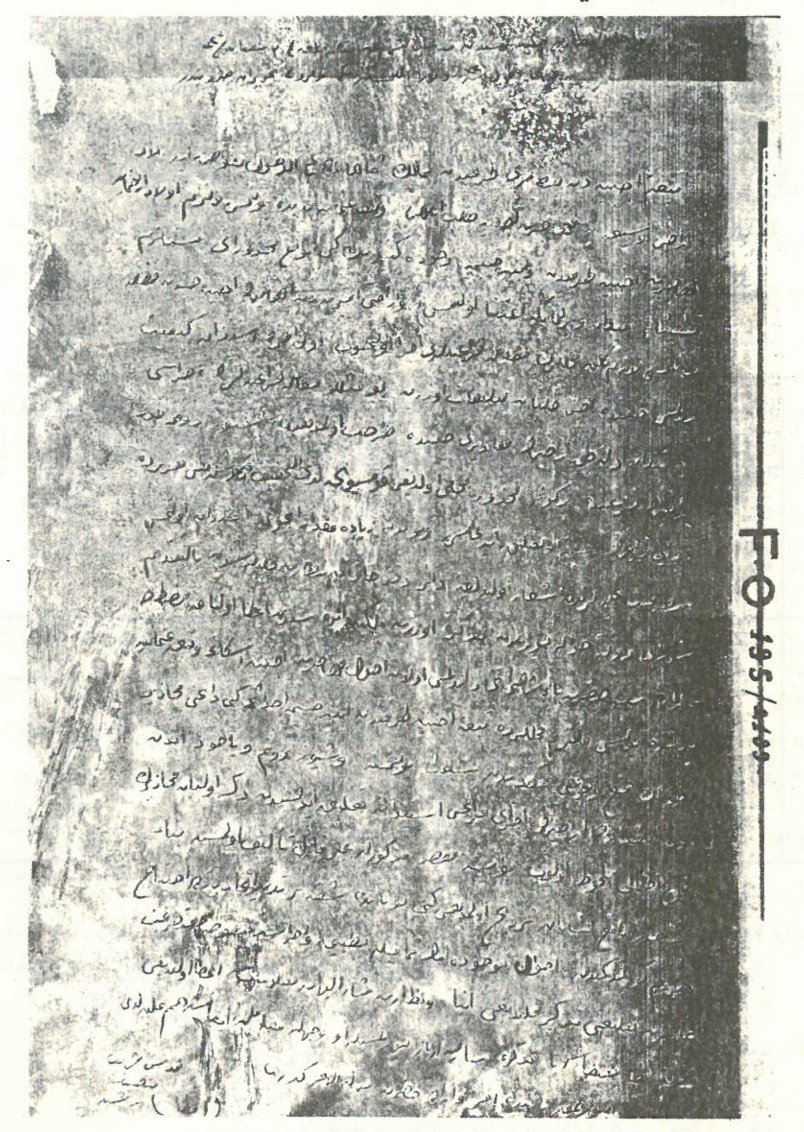
في ١٨ ربيع الأول سنة ٣١٩ — في ٢٢ حزيران سنة ١٩١٠ .

احمد حبيب من قبل رئيس مالية المرفأ .

(١) نقلاً عن :
N. Mandel; Turks, Arabs and Jewish Immigration into Palestine 1882 — 1914.

ملحق رقم (٥)

رسالة وزارة الداخلية الى متصرف القدس وفيها تعليمات بمنع بناء الأبنية وبيع الاراضي للمهاجرين الاجانب – اليهود – حرصاً على عدم إثارة المشاكل وردود الفعل العربية في فلسطين[١].



(١) نقلا عن: Dickson to O'Conor, 2 Nov. 1905, in F.O. 195/2199.
– رسالة مرفقة بالتقرير –

تعريب الملحق رقم (٥)

رسالة وزارة الداخلية العثمانية رقم (١٦٢) إلى متصرف مدينة القدس، في ٣ شعبان ١٣٢٣ هـ – ١٩ ايلول (سبتمبر) ١٣٢١ رومي .

إنه بناء على التعليمات الصادرة ، يجب الاهتمام بعدم السماح للأجانب بإقامة أبنية كبيرة ، أو الشروع فيها أو محاولة إقامتها على أراضٍ يجب أن تبقى ملكيتها في حيازة المواطنين العثمانيين ؛ لأن من شأن ذلك إثارة المشاكل ، نظراً لقدوم بعض الأجانب المهاجرين من ذوي جنسيات مختلفة ودخولهم إلى الأراضي الواسعة في الممالك السلطانية .

بناء على ذلك ، يفرض على أولي الأمر الإستئذان قبل عملية القيام بتسجيل بيع الأملاك الأميرية الفائضة عن حاجات المواطنين ، وذلك لعدم وجود قانون صريح حول مساحات الأراضي التي يجب التقدم لأمر الإستئذان لها . إلا أنه في حال تسجيل الأراضي البالغ مساحتها ٥٠٠ دونم ، وعند احتمال ظهور أقل مشكلة تظهر للجنة لدى التحقيق ، يجب أن لا يُقدم على عملية الإستئذان ، كما لا يباشر في أمر التسجيل .

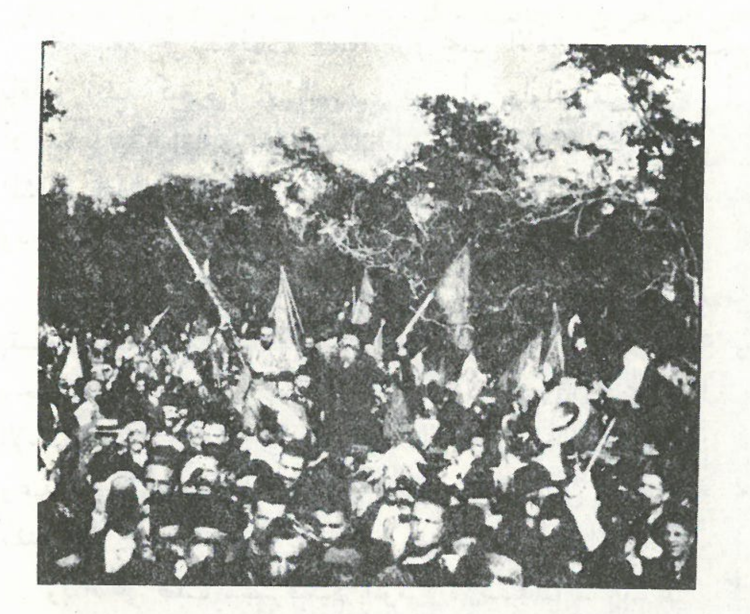
وبناء على طلب متصرفيتكم الموقرة بالإستئذان بما يزيد عن تلك المساحة ، فقد قامت وزارة الأملاك والضرائب بالكتابة لمجلس الدولة ، وعلى أثر ذلك صدر قرار عن دائرة الحقوق يؤكد فيه أن الغرض من منع تملّك المهاجرين الأجانب الذين لا يستوطنون إلا بالإرادة السلطانية السنية ، إنما هو لتجنب المشاكل الدائمة التي تترتب على إنشاء هؤلاء المهاجرين لأبنية جسيمة في أماكن يجب أن تكون ملكيتها للمواطنين العثمانيين .

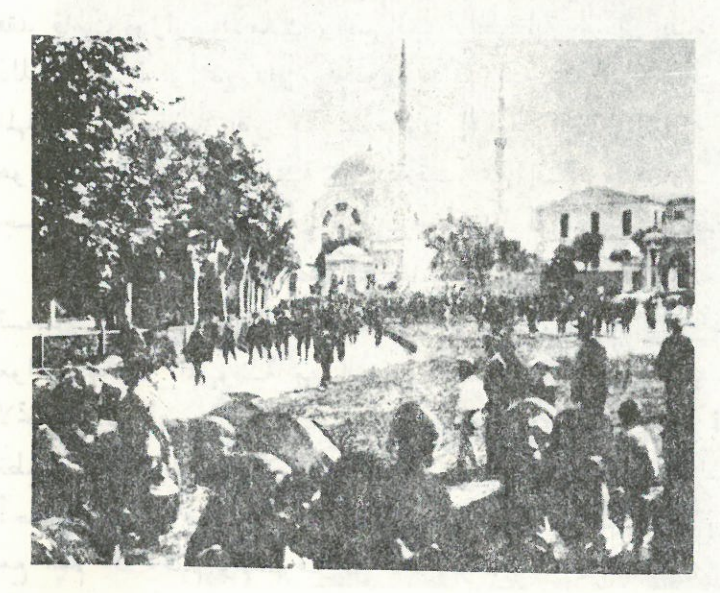
ولما كانت المشاكل تنجم عن أمر الإستئذان – ملحوظة أيضاً – في تسجيل الأراضي البالغ مساحتها ٥٠٠ دونم فأقل، ولما كان هذا الأمر غير موافق للحكمة المفهومة من الغرض الأصلي المذكور ، تقرر أن لا لزوم لاتخاذ تدابير أخرى غير التدابير المتخذة . فعلى ذلك نبلغ متصرفيتكم ضرورة تطبيق الحالة الحاضرة الراهنة . وكذا نبلغكم بأن الوزارة المشار إليها قد أحيطت علماً ، فتحررت الرسالة السامية هذه إلى القدس لإجراء اللازم ، مع العلم أن الحكم والتصرف لمن له الأمر .

محرر إلى متصرفية القدس الشريف
(الامضاء)

ملحق رقم (٦)

المظاهرات التي قام بها اليهود مع غيرهم من القوميات في عام ١٩٠٨ بعد قيام الثورة ضد السلطان [١].





(١) نقلا عن : Revue du Monde Musulman, T. 5, 1908.

ملحق رقم (٧)

رسالة جمعية الاتحاد والترقي الى الصحيفة الصهيونية (Neue Freie Presse) لاشعارها بالثورة على السلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٩٠٨ . [١]

Très Hononré Monsieur,

C'est aujourd'hui le premier jour de la liberté. Le peuple entier (Turcs, Bulgares, Serbes, etc.) a célébré cette fête. Si le sultan ne tient pas compte de nos revendications, nous marchons sur Constantinople.

Enver

"Membre du Comité Ottoman d'Union et Progrès"

"Général d'Etat Major"

تعريب الملحق رقم (٧)

سيدي المحترم

هذا اليوم هو اليوم الأول للحرية . الشعب بأكمله (اتراك . بلغار ، صرب ، الخ .) احتفل بهـــذا العيد . إذا كان السلطان لا يأبه لمطالبنا سنزحف إلى القسطنطينية .

انفر

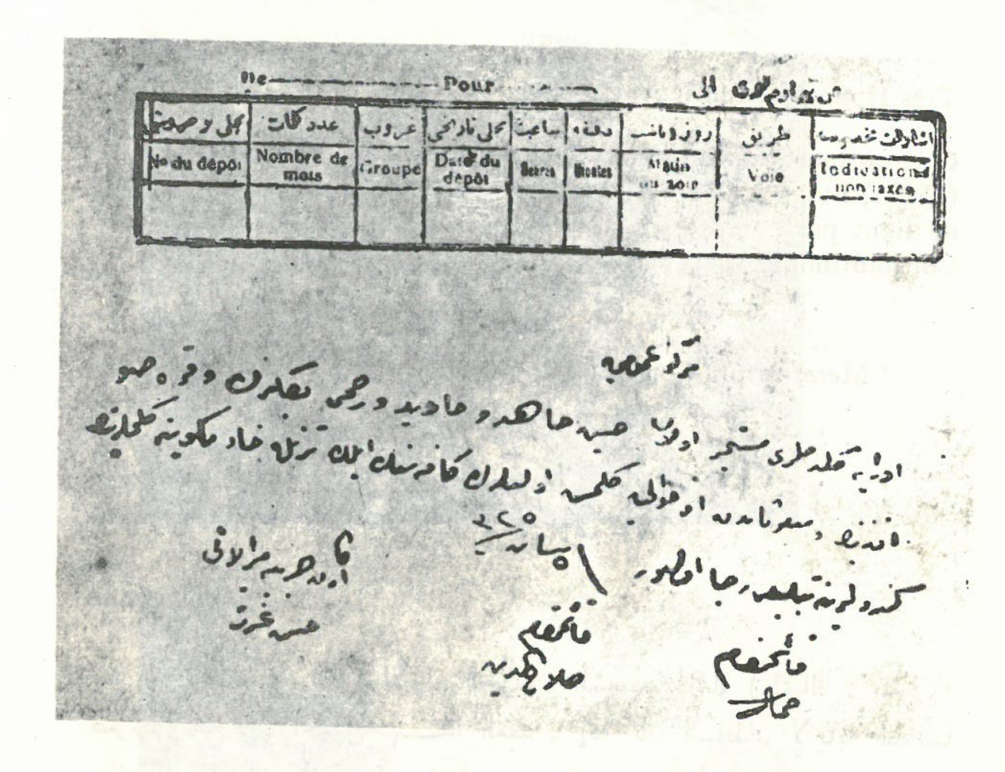
عضو اللجنة العثمانية للاتحاد والترقي .

— جنرال أركان حرب —

(١) نقلا عن : Revue du Monde Musulman, T. 5, (Paris 1908).

ملحق رقم (٨)

نص البرقية الداعية إلى عقد مؤتمر في خادم كوي لخلع السلطان عبد الحميد الثاني . وهي موجهة إلى الشخصيات اليهودية والدونمة .



De ---------- Pour ---------- من ... الى

اشارات خصوصية Indications non taxées	طريق Voie	روز وماتين Matin ou soir	دقيقه Minutes	ساعت Heures	محل تاريخي Date du dépôt	غروب Groupe	عدد كلمات Nombre de mots	محل وصولي No du dépôt

تعريب الملحق رقم (٨)

الرجا إبلاغ البكوات حسين جاهد وجاويد ورحمي وقره صو افندي الذين علمنا وجودهم لديكم والنواب الآخرين ، بضرورة القدوم إلى خادم كوي في أول قطار .

٥ نيسان ١٣٢٥

امير الاي اركان حرب	القائمقام	القائمقام
حسن عزت	صلاح الدين	جمال

ملحق رقم (٩)

رسالة السلطان عبد الحميد الثاني من سلانيك الى الشيخ محمود ابو الشامات في دمشق يؤكد فيها ان سبب خلعه عن العرش إنما لرفضه الموافقة على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

يا هو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه اجمعين والتابعين الى يوم الدين :
اشبو عريضه مى طريقت عليه شاذليه شيخي وجودلره روح وحياة ويرن وجمله نك افنديسي بولنان الشيخ محمود افندي ابو الشامات حضرتلرينه رفع ايديورم مبارك اللريني اوپرك ودعالريني رجا ايدرك سلام وحرمتلرمي تقديمدن صكره عرض ايدرم كه . سنه حاليه شهر مايسك ٢٢ نجي كونلي تاريخلي مكتوبي واصل اولدي . صحت وسلامتده دائم اولديغكزدن دولايي الله حمد وشكر لر ايتدم . افندم اوراد شاذليه قراءتنه و وظيفه شاذليه اللهك توفيقيله كيجه وكوندوز دوام ايديورم وبو وظيفه لرمي اداية موفق اولديغمدن دولايي الله تعالى حضرتلرينه حمد ايدرم ودعوات قلبيه كزه دائما محتاج اولديغمي عرض ايلرم . بو مقدمه دن صكره شو مهم مسئله يي ذات رشادتپناهيلرينه و ذات سماحتپناهيلرينك امثالي عقول سليمه صاحبلرينه تاريخي بر امانت اولارق عرض ايدرمكه . بن خلافت اسلاميه يي هيچ بر سببله ترك ايتمه دم . انجق وانجق (جون ترك) اسميله معروف ومشهور اولان اتحاد جمعيتنك رؤساسنك تضييق وتهديدي ايله خلافت اسلاميه يي تركه مجبور ايدلدم . بو اتحادجيلر اراضي مقدسه ده فلسطينده يهوديلر ايچون بر وطن قومي تأسيسني قبول وتصديق ايتمكلكم ايچون اصرارلرنده دوام بو اصرارلرنيه وتهديدلرينه رغماً قطعيا بو تكليفي قبول ايتمدم وبالآخره يوز اللي مليون التون انكليز ليراسي ويره جكلريني وعد ايتدلر

بو تكليفي دخي قطعيا رد ايتدم وكنديريه شو سوزلرله مقابله ده
بولندم . دكل ١٥٠ مليون التون انكليز ليراسي دنيا دولوسي
التون ويرسه كز بو تكليفلريكزي قطعيا قبول ايتمه م . بن اوتوز سنه دن
فضله بر مدتده ملت اسلاميه يه وامت محمديه يه خدمت ايتدم بوتون
مسلمانلرك وسلاطين وخلفاء عثمانيه دن آباء واجدادمك صحيفه لريني
قرارتمام . بناء عليه بو تكليفكزي مطلقا قبول ايتمام ديه قطعي جواب
ويردكدنصكره خلعمه اتفاق ايتدلير وبني سلانيكه كونديره جكلريني بيلديردلر
بو صوك تكليفلريني قبول ايتدم . والله تعالى يه حمد ايتديكم وايدرمكه دولت
عثمانيه يي وبوتون عالم اسلامي ابدي بر لكه اولاجغه اولان تكليفلريني يعني
اراضي مقدسه ده فلسطينده يهودي دولتي قورلمسني قبول ايتمه دم . ايشته
بوندن صكره اولان اولدي وبوندن دولاييده مولاي متعال حضرتلرينه حمد ايدرم
بو مهم مسئله ده شو معروضاتم كافيدر وشو سوزلرمله مكتوبمه ختام ويريورم .
مبارك اللريكزي اوپرك حرمتلرمي قبول بيورمكزي سزدن رجا واسترحام ايدرم
اخوان واصدقانك جمله سنه سلاملر ايدرم . اي بنم معظم استادم . بو بابده سوزمي
اوزاتدم محافظ علم عالي سماحتبنا هيلري وبوتون جماعتكزك معلومي
اولمق ايچون اوزاتمغه مجبور اولدم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢٢ ايلول ٣٢٩ خادم المسلمين

عبد الحميد

قام بتعريب هذه الرسالة الشيخ احمد القاسمي
مدير عام الاوقاف السورية السابق سنة ١٩٥٧

يا هــو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين .

أرفع عريضتي هــذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية ، إلى مفيض الروح والحياة إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات وأقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة .

بعد تقديم احترامي ، أعرض انني تلقيت كتابكم المؤرخ في ٢٢ مايس من السنة الحالية وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين .

سيدي : انني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلاً ونهاراً . وأعرض انني ما زلت محتاجاً لدعواتكم القلبية بصورة دائمة .

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم ، وإلى أمثالكم أصحاب السماحة ، والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ : إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب مـا سوى أنني — بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الإتحاد المعروفة بإسم « جون تورك » وتهديدهم — اضطررت واجبرت على ترك الخلافة الإسلامية . إن هؤلاء الإتحاديين قد أصروا وأصروا عليّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة — فلسطين — ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هـذا التكليف . وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهباً ، فرفضت هذا

التكليف بصورة قطعية أيضاً ، وأجبتهم بالجواب القطعي الآتي : إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً — فضلاً عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهباً — فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي . لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة فلن أسوّد صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين . لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي أيضاً .

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي ، وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى سلانيك ، فقبلت بهذا التكليف الأخير هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة فلسطين . وقد كان بعد ذلك ما كان . ولذا فانني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال . واعتقد أن ما عرضته كاف في هذا الموضوع المهم وبه أختم رسالتي هذه .

ألثم يديكم المباركتين وأرجو واسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي . سلامي إلى جميع الإخوان والأصدقاء

يا استاذي المعظم

لقد أطلت عليكم البحث ، ولكن دفعني لهذه الإطالة أن نحيط سماحتكم علماً ، ونحيط جماعتكم بذلك علماً أيضاً

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في ٢٢ أيلول ١٣٢٩ — خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

ملحق رقم (١٠)

كانت التدابير المتخذة بحق السلطان عبد الحميد في معتقله بقصر « بكلربكي » شديدة وصارمة ، إذ عمد الاتحاديون في كل مساء الى استبدال كلمة السر التي لا يجوز لسوى عارفيها دخول القصر والخروج منه[١].

(١) نقلاً عن : دفتر رئيس حراس السلطان في قصر « بكلربكي » .

يظهر هذا الرسم شعار جمعية الاتحاد والترقي – معنوناً بعبارة بادشاهم جوق يشا أي عاش مولانا السلطان – ، وهو نفسه شعار الماسونية ، قارن بالملحق رقم (١٢)



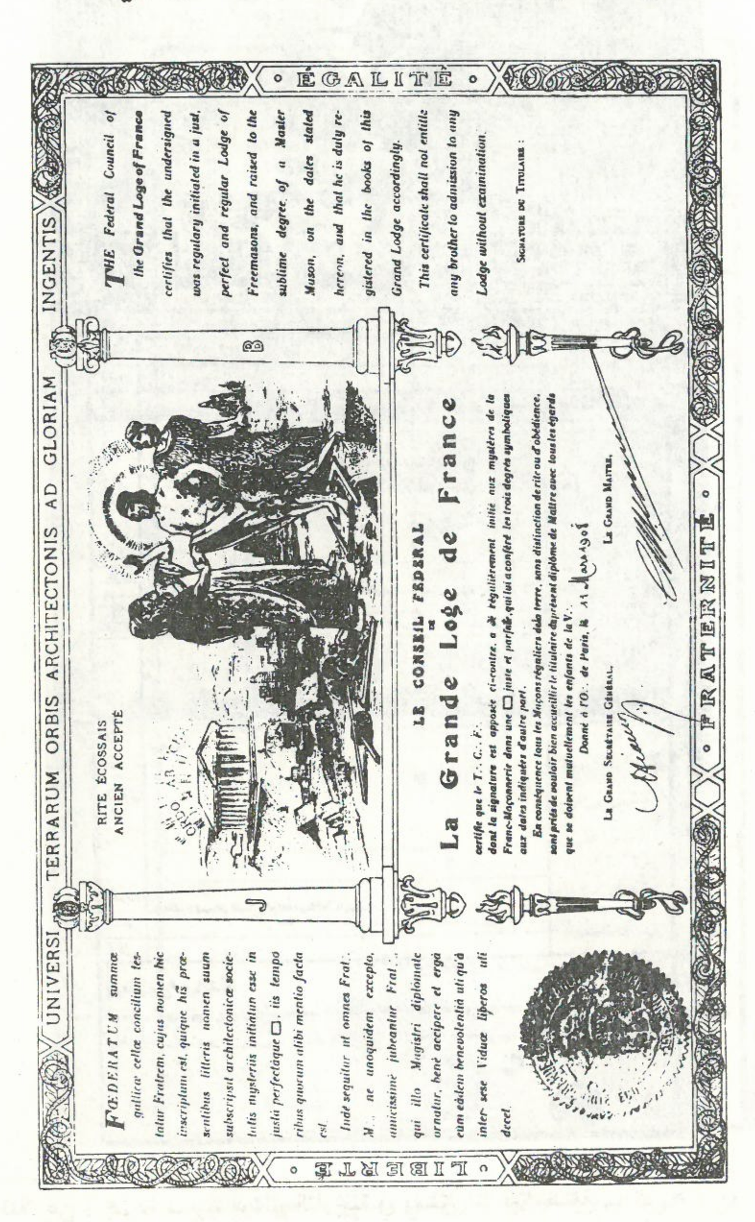
قطعة نقود تركية صدرت في أوائل عهد الاتحاديين وتحمل شعارات الماسونية : حرية – مساواة – عدالة .







صورة شهادة ماسونيّة اعطتها عمدة العشيرة من ذوي الطقس الاسكتلندي الى احد السوريين في ١١ آذار (مارس) سنة ١٩٠٨ . ويلاحظ في هذه الشهادة شعارات الماسونية وهي نفسها شعارات جمعية « الاتحاد والترقي » .



UNIVERSI TERRARUM ORBIS ARCHITECTONIS AD GLORIAM INGENTIS

ÉGALITÉ — LIBERTÉ — FRATERNITÉ

FŒDERATUM summæ gallicæ cellæ concilium testatur Fratrem, cujus nomen hic inscriptum est, quique hīs præsentibus litteris nomen suum subscripsit architectonicæ societatis mysteriis initiatum esse in justā perfectāque ☐. iis temporibus quorum alibi mentio facta est.

Indè sequitur ut omnes Frat∴ M∴ ne unoquidem excepto, amicissimè jubeantur Frat∴ qui illo Magistri diplomate ornatur, benè accipere et ergā eum eâdem benevolentiā uti qu'd inter sese Viduæ liberos uti decet.

RITE ÉCOSSAIS ANCIEN ACCEPTÉ

J — B

THE Federal Council of the Grand Loge of France certifies that the undersigned was regulary initiated in a just, perfect and regular Lodge of Freemasons, and raised to the sublime degree of a Master Mason, on the dates stated hereon, and that he is duly registered in the books of this Grand Lodge accordingly.

This certificate shall not entitle any brother to admission to any Lodge without examination.

Signature du Titulaire :

LE CONSEIL FÉDÉRAL DE

La Grande Loge de France

certifie que le T∴ C∴ F∴
dont la signature est apposée ci-contre, a été régulièrement initié aux mystères de la Franc-Maçonnerie dans une ☐ juste et parfaite, qui lui a conféré les trois degrés symboliques aux dates indiquées d'autre part.

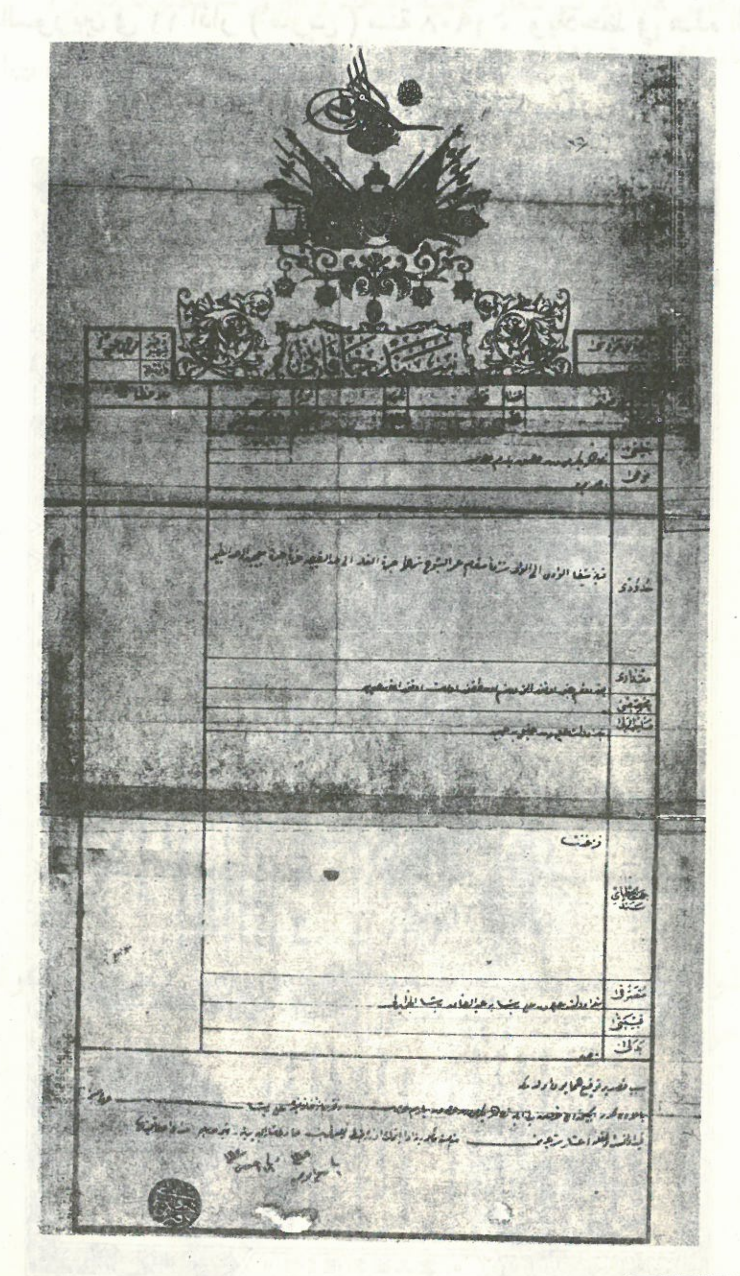
En conséquence tous les Maçons réguliers de la terre, sans distinction de rite ou d'obédience, sont priés de vouloir bien accueillir le titulaire du présent diplôme de Maître avec tous les égards que se doivent mutuellement les enfants de la V∴

Donné à l'O∴ de Paris, le 11 Mars 1908

Le Grand Secrétaire Général, — Le Grand Maître,

ملحق رقم (١٣)

سند خاقاني يثبت بيع الاراضي الاميرية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني[١]



(١) نقلاً عن : مجموعة مديرية الوثائق التاريخية في دمشق – غير مصنفة .

ملحق رقم (١٤)

سند خاقاني يثبت بيع الاراضي الاميرية في عهد السلطان محمد رشاد[١]

سند خاقاني

(١) نقلاً عن : مجموعة مديرية الوثائق التاريخية في دمشق – غير مصنفة .

ملحق رقم (١٥)

نماذج من احصاء عدد نفوس ألوية وأقضية - ولاية بيروت القسم الجنوبي -[1]

١ – احصاء نفوس عام ١٨٩٦

١ – لواء بيروت : ١٨٦ ٦٣٩ نسمة ويضم أقضية : بيروت ، صور ، صيدا ، مرجعيون .

٢ – لواء عكا : ١٣٨.٨٧٣ نسمة ويضم أقضية : عكا ، حيفا ، الناصرة ، طبريا ، صفد .

٣ – لواء نابلس : ١٣٧ ٥١٨ نسمة ويضم أقضية : نابلس، جنين، بني صعب .

٢ – احصاء نفوس قضاء نابلس عام ١٣٢٧ هـ

المذهب	ذكور	أناث
إسلام	١٠ ١٠١	١٠ ٠٢٧
روم	٢١٨	٢٠٩
لاتين	٠٥٨	٠٥٠
بروتستانت	٠٩٣	٠٨٧
سامري	٠٩٤	٠٦٦
يهودي	٠١٣	٠٦٦
المجموع	١٠ ٦١٧	١٠ ٤٥٥ = ٢١ ٠٧٢ نسمة

٣ – احصاء نفوس قضاء عكا ١٣٢٥ – ١٣٣١ هـ

المذهب	عام ١٣٢٥ هـ	عام ١٣٣١ هـ
إسلام	٢٨ ٢٥٦	٣٢ ٢٤١
روم	٣ ٦٤٨	٤ ٠٠٠
كاثوليك	٤ ٠٩٧	٤ ٣٦٧
بروتستانت	٣٧٣	٣٣٤
لاتين	٢١٢	٢٧١
يهود	١٣٠	١٠٥
أرمن	٤	٤
المجموع	٣٦ ٧٢٠	٤١ ٣٢٢

(١) نقلا عن كتاب : ولاية بيروت القسم الجنوبي – ج ١ .

٤ – احصاء نفوس قضاء صفد في أواخر القرن التاسع عشر

المذهب	عدد النفوس
إسلام	٢٢ ٧٤٧
يهودي	٦ ٠٧٩
كاثوليك	٢ ٠٣٧
ماروني	١ ٠١٩
أرثوذكس	٢٣٠
لاتين	٣
المجموع	٣٢٬١٣٧ نفس

٥ – احصاء نفوس قضاء حيفا عام ١٣٢٧ هـ – ١٣٣٢ هـ

المذهب	عام ١٣٢٧ هـ	عام ١٣٣٢ هـ
إسلام	١٩ ٢٤٤	٢٣ ٨٢٣
يهودي	٩١٤	١ ١١٧
كاثوليك	٢ ١٠٩	٣ ١٢٤
روم	٧٨٢	٨٦٨
لاتين	٢٢١	٢٤٩
ماروني	١٢٥	١٩٦
بروتستانت	٤٥	٥٤
يانجي إسلام	؟	٦٨٦
يانجي غير إسلام	؟	٦٢٠
المجموع	٢٣ ٤٦٠	٣٠ ٧٣٧

ملحق رقم (١٦)

أوضاع المستعمرات اليهودية في فلسطين
في أواخر القرن التاسع عشر (١٨٩٧)[(١)]

زار الأب « لامنس » فلسطين في عام ١٨٩٧ بعد أن ازدادت الأنباء في الصحف التركية عن الهجرة اليهودية وذلك للإطلاع على أحوال المستعمرات اليهودية . وقد استقى معلوماته كشاهد عيان ومن مجلة « الجمعية الفلسطينية » وذكر بأن المستعمرات اليهودية في فلسطين هي خمس : مستعمرة يافا وضواحيها ، مستعمرة القدس الشريف وضواحيها ، مستعمرة صفد وبلاد بشارة ، مستعمرة حيفا وملحقاتها ، مستعمرة حوران وعبر الأردن .

١ – مستعمرات يافا وضواحيها

أنشأت الجمعية الروسية « مساعدة الفلاحين والصناع اليهود في فلسطين والشام » لجنة في يافا عام ١٨٩١ ولّت تدبيرها المهندس « زيب تيومكين » وغاية هذه اللجنة النظر في أمور المهاجرين الإسرائيليين وتساعدهم أدبياً ومادياً في ابتياع أراضٍ واسعة يقوم باستثمارها الأفراد أو الجماعات منهم . والجمعية الروسية المذكورة ليست سوى فرع من جمعية أخرى يهودية ممتدة في بلاد كبيرة تدعى « أحباء صهيون » .

عدد اليهود في يافا ينيف على ٦٠٠٠ ، لهم محلة واسعة يدعونها المنشية . وفي ضواحي يافا مستعمرات أخرى هذه أسماؤها .

١ – « منزل إسرائيل » ... منشئها « شارل نتر » (Ch. Netter) سنة ١٨٧٠ كمكتب زراعي ويتخرّج فيه زهاء ستين شاباً من اليهود على الفنون الزراعيـة .

٢ – « عيون قارة » وفي العبرانية « رؤوس صهيون » [ريشون لوزيون] وهي مستعمرة يهودية باشر بها سنة ١٨٨٢ ستة إسرائيليين من الروس ، ثم دخلت في حمى البارون ادموند روتشيلد .

---

(١) ملخصاً عن : مقال للأب هنري لامنس في مجلة المشرق ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٩ العدد ٢٣ .

٣ – « ملك راوبين » وهو وادي حنين والفضل في إنشاء هذه المزرعة لرباني اسمه « راوبين » كان حاخاماً في « خرشنة » (Cherson) وهي تحت نظارة لجنة يافا الروسية .

٤ – « خربة ديران » وفي العبرانية « السهول » وتقع بالقرب من بلدة الرملة ، وهي مستعمرة أحدثتها جمعية أعيان اليهود الروسيين سنة ١٨٩٠ .

٥ – « محطة عاقر » ويقـال لها (عكرون) وهم يدعونها « تذكار بيت الله » وهي جنوب غربي الرملة . وهي أيضاً من مشروعات البارون روتشيلد سنة ١٨٨٣ .

٦ – « قطرا » من منشآت « أحباء صهيون » في سنة ١٨٨٤ ، موقعها على بُعد ساعة من عكرون المذكورة . وكانت الغاية من إنشائها إعانة بعض الدارسين الروسيين المهاجرين من روسيا ، حُتّم عليهم أن يجردوا أنفسهم للفلاحة .

٧ – « قسطينة » وتُعرف باسم (بئر طوبّا) أنشأها روتشيلد سنة ١٨٨٨ وخصصها ليهود بسّارابيا .

٨ – « أم لبيش » وتُعرف باسم (ملبس) وفي اصطلاح اليهود « فتح تقوه » وقد نزلها يهود القدس منذ سنة ١٨٧٨ فلم يستحسنوا هواءها ، ثم استوطنها المهاجرون الروس سنة ١٨٨٢ تحت نظارة جمعية « أحباء صهيون » .

٢ – مستعمرات القدس الشريف وضواحيها

١ – مستعمرة « بيت ناثان » أسسها السير مونتفيوري عند باب صهيون في القدس ، وقد خصصت ليهود شمال أوروبا (الأشكنازيم) .

٢ – « يمين موسى » أسسها أيضاً السير مونتفيوري في نفس المنطقة الأولى ، وقد خصصت ليهود جنوب أوروبا (السفارديم) .

ولمستعمرات القدس أحياء عديدة أقدمها :

« نحلة شبع » أنشيء سنة ١٨٦٩ ، « ابن يعقوب » أي (صخرة يعقوب) أنشيء سنة ١٨٧٠ ، « مساكن إسرائيل » أنشيء سنة ١٨٧٦ ، « مذكرة موشى » ١٨٨٠ ، « أهل موشى » أي (خيمة موسى) أنشيء سنـة

١٨٨٣ ، « سكوت شالوم » أي (مساكن السلام) ١٨٨٧ ، « بيت يهوذا » ١٨٨٨ ، « شعرفنا » أي (حجر الزاوية) ، « بيوت تيمن » ١٨٩٠ وقد أسس هذا الحي الأخير لليهود المهاجرين من اليمن .

٣ — مستعمرات صفد وبلاد بشارة

أُنشئت في بلاد صفد وبشارة عام ١٨٩١ جمعية تدعى « هجليليم » أي (الجليليين) تسعى في اقتناء الأرزاق ليمتلكها اليهود . أما مستعمرات اليهود في بلاد صفد فهي :

١ — « روش فنا » أسست عام ١٨٨٢ .

٢ — « عين الزيتون » ابتاعها اليهود عام ١٨٩٠ .

٣ — « مستعمرة محنايم » وهي أخصب قرى بلاد بشارة ، وتقع بين صفد وبحيرة الحولة .

٤ — « مستعمرة جسر الأردن » المعروف بجسر (بنات يعقوب) .

٥ — « مشمر هيردن » المعروفة باسم (حراسة الأردن) .

٦ — « خربة زبيد » ابتاعها اليهود الروس عام ١٨٨٣ .

٤ — مستعمرات حيفا وملحقاتها

١ — « مستعمرة زمّار » اشترتها شركة روسية عام ١٨٦٢ .

٢ — « مستعمرة خضيرة » اشترتها أيضاً شركة روسية عام ١٨٩٠ .

٣ — « ضيعة كفرعنّا » تملكتها لجنة « أحباء صهيون » عام ١٨٩١ .

٤ — « مستعمرة أبا شوشة » وتخص اليهود القدسيين برغيم (Bergheim) وهم أصحاب مصرف في أورشليم . ولكن يقوم بشؤون هذه الأراضي فلاحون بلديون يؤدون ربع غلاتهم لأصحاب الملك .

٥ — مستعمرات حوران وعبر الأردن

إن أملاك اليهود في حوران أوسع من مقاطعة كبرى من مقاطعات الشام ، ولجنتهم الفلسطينية في باريس تمكنت في عام ١٨٩٢ من ابتياع ١٢٠٠٠ هكتار في جوار قرية شيخ سعد . وحاول اليهود شراء أراضي في بلاد جلعاد ومؤاب عبر الأردن إلا أن الدولة السنية لم تلب نداءهم ، فذهبت آمالهم أدراج الرياح .

ملحق رقم (١٧)

رسالة تأييد الى هرتزل عام ١٨٩٧ من الجمعية اليهودية في مصر (١)

« Barkohba »
Cairo — Egypte
Fondée le 1er Adar 5657
Février 1897
Siège Central

Monsieur Theodor Herzel [Herzl]
Rédacteur de la « Neue Freie Presse »
Vienne

Monsieur cher corréligionnaire en votre Etat Juif.

Il y a plus d'une année que le «Carmel» a été non seulement le 1er à saluer votre entrée solenelle dans les rangs sionistes, mais encore à encourager votre projet aussi génial que patriotique. Vous savez Monsieur, que c'était à [en] Bulgarie, que vous avez obtenu votre 1er succès, aujourd'hui encore la plupart de vos partisans, sont les sionistes de la Bulgarie.

Eh bien, Monsieur, vous serez heureux d'apprendre la fondation au Caire, à force de patience, de persévérance et d'activité, d'une société patriotique Sioniste «Barkohba» dont le programme et [est] celui qui a été tracé par le «Carmel».

Veuillez, Monsieur, nous vous prions, nous tenir au courant de tout ce qui se passe dans le monde Sioniste à Vienne en même temps de nous faire parvenir votre brochure «L'Etat Juif» traduction française s'il est possible.

Vive «L'Etat Juif»

Veuillez agréer Monsieur l'assurance de nos sentiments distingués. avec nos chaleureuses salutations de Sion.

Le Secret. Joseph Leibovich — Le Presid. J. Harmalin

Le Caire (Egypte) le 8 avril 1897.

(١) نقلا عن : J. Landau; Jews in Nineteenth Century Egypt

تعريب الملحق رقم (١٧)

باركوبا
القاهرة – مصر
تأسس في أول آذار ٥٦٥٧
شباط (فبراير) ١٨٩٧

السيد تيودور هرتزل

محرر صحيفة «Neue Freie Presse»

سيدي ، شريكي العزيز في دولتك اليهودية .

منذ أكثر من سنة لم تكن « كرمل »[1] (Carmel) الأولى فحسب في تحية احتفال دخولك في صفوف الصهيونية ، بل شجعت أيضاً مشروعك الذي تميز بالعبقرية كما بالوطنية . إنك تعلم يا سيدي انك حصلت على نجاحك الأول في بلغاريا ، والآن أيضاً فان معظم مؤيديك هم بلغاريون .

حسناً ، سيدي ، ستسر عندما تعلم بتأسيس مؤسسة صهيونية « باركوبا » (Barkohba) – بعد صبر ومثابرة ونشاطات عدة – وبرنامجها هو المخطط له من قبل « كرمل » .

نرجو منك سيدي ، إعلامنا عما يجري في العالم الصهيوني في ڤيينا . وفي الوقت نفسه نرجو ان ترسل لنا كراسك « الدولة اليهودية » مترجماً إلى اللغة الفرنسية إذا كان ذلك ممكناً .

عاشت « الدولة اليهودية » .

تفضل بقبول ثقة مشاعرنا المميزة ، مع حرارة تحياتنا لصهيون .

الرئيس	السكرتير
ج. هارمالين	جوزف ليبوڤيتش

القاهرة – مصر – ٨ نيسان (ابريل) ١٨٩٧ .

(١) صحيفة صهيونية .

ملحق رقم (١٨)

رسالة هرتزل الى يوسف الخالدي
في ١٩ آذار (مارس) ١٨٩٩ [1]

يا صاحب السعادة

أدين للسيد « زادوك كان » (Zadok Kahn) بسروري ، حيث أتاح لي قراءة رسالتك له . دعني أخبرك بأن مشاعر الصداقة التي أبديتها تجاه الشعب اليهودي أثارت لدي التقدير العميق .

كان اليهود ولا زالوا وسيبقوا من أحسن أصدقاء تركيا ، منذ أن فتح السلطان سليم أبواب أمبراطوريته لليهود المضطهدين في اسبانيا . ولا تتكون هذه الصداقة من الكلمات فحسب ، بل نحن جاهزون لتحويلها إلى أفعال ومساعدات للمسلمين .

إن الفكرة الصهيونية – التي أنا خادمها المتواضع – ليس لديها مشاعر العداء تجاه الحكومة العثمانية ، بل بالعكس من ذلك تماماً ، فهذه الحركة مهتمة في إيجاد موارد جديدة للأمبراطورية العثمانية عن طريق السماح لعدد محدود من اليهود بالهجرة ، محضرين معهم ذكاءهم وقدراتهم المالية ومشاريعهم الإنمائية للبلد . ولا يشك أحد بأن الصالح العام للبلد سيكون ذو نتائج إيجابية . ومن الضروري فهم ذلك وتعميم معرفة ذلك لكل إنسان . وكما قلتم جنابكم في رسالتكم للسيد « رابي » بشكل واضح أنه لا يوجد خلف اليهود قوة مقاتلة ، ولا حتى هم بطبعهم شعب محب للحرب ، وهم عامل سلام كامل وأمناء وقنوعين جداً إذا تركوا يعيشون بسلام ، ولهذا لا يوجد شيء على الإطلاق يثير الخوف من هجرتهم .

مشكلة الأراضي المقدسة :

لا يفكر أحد بمس هذه الأماكن – كما قلت وكتبت مرات عديدة – لقد فقدت هذه الأماكن وللأبد ملكيتها الكلية لدين واحد ، لعرق واحد ،

(١) نقلاً عن : W. Khaldi ; (Editor) From Haven to Conquest.

لشعب واحد . وستبقى هذه الأماكن مقدسة لكل العالم، للمسلمين والمسيحيين واليهود . والسلام العالمي الذي يتمناه كل البشر سيبقى المثال المحتذى في الوحدة الأخوية في هذه الأماكن المقدسة . وجنابكم ترون صعوبة أخرى تتمثل في مصير السكان غير اليهـــود في فلسطين . ولكن من يفكر في طردهم بعيداً عن فلسطين ؟ وجودهم وثرواتهم سنضاعفها بوجودنا وثرواتنا . هل تعتقد حضرتكم بأن العربي الذي يملك أرضاً أو بيتاً في فلسطين يقدر ثمنه بثلاثة أو أربعة آلاف فرنك سيغضب إذا ارتفع سعر أرضه في فترة قصيرة ؟. سترتفع إلى خمسة أو عشرة أضعافها في شهـور قليلة ، وفوق ذلك سيحصل هذا بالضرورة عند وصول اليهود إلى فلسطين . هذا ما يجب أن يعترف به سكان فلسطين ، لأنهم سيكسبون أخوة أذكياء ، كما سيكسب السلطان مخلصين سينعشون الولاية التي هي أرضهم التاريخية .

عندما ينظر الواحـــد منا من هذه الزاوية — وهي صحيحة — سيكون صديقاً للصهيونية عندما يكون صديقاً لتركيا .

آمل يا صاحب السعادة أن تكون هذه التوضيحات القليلة مثيرة لمشاعر العطف عندك تجـاه حركتنا . لقد قلتَ لـ« زادوك » (Zadok) بأنه من الأفضل لليهود أن يذهبوا إلى مكان آخر ، هذا ممكن حدوثه عندما لا تفهم تركيا الفوائد الضخمة التي ستقدمها حركتنا لها . لقد شرحنا أهدافنا وسياستنا بإخلاص وولاء . لقد قدمت لجناب السلطان بعض المطالب العامة وأنا سعيد لاعتقادي بأن ذكاءه الحـــاد سيجعله يقبل الفكرة من حيث المبدأ ، والتي من الممكن مناقشة تفاصيلها التنفيذية فيما بعد ، وإذا رفضها سنبحث ، وثق بأننا سنجد ما نبتغي في مكان آخر ، ولكن عند ذلك ستكون تركيا قد خسرت الفرصة الأخيرة لتنظيم اقتصادها وإعادة النشاط إلى اقتصادها المنهار . وتذكر بأن من يقول لك هذه الأشياء هو صديق حميم للأتراك .

وتقبل حضرتكم أغلى آيات التقدير

د. تيودور هرتزل

ملحق رقم (١٩)

هرتزل في الاراضي المقدسة ومصر(١)



هرتزل مع مجموعة من اليهود في مستعمرة رحبوت في الاراضي المقدسة عام ١٨٩٨



هرتزل في استقبال الامبراطور غليوم الثاني في مستعمرة مكفا — اسرائيل عام ١٨٩٨

(١) نقلاً عن : A. Chouraqui, Théodor Herzl Inventeur de L'Etat d'Israël.



هرتزل مع مجموعة من اليهود على متن احدى السفن
باتجاه الاراضي المقدسة عام ١٨٩٨



هرتزل في زيارة ابو الهول في مصر

ملحق رقم (٢٠)

شواهد على دور النظام الضرائبي العثماني ودور الربا اليهودي في بيع الممتلكات العربية في فلسطين

١ — النظام الاداري والضرائبي العثماني :

من دائرة إجراء محكمة بداية القدس الشريف[١]

قبلاً وضع بالمزاد العلني جميع الدار الكائنة في قرية لفتا المعلومة المشتملات والحدود ملك حمدان عوض نصار من أهالي القرية المذكورة لاستيفاء ما يطلب للخزينة العامرة من باقي بدل التزام أعشار قرية سبسليت عن سنة ٣٠٩ بموجب سند مصدق من محررية المقاولات وإعلام صادر عن محكمة بداية القدس الشريف مؤرخ في ١٥ تشرين أول سنة ٣١٢ تحت نومرو ٥١ مبلغ على الأصول محتوى الحكم بالإجراء الموقت . وقد تقررت الدار المذكورة عهدة علي أحمد الغوله بكفالة الحاج صالح قاسم كلاهما من لفتا بثمن قدره ستة آلاف غرش صاغ . ولانقضاء المدة النظامية سحب عليها القرار داده من قبل الرياسة العلية على أن يقبل الضم أقله بالماية خمسة مدة إحدى وثلاثين يوماً . فعلى الراغبين مراجعة دائرة الإجراء والدلال باشي محمد أبو عيد بالمدة القانونية اقتضى إعلان الكيفية .

في ٨ ذي القعدة سنة ١٣٤ ، في ٢٩ مارت سنة ٣١٣

٢ — رهن الأملاك العربية ودور الربا اليهودي في بيع الممتلكات[٢]

من مأمورية الدفتر الخاقاني بالقدس الشريف قد صار طرح جميع الدار الواقعة بقصبة بيت لحم التابعة لواء القدس المعلومة الحدود المباعة بيع بالوفا مع الوكالة الدورية بمبلغ خمس وستون ليرة فرنساوي بموجب السند النظامي الصادر من مأمورية الدفتر الخاقاني بالقدس نومرو ١ من دفتر تشرين اول سنة ٣١١ من طرف حنا بن عبدالله ابراهيم حقهان التلحمي إلى الخواجه

---

(١) ثمرات الفنون ، ١٩ نيسان (ابريل) ١٨٩٧ العدد ١١٢٥ .
(٢) ثمرات الفنون ، ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٨ العدد ١١٦٤ .

شمويل ويزمن بن حايم ويزمن النمساوي ، للمزايدة لأجل بيعها لمن تتقرر لعهدته لإيفاء الذمة المذكورة وذلك بناء على إنتهاء المدة المقررة بالسند المذكور وطلب رب المال ذلك غب إخطار المديون المرقوم ولأجل أن يكون ذلك معلوماً لدى من يرغب من العموم شراء الدار المذكورة صار نشر هذا الإعلان من مأمورية الدفتر الخاقاني بالقدس الشريف .

في ١٦ كانون اول ١٣١٣

ملحق رقم (٢١)

مقال نجيب نصار « الأعشار والخزينة والأهالي » في فلسطين[١]

إن الفلاح يئن تحت نير ظلم الأعشار الثقيل والخزينة لا تستوفي حقوقها منه على التمام في بلدان كثيرة . هذه مسألة فيها نظر ، يشتغل عشرة شهور في السنة ، ونحو من ثلاث عشرة ساعة كل يوم هو وامرأته وبنوه ، ويستدين الذُرة ليقتات بها بدلاً من الحنطة ، ويصرف ثمن كسوة عياله من ماله . فلو رأيته يحرث منكسراً في أرض تأكل أشواكها رجليه الحافية ، ويزرع في يوم هبت عواصفه وهطلت أمطاره فبللت بدنه العريان ، ويحصد في فصل اشتد حره فأحرقه ، وكنت من محبي الإنسانية لبكيت حزناً عليه وأنكرت نفسك في المحاماة عنه .

... حقوق الخزينة وجنى الفلاح مستهلك في بطون قوم لا يعرفون الشبع ، أولئك هم المستبدون ، يوجد منهم واحد أو أكثر في كل قضاء ، يحتكرون الأعشار فيستوفونها أخماساً وأرباعاً ويضيفون عليها هوالك وروابط ولقاطاً وأرضية ، وما بقي يأخذونه بدل رشوة دفعوها عنه كذباً أو بدل دعوى تخليصه من دعوى لفقوها عليه بالاتفاق مع المأمورين وما شاكل ذلك من المنكرات المغضبات والعياذ بالله .

شكا الفلاح أمره مراراً فجوزي على شكواه واحتج فضُرب لأنه فتح فاه ، فسكت سكوت المقهور ... فإذا هو عصى أوامرهم تهددوه بالدعاوى الزورية ، ثم لو رفع ذلك المزاود أمره للحكومة لقي محاولة والتواء يجب إليه ترك حقوقه .

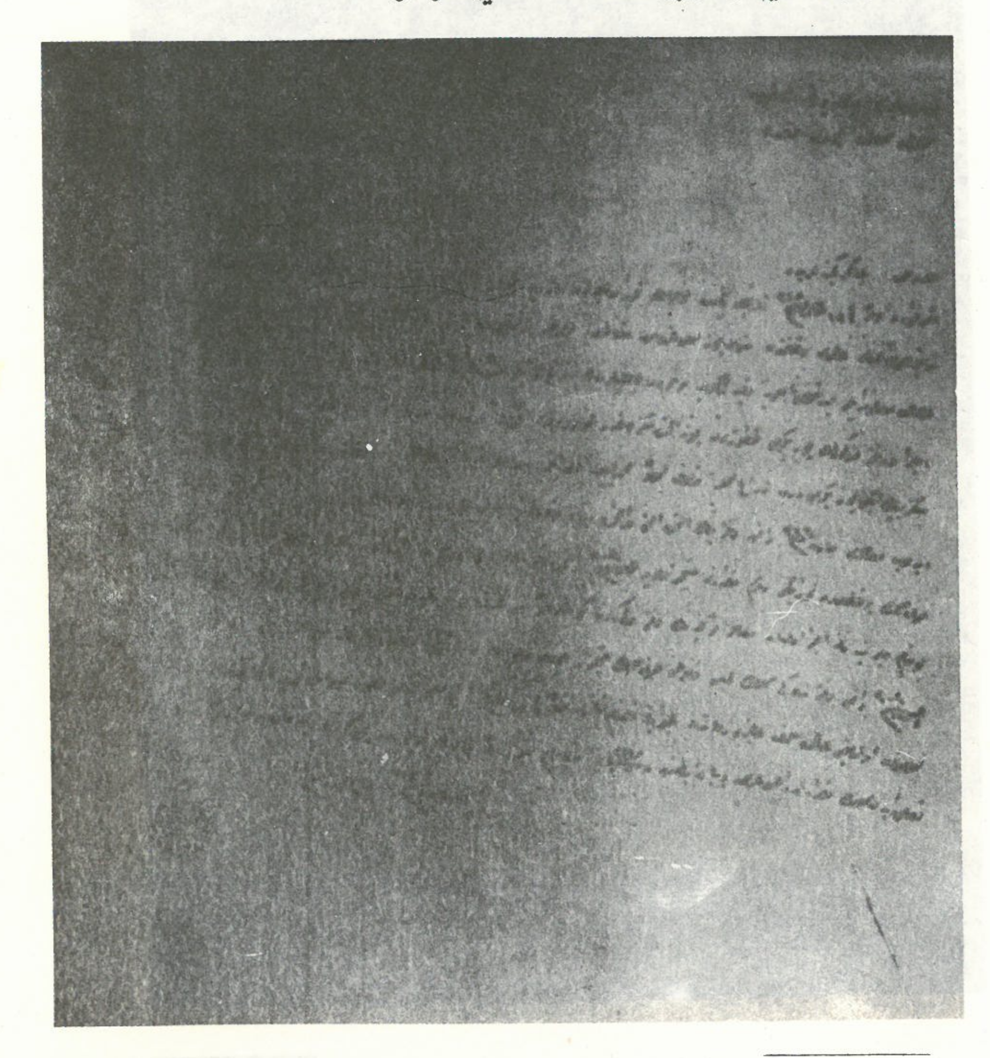
قال لي أحد أعوان حافظ باشا من جنين : لا نربح كثيراً من التزامات جفتلك بيسان ، أما أرباحنا في قضاء جنين فتتراوح بين الثمانية والعشرة آلاف ليرة في السنة ، وقدم لي مثلاً ثلاث قرى لا يزيد التزامها عن العشرين ألفاً وأرباحها تربو على الألف ليرة . في قضاء طبريا أربع قرى

(١) ثمرات الفنون ، ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨ العدد ١٦٧٩ .

للأمير علي باشا بدل أعشارها كلها لا يزيد كثيراً على نصف بدل حطين ، ومساحة أراضي هذه تساوي أراضي واحدة من الأربع قرى. وهكذا قل في سارونة قرية سعيد بك الفاهوم وفي القرى التي يلتزمها مع كومبانية اليهود ... وجاءنا بعض أهالي قرية سمخ يتظلمون من اتفاق مشايخهم مع الملتزم على إعطائه عشرين مداً من الحبوب عن كل فدان رسم الهـالك ، فحررنا لهم عريضة لقومسيون الجفتلك بالشام والأمل أن يعاملوا بالعدل. أمثال هؤلاء المستبدين يضيعون حقوق الخزينة ويمنعون ثروة الشعب ، ومن الغريب أنهم ما زالوا يحاولون السير على طرقهم القديمة .

ملحق رقم (٢٢)

وثيقة تركية تشير الى تنازل بعض الاقطاعيين الفلسطينيين من أل الخالدي عن ارض هي وقف لزين موسى الخالدي للمطران جورج خرالتس بوفام بلايت البروتستانتي الانجليزي . وقد سجل التنازل بواسطة اليهودي الخواجة اسحق بن حايم اريا وبواسطة محمد افندي المزغر[1].

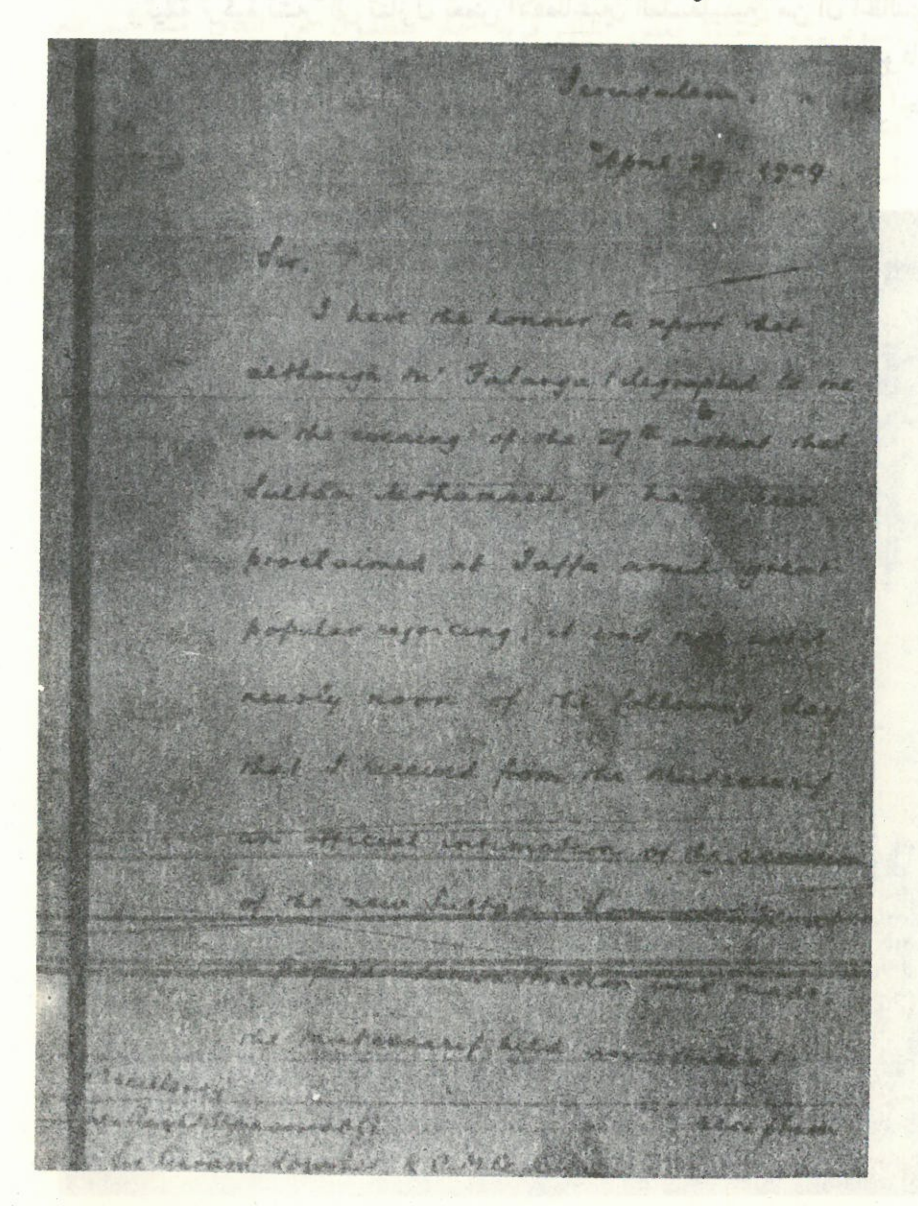


(١) نقلاً عن : Blesh to Marling, 24 Nov. 1909, No. 94, in F.O. 195/2331.
– وثيقة مرفقة بالتقرير –

مصادر البحث

ملحق رقم (٢٣)

تقرير عن الابتهاجات الانفعالية في فلسطين بمناسبة اعلان محمد الخامس سلطاناً على الدولة العثمانية[١].



Jerusalem,

April 29. 1909

Sir,

I have the honour to report that although Mr Falanga telegraphed to me on the evening of the 27th instant that Sultan Mohammed V had been proclaimed at Jaffa amid great popular rejoicing, it was not until nearly noon of the following day that I received from the Mutessarif an official intimation of the accession of the new Sultan [illegible]

[illegible]

The Mutessarif held [illegible]

His Excellency
the Right Honourable
Sir Gerard Lowther K.C.M.G. [illegible]

---

(١) نقلاً عن : Blesh to Lowther, 29 April 1909, in F.O. 195/2321.

مصادرُ البحث

أولاً: وثائق ومخطوطات غير منشورة:

١ - وثائق وزارة الخارجية البريطانية الموجودة في لندن:

(Public Record Office) وهي مصورة على ميكروفيلم في مركز الأبحاث (Research Centre) التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية - بيروت ومصنفة على النحو التالي:

A – Reports and Correspondences between British Consuls in the Ottoman Empire and the British Embassy in Constantinople: No. F.O. 195.

B – Reports and Correspondences between Foreign Office in London and British Consuls in Palestine and Constantinople: No. F.O. 78.

C – Reports and Correspondences between Foreign Office in London and British Embassy in Constantinople: No. F.O. 371.

٢ - مخطوطات المكتبة الظاهرية - دمشق:

أ - أعظم المآثر السلطانية السكة الحديدية الحجازية - الشامية، إنشاء محمد عارف الحسيني عام ١٣١٨ هـ. مصنف تحت الرقم ١٠٨١٠.

ب -سلاطين آل عثمان، جـ ٢٣ الخاص بالسلطان عبد الحميد الثاني مجهول المؤلف. مصنف تحت رقم ١٠٧٠٤.

٣ ـ وثائق مديرية الوثائق التاريخية ـ دمشق:

بعض سندات بيع الأراضي في فلسطين. القسم الخاص في المديرية، وهي غير مصنفة.

٤ ـ وثائق دار الكتب الوطنية ـ بيروت:

أ ـ مخطوط: صراخ البري في بوق الحرية ١٨٩٠ ـ ١٨٩١، تأليف حبيب فارس مصنف تحت الرقم ٦٥٢ (معلومات وآراء غير منشورة في الكتاب المطبوع في مصر ١٨٩١ ـ ثلاثة أجزاء ـ تحت عنوان صراخ البري في بوق الحرية والذبائح التلمودية).

ب ـ مخطوط: القول الصادق في الأستاذ نعوم فائق، تأليف الكونت فيليب دي طرزي، مصنف تحت الرقم ١٢٨ (معلومات عن بعض الأقليات في الدولة العثمانية).

٥ ـ كتاب: الاسلام وبنو اسرائيل:

تأليف جواد رفعت أتلخان، تعريب يوسف أور الكَيراي، بدون تاريخ. مطبوع باللغة العربية على الآلة الكاتبة، غير منشور وغير مجلد. وهو من بين مجموعة مفتي فلسطين المرحوم الشيخ أمين الحسيني، ويضم وثائق وفرمانات سلطانية خاصة باليهود وفلسطين تنشر للمرة الأولى.

ثانياً ـ وثائق ومذكرات منشورة:

١ ـ Hyamson, Albert; The British Consulate in Jerusalem in Relation to the Jews in Palestine 1838 – 1914, 2 vols. (London 1939 – 1941).

٢ ـ مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني Sultan Abdül Hamit, in, . Hatira Defteri. Sadelestiren ve Yavina Hazirlayan (Ismet Bozdag) Tercüman Gazetesi 1974.

٣ ـ السلطان عبد الحميد الثاني: خاطراتي السياسية: Sultan Abdül Hamit, Siyasi Hatiratim, Hareket Yayinlari, (Istanbul) 1974.

٤ ـ ملف وثائق فلسطين، جـ ١ (٦٣٧ ـ ١٩٤٩) ـ مصر. بدون تاريخ.

٥ ـ يوميات هرتزل، إعداد أنيس صايغ، تعريب هيلدا صايغ، بيروت ١٩٧٣.

ثالثاً ـ رسائل علمية ووثائقية منشورة: (ماجستير ودكتوراه).

١ ـ أرنست رامزور: تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨، ترجمة صالح أحمد العلي، قدّم له وراجعه نقولا زيادة، بيروت ١٩٦٠.

٢ ـ توفيق برو: العرب والترك ١٩٠٨ ـ ١٩١٤، القاهرة ١٩٦٠.

٣ ـ خيرية قاسمية: النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ ـ ١٩١٨، بيروت ١٩٧٣.

٤ ـ وليم فهمي: الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، القاهرة ١٩٧١.

٥ ـ Mardin, Şerif; The Genesis of Young Ottoman Thought (New Jersey, 1962).

رابعاً ـ مقالات منشورة:

١ ـ سعيد الأفغاني: كانت الصهيونية هي خالعة السلطان ومقوضة المملكة العثمانية، مجلة العربي ١٩٧٢، العدد ١٦٩.

٢ ـ لويس شيخو: السر المصون في شيعة الفرمسون، مجلة المشرق العدد ٥ و٨، بيروت ١٩١١.

٣ ـ محمد روحي الخالدي: أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، المنار م ١١، جـ ١١، ١٩٠٨، الهلال، جـ ٣، مصر ١٩٠٨.

٤ ـ محمد موفاكو: البكتاشية، مجلة العربي، آذار (مارس) ١٩٧٧، العدد ٢٢٠.

٥ ـ مؤلف مجهول: الاسرائيلية في جمعية الاتحاد والترقي، نهضة العرب، باريس ١٩٠٩.

٦ ـ Mandel, Neville; Turks, Arabs and Jewish Immigration into

Palestine 1882 – 1914, St. Antony's Papers; No. 17. Middle Eastern Affairs, No. 4, ed. by Albert Hourani (Oxford 1965).

٧ ـ Roi, Yacov; The Zionist Attitude to The Arabs 1908-1914 (Middle Eastern Studies, Vol. 4, No. 3, April 1968).

خامساً ـ كتب مصورة على ميكروفيلم بمركز الأبحاث ـ بيروت:

١ ـ إيلي ليڤي أبو عسل: يقظة العالم اليهودي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٣٤ .

٢ ـ عمر البرغوتي وخليل طوطح: تاريخ فلسطين، القدس ١٩٢٣ .

٣ ـ يوسف الحاج: هيكل سليمان أو الوطن القومي لليهود، جـ ١ ، بيروت ١٩٣٤ .

سادساً ـ الكتب العربية والمترجمة:

١ ـ أحمد عزت عبد الكريم: دراسات في تاريخ العرب الحديث، بيروت ١٩٧٠ .

٢ ـ أرنولد توينبي: فلسطين جريمة ... ودفاع، تعريب: عمر الديراوي، بيروت ١٩٦١ .

٣ ـ اسمعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ ١ ، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣١٤ هـ .

٤ ـ المر بيرغر: اسرائيل باطل يجب أن يزول، تعريب: اميل خليل بيدس، القاهرة ١٩٥٥ .

٥ ـ أمين الحسيني: حقائق عن قضية فلسطين، القاهرة ١٩٥٤ .

٦ ـ أنيس صايغ: الهاشميون وقضية فلسطين . صيدا ـ بيروت ١٩٦٦ .

٧ ـ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده: العروة الوثقى، بيروت ١٩٧٠ .

٨ ـ ج . م . م . جفريز: فلسطين إليكم الحقيقة، تعريب: أحمد خليل الحاج، مراجعة: محمد أنيس، القاهرة ١٩٧١ .

٩ ـ جواد رفعت أتلخان: الخطر المحيط بالاسلام ـ الصهيونيه

وبروتوكولاتها ـ تعريب: وهبي عز الدين، بغداد ١٩٦٥ .

١٠ـ جورج أنطونيوس: يقظة العرب، تعريب: ناصر الدين الأسد واحسان عباس، بيروت ١٩٦٦ .

١١ـ خالد العظم: مذكرات خالد العظم، جـ ١ ، بيروت ١٩٧٣ .

١٢ـ زين زين: نشوء القومية العربية ـ مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية ـ التركية، بيروت ١٩٦٨ .

١٣ـ زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، بيروت ١٩٧١ .

١٤ـ ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت ١٩٦٥ .

١٥ـ سليمان موسى: الحركة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩٢٤، بيروت ١٩٧٠ .

١٦ـ صالح مسعود بويصير: جهاد شعب فلسطين، بيروت ١٩٦٨ .

١٧ـ عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، بيروت ١٩٧٠ .

١٨ـ عجاج نويهض: بروتوكولات حكماء صهيون، جزءان، لبنان ١٩٦٧ .

١٩ـ عودة بطرس عودة: القضية الفلسطينية في الواقع العربي، القاهرة ١٩٧٠ .

٢٠ـ فرانك مانويل: بين أميركا وفلسطين، تعريب: يوسف حنا، عمان ١٩٦٧ .

٢١ـ فلاديمير لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، تعريب: عفيفة البستاني، مراجعة: يوري روشين، موسكو ١٩٧١ .

٢٢ـ فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، جـ ٢ ، تعريب: كمال اليازجي وجبرائيل جبور، بيروت ١٩٥٩ .

٢٣ـ لوران غاسبار: تاريخ فلسطين، تعريب: ابراهيم ميخائيل خوري، دمشق ١٩٦٩ .

٢٤ـ محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ ـ ١٩١٤، القاهرة بدون تاريخ .

٢٥ـ محمد باشا المخزومي: خاطرات جمال الدين الأفغاني، بيروت ١٩٦٥ .

٢٦- محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني ـ أسباب إنحطاط الامبراطورية العثمانية وزوالها، الكتاب الثاني، بيروت ١٩٥٤ .

٢٧- محمد خليفة التونسي: بروتوكولات حكماء صهيون، بيروت ١٩٦١ .

٢٨- محمد رفيق ومحمد بهجت التميمي: ولاية بيروت ـ القسم الجنوبي، جـ ١، بيروت ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م .

٢٩- محمد علي الزعبي: الماسونية في العراء، بيروت ١٩٧٢

٣٠- محمد علي الزعبي: حقيقة الماسونية، بيروت ١٩٧٤ .

٣١- محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، مصر ١٨٩٣ (طبعة مصورة، بيروت ١٩٧٧).

٣٢- مصطفى كامل: المسألة الشرقية، الطبعة الأولى، مصر ١٨٩٨ .

٣٣- ناصر الدين الأسد: محاضرات عن محمد روحي الخالدي، القاهرة ١٩٧٠ .

٣٤- هاني الهندي: حول الصهيونية واسرائيل، بيروت ١٩٧١ .

٣٥- هربرت فيشر: تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٩ ـ ١٩٥٠، تعريب: أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، القاهرة ١٩٦٤ .

٣٦- يوسف الحكيم: سورية والعهد العثماني ـ ذكريات الحكيم ـ ١، بيروت ١٩٦٦ .

سابعاً: المراجع الأجنبية:

1 - Chouraqui, André, Théodor Herzl Inventeur de l'Etat d'Israël (Paris 1960).

2 - Chouraqui, André; L'Alliance Israélite Universelle et la Renaissance Juive Contemporaine 1860-1960 (Paris 1965).

3 - Cohen, Aharon; Israel and the Arab World (London 1970).

4 - Cohen, Israel; A Short History of Zionism (London 1951).

5 - Creasy, Edward; History of the Ottoman Turks (London 1878).

6 - De Bishoff, Norbert; La Turquie dans le Monde (Traduction de M. Bénouville, Paris 1936).

7 - Eversley, Lord; The Turkish Empire (Lahore - Pakistan 1917, Third impression 1959).

8 - Garnier, Jean-Paul; La Fin de L'Empire Ottoman (France 1973).

9 - Haslip, Joan; The Sultan – The Life of Abdul-Hamid II (London 1958, Reissued 1973).

10 - Kallen, Horace Meyer; Zionism and the World Politics (London 1921).

11 - Khaldi, Walid (Ed.); From Haven to Conquest (Beyrouth 1971).

12 - Landau, Jacob; Jews in Nineteenth Century Egypt (New York 1969).

13 - Lewis, Bernard; The Emergence of Modern Turkey (London 1961).

14 - Miller, William; The Ottoman Empire and its Successor 1801 – 1913 (1927) New impression 1966.

15 - Pinon, René; L'Europe et L'Empire Ottoman (Paris 1909).

16 - Rappoport, Angelos, S; History of Palestine (London 1931).

17 - Seton-Watson, W; The Rise of Nationality in The Balkans (London 1917).

18 - Stein, Leonard; Balfour Declaration (London 1961).

ثامناً ـ الصحف والدوريات العربية:

١ ـ الأسرار (بيروت) ١٩٣٨ .

٢ ـ الأهرام (الاسكندرية) ١٨٩٠ ـ ١٨٩١ .

٣ ـ أوراق لبنانية (بيروت) ١٩٥٦ .

٤ ـ تركيا الفتاة (باريس) ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦ .

٥ ـ ثمرات الفنون (بيروت) ١٨٩٧، ١٨٩٨، ١٩٠٨ .

٦ ـ الخلافة (لندن) ١٩٠٠ .

٧ ـ سركيس (القاهرة) ١٩٠٨ .

٨ ـ العصا لمن عصا (حيفا) ١٩٠٩ .

٨ ـ العصر الجديد (الشام) ١٩٠٩ .

١٠ ـ الكرمل (حيفا) ١٩٠٩ ـ ١٩١٠ .

١١ ـ لبنان (بعبدا ـ لبنان) ١٨٩٦.
١٢ ـ لسان الاتحاد (بيروت) ١٩٠٩ .
١٣ ـ المباحث (بيروت) ١٩٠٩ .
١٤ ـ المجلة المصرية (القاهرة) ١٩٠٩ .
١٥ ـ المشرق (بيروت) ١٨٩٩ ـ ١٩١١
١٦ ـ المقتبس (دمشق) ١٩٠٩ ـ ١٩١٠ .
١٧ ـ المنار (القاهرة) ١٨٩٨ ـ ١٩١١ .
١٨ ـ النفائس (بيروت) ١٩١٠ .
١٩ ـ نهضة العرب (باريس) ١٩٠٩ .
٢٠ ـ الهلال (القاهرة) ١٨٩٤ ـ ١٩٠٨ .

تاسعاً ـ الصحف والموسوعات الأجنبية:

1 - The Jewish Encyclopedia (U.S.A. 1901).
2 - Аврейская Энциклопедія الموسوعة اليهودية الروسية (بطرسبرج)
3 - Revue du Monde Musulman (Paris 1907 - 1909).